

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة -1-

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

الاستقامة أسسها وأبعادها

- دراسة في التفسير الموضوعي -

أطروحة مقّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص: كتاب وسنة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد رحمانى

إعداد الطالبة:

صورية العيادي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ حسين شرفة	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيسا
د/أحمد رحمانى	أستاذ	كلية الدراسات الإسلامية والعربية -دبي-	مقررا
د/ نادية وزناجي	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة -1-	عضوا
د/ نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة -1-	عضوا
د/عبد الرحمن معاشى	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير - قسنطينة-	عضوا
د/ صونيا وافق	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير - قسنطينة-	عضوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
فَلَا هَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ }

[الأحقاف : 13، 14]

إلى من تعهداني بالتربية في الصغر والتوجيه في الكبر
إلى الشمعتين اللتين أنارتا لي درب حياتي
إلى من أحببتهما فسرى حبهما في وجداني
إلى أمي الحبيبة وأبي الغالي حفظهما الله
إلى الزوج الفاضل الذي أعانني وشجعني فكان سندا لي
إلى من أحبوني فكانت سعادتني ترسم الابتسامة على شفاههم
إلى أبنائي أسامة آية وهداية
إلى من شملوني بالعطف وأمدوني بالعون إخوتي وأخواتي رعاهم الله
إلى كل أهلي وأحبائي أهدي ثمرة جهدي ونتاج بحثي المتواضع

صورىة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الشكر لله عز وجل الذي أنار لي الدرب وفتح لي أبواب العلم وأمدني بالصبر والإرادة والتوفيق وبارك لي في وقتي

ثم الشكر الجزيل للمشرف الأستاذ الدكتور أحمد رحمانى على توجيهاته وإرشاداته وتشجيعاته المتواصلة ونصحه السديد .

أتقدم بخالص الشكر إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الأطروحة.

الشكر والامتنان لكل هؤلاء الذين قدموا لي يد العون والمساعدة جزاهم الله عني خير الجزاء.

شكري الخالص لهيئة إدارة كلية العلوم الاجتماعية الإسلامية وطاقم المكتبة و لكل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن استقام على هديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، قال تعالى: {لِإِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَّوَلَّوْا عَلَیْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت : 30 ، 31] أما بعد:

إن من سعة رحمة الله تعالى وفضله على عباده أن أنزل إليهم القرآن الكريم ، وجعله نبراسا ينير لهم طريق النور والاهتداء إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: {وَكَلَّمَكَ أُوحِيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنِ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهَيٰ بِهٖ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: 52-53]

وأمرهم بالتحلي بمكارم الأخلاق، ومحامد الخلال، ومحاسن الطباع، فكان الهدف المنشود إنتاج فرد صالح يسيطر بروحه على جسده، ويسمو بنفسه ويحاسبها، ويتحكم في عقله، فتتحقق له من الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض. ولما كان لزوم منهج الاستقامة هو عين الهداية، جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهجها وتدل عليه.

أولاً : موضوع البحث وإشكاليته

1- موضوع البحث:

الاستقامة: أسسها وأبعادها

- دراسة في التفسير الموضوعي -

2- إشكالية البحث:

لما كان للاستقامة من الفضل العظيم، أمر الله عباده بالتحلي والتمسك بها في آيات متفرقة عبر سور القرآن الكريم، من أجل الدوام على هدي الله عز وجل، والتزام صراطه المستقيم.

فالإشكاليات المطروحة في هذا البحث :

كيف يصور القرآن الكريم خلق الاستقامة ؟

ما السبيل إلى الاستقامة ؟

ما أسسها؟

ما جزاء المستقيمين؟

ما هي مجالات الاستقامة ؟

ما أثر الاستقامة في صلاح الفرد والمجتمع؟

كيف كانت استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر الاستقامة ؟

ثانياً : أهمية البحث و أسباب اختيار الموضوع

1- أهمية البحث:

خلق الله الإنسان وألهمه أن يعيش حياة اجتماعية تستلزم منه التزام قواعد وأصول أخلاقية، حيث يحفظ الحقوق ويؤدي الواجبات ويتقيد بالحدود، فنتحقق له الاستقامة، فانه تعالى أمر

نبيه وأتباعه بأن يكونوا مستقيمين معتدلين على الصراط المستقيم ، قال تعالى: {فَأَسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود : 112]

إلا أن الإنسان تتنازع فيه قوتان : قوة الخير وقوة الشر، وهو ينساق إلى أحدهما، فكان من
أهم مقاصد الإسلام وقايته من نزعات الشر بالتحذير منه وبيان ضرره ودعوته إلى
الاستقامة، أما إذا لم يتخلق بهذا الخلق العظيم ضعف إقباله على الخير وصار هدفا سهلا
للتورط في الشر، لذا نجد القرآن الكريم أولى الاستقامة عناية خاصة بالدعوة إلى التمسك بها
والحث عليها، وبما وعد المستقيمين من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {إِنَّ
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف : 13 ، 14]

2- أسباب اختيار الموضوع:

- أما عن أسباب اختياري هذا الموضوع:
- تعلقي بالقرآن الكريم وبمنهج التفسير الموضوعي.
 - رغبتني في الإلمام بالموضوع في موضع واحد.
 - ما لاحظته من فساد في المجتمع واختلال النظام فيه .
 - تخلي المسلمين عن آداب المعاملة فيما بينهم، وتخليهم عن واجباتهم تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعاتهم.
 - تركيز النشاط الحضاري في المجتمعات على الجانب المادي وإهمال الجانب الأخلاقي .
 - العمل من أجل إنتاج فرد صالح، وتحسين أحوال المجتمعات.

ثالثا : أهداف البحث:

طبعت النفس الإنسانية منذ نشأتها على قانون أخلاقي، حيث أن الإنسان العادي بفطرته يستطيع
أن يميز إلى حد ما بين ما هو خير وما هو شر، فقد جبل على فعل وحب الأفعال الحسنة،

واستهجان الأفعال القبيحة، ورغم وجود قوة هذه الفطرة الإنسانية، فهناك عوامل مختلفة تجعله أعمى البصيرة، زائغا إلى الضلالة .

لكن الله تعالى سنّ قوانين أخلاقية وقيض لها نفوسا داعية إلى التمسك بها، قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِيعٌ رِضْوَانَهُ سُلَى السَّلَاوِي خَرَجَهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة : 15 ، 16]

فالهدف الرئيس من البحث هو :

- سير أغوار موضوع الاستقامة لغرض الخروج بتصوّر ناضج حولها من خلال القرآن كلاً .
- توضيح الاستقامة كما يصورها القرآن الكريم عبر آياته.
- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية في جانب التفسير الموضوعي.

رابعاً : منهج البحث

منهج البحث الذي اعتمده هو منهج التفسير الموضوعي التجميعي، حيث قمت باستقراء وإحصاء الآيات المتعلقة بموضوع الاستقامة من خلال سور القرآن الكريم وحاولت تقسيمها إلى مقتضيات ومجالات، ثم عملت على تفسيرها وتحليلها معتمدة آلية التفسير التحليلي ، مستعينة بكتب التفسير واللغة، مستأنسة بمعاجم الموضوعات والألفاظ في إيجاد موضوعات المقتضيات والعلاقة بينها انطلاقاً من إشكالية البحث، آملة الوصول إلى رؤية قرآنية حول الموضوع .

خامساً :خطة البحث

قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، حيث تناولت في المقدمة موضوع البحث وإشكاليته ، ثم بينت أهميته وأسباب اختياري للموضوع ، كما وقفت على أهداف البحث وفصلت خطته ، وبينت الدراسات السابقة ، وأهم المصادر المعتمدة في البحث .

أما الفصل الأول جعلته لشرح بعض المفاهيم الأساسية، فقسمته إلى مبحثين، المبحث الأول
تعريف الاستقامة وحقيقتها ،قسمته إلى مطلبين اثنين ، تناولت في الأول منهما، تعريف
الاستقامة، وفي الثاني، حقيقتها .

المبحث الثاني :فضل الاستقامة ودرجاتها ، بينت في المطلب الأول منه فضل الاستقامة ، وفي
المطلب الثاني درجات الاستقامة .

الفصل الثاني : أسس الاستقامة ومجالاتها، وقسمته إلى مبحثين ، المبحث الأول منه دار
الحديث فيه عن أسس الاستقامة وقسم إلى خمسة مطالب : المطلب الأول: الهداية ،
المطلب الثاني: العبادة ، المطلب الثالث :اتباع الصراط المستقيم ، المطلب الرابع :التوحيد ،
المطلب الخامس :اجتناب الطاغوت.

المبحث الثاني : مجالات الاستقامة ، وتناولته في ثلاث مطالب، المطلب الأول: الاستقامة في
العقائد ، المطلب الثاني : الاستقامة في الشرائع ، المطلب الثالث: الاستقامة في الأخلاق.
الفصل الثالث : أبعاد الاستقامة وأثرها على الفرد والمجتمع ، وقسمته إلى مبحثين : المبحث الأول
: أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد ، وتناولته في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: إصلاح
العقائد ، المطلب الثاني: إصلاح نفسي وعقلي، المطلب الثالث: إصلاح تربوي وروحي.
المبحث الثاني : أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع ، وقسمته إلى مطلبين ، المطلب الأول
:إصلاح خلقي اجتماعي ، المطلب الثاني :إصلاح الأمة .

الفصل الرابع: تحدثت فيه عن أعظم شخصية تاريخية مستقيمة ،هي شخصيته صلى الله عليه
وسلم، وعنوانته بالرسول صلى الله عليه وسلم خير أنموذج في الاستقامة، قسمت هذا الفصل إلى
مبحثين ، المبحث الأول :سيرته صلى الله عليه وسلم، وتناولته في ثلاثة مطالب، المطلب الأول
:نسبه ومولده صلى الله عليه وسلم، المطلب الثاني :طفولته صلى الله عليه وسلم، المطلب الثالث:
شبابه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : مجالات استقامته صلى الله عليه وسلم، قسمته هو الآخر إلى ثلاثة مطالب ،
المطلب الأول:استقامته صلى الله عليه وسلم في أخلاقه، المطلب الثاني : استقامته صلى الله

عليه وسلم في عبادته ، المطلب الثالث: استقامته صلى الله عليه وسلم في معاملاته. وأخيرا خاتمة.

سادسا : الدراسات السابقة

في حدود علمي لم أقف على دراسة أكاديمية سابقة تبحث في هذا الموضوع وتدرسه دراسة موضوعية شاملة في القرآن الكريم.

سابعا: مصادر البحث

أهم المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي بعد كتاب الله تعالى، كتب التفسير وأهمها :

- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور.

- تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد بن علي رضا.

- تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي .

-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي .

- في ظلال القرآن لسيد قطب.

-تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي.

وكتب الحديث:

- الجامع الصحيح المسمى صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

النيسابوري.

-موطأ الإمام مالك لمالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.

-مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني.

-سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

ثامنا: صعوبات البحث

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث فقد تلخصت في الآتي:
- عدم القدرة على تصور البحث في بدايته ، تصورا كاملا، مما جعلني أضيع وقتا طويلا دون الانطلاق فيه .

-تشعب البحث واتصاله بباقي العلوم الشرعية كالعقيدة والفقہ والسيرة...

-قلة التفاسير التي تهتم بالنظرة الكلية لموضوعات القرآن الكريم.

-قلة المراجع الحديثة التي تخدم البحث في إطار منهج التفسير الموضوعي.

-قلة المراجع المهمة بأبعاد القرآن الكريم .

الفصل الأول : مفاهيم أساسية

المبحث الأول : تعريف الاستقامة وحقيقتها

المطلب الأول : مفهوم الاستقامة

المطلب الثاني : حقيقة الاستقامة

المبحث الثاني : فضل الاستقامة ودرجاتها

المطلب الأول : فضل الاستقامة

المطلب الثاني : درجات الاستقامة

المبحث الأول : تعريف الاستقامة وحيقيتها

المطلب الأول : مفهوم الاستقامة

المطلب الثاني : حقيقة الاستقامة

المطلب الأول: مفهوم الاستقامة

الفرع الأول: مفهوم الاستقامة لغة

الاستقامة مصدر الفعل المزيد استقام ومجرده قوم .

والقيام يأتي بمعنى العزم، كما يأتي بمعنى المحافظة والإصلاح، قال ابن منظور: "ومنه قوله تعالى: { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُهُمْ كَانُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ دِبَابًا } [الجن : 19] أي لما عزم، وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: { الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَدِيمًا أُفْقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ } [النساء : 34] وقوله تعالى: { إِلَّا مَا نَعْتَّ عَلَيْهِ قَائِمًا } [آل عمران : 75] ¹

ويأتي بمعنى الوقوف والثبات وعليه فسروا قوله سبحانه { يَكَادُ الْبُقُ يُخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ كَمَا أَضَالَهُمْ ثُمَّ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا } [البقرة : 20] قال أهل اللغة والتفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين ومنه التوقف في الأمر وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة.

والاستقامة معناها: الاعتدال والاستواء والعمل بطاعة الله والتزام سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك الشرك، قال ابن منظور: "والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر وقوله تعالى: { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ } [فصلت : 6] أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى وقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَّوَلَّوْا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمُ الْمَلَايِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: 30] معنى قوله استقاموا، عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال الأسود بن هلال: ثم استقاموا لم يشركوا به شيئاً، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله، قال كعب بن زهير:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج12 ص496.

فهم صرفوكم حين جرتم عن الهدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيم"¹

وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الصَّلَاةَ أَهْلَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9] "قال الزجاج: معناه للحالة التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان برسله، والعمل بطاعته، واستعمل أبو إسحاق ذلك في الشعر فقال: استقام الشعر اتزن. وقوم دراه: أزال عوجه"²

كما تأتي الاستقامة بمعنى التقويم "قول أهل مكة: استقمت المتاع: أي قومتهم وفي الحديث قالوا: يا رسول الله لو قومت لنا فقال "الله هو المقوم" أي لو سعت لنا، وهو من قيمة الشيء، أي حننت لنا قيمتها"³

أما القائم بالدين فهو المتمسك به والثابت والمواظب عليه "وفي الحديث: إن حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أحرر إلا قائماً"⁴ أي "لا أوت إلا متمسكاً بالإسلام"⁵. قال تعالى: {لِيُؤَاوِئَ سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً يَلْتَمُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: 113] إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به، يقال: قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به، ومنه الحديث "استقيموا لقریش ما استقاموا لكم فإن لم يفعلوا

1- ابن منظور: لسان العرب، ج12 ص496.

2- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المعروف بابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم -تحقيق الدكتور عبدالستار أحمد فراج، الطبعة الأولى: 1377-1958، ج6 ص365.

3- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ح/11826، باللفظ التالي: عن أبي سعيد قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: لو قومت لنا سعرتنا، قال: إن الله هو المقوم أو المسعر، إني لأرجو أن أفارقكم وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في مال ولا نفس.

4- أخرجه النسائي في سننه، باب كيف يخر للسجود، ح/1084 وأحمد بن حنبل في مسند حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح/15347، والطيالسي في مسنده، ح/1457.

5- سليمان بن داود بن الجارود، المتوفى سنة 204 هـ، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1419 هـ - 1999 م.

فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأبيدوا خضراءهم " ¹ أي دوموا لهم في الطاعة واثبتوا عليها ، ماداموا على الدين ، وثبتوا على الإسلام.

"وأمر قيم :مستقيم، وخلق قيّم : حسن ، ودين قيّم: مستقيم لا زيغ فيه، وكتب قيّة : مستقيمة تبين الحق من الباطل { وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة:5] أراد الملاءة الحنيفية"².

أما معنى القوم فقد ذهب أهل اللغة إلى أن معناها الجماعة من الرجال دون النساء ، قال الجوهري:"القوم :الرجال دون الذّساء، لا واحد له من لفظه. قال زهير:

"وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء"³

وقال تعالى:{ لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ } [الحجرات: 11] ثم قال سبحانه: { وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ } [الحجرات: 11]. ورّها دخل النّساء على سبيل التبع، لأنّ قوم كلّ نبيّ رجال ونساء. وجمع القوم أقوام، وجمع الجمع أقاوم، والقوم يذكّر ويؤنث، لأنّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كان للآدميين يذكّر ويؤنث، مثل رهط ونفر. قال تعالى: { وَكَتَبَ بِهِ قَوْمَهُ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَاطِمٌ بِوَكِيلٍ } [الأنعام : 66] فذكّر. وقال تعالى: { كَلَّبَتْ قَوْمَهُ وَحِ الْمَسْلِينِ } [الشعراء : 105] فأث. ⁴

والقيام نقيض الجلوس، "والقومة: المرّة الواحدة، قال ابن الأعرابي: قال عبد لرجل أراد أن يشتريه: لا تشتريني فإني إذا جعت أبغضت قوما وإذا شبعت أحببت نوما، أي أبغضت قياما من

1- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، من حديث ثوبان رضي الله عنه، ح/22442.

2- السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي -تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - ط1: 1428هـ/2007 - ج33- ص 184

3- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1: 1420-1999 ج 5 ص 396 ، مادة: قوم .

4- إسماعيل بن حماد الجوهري- الصحاح في اللغة- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار -دار العلم للملايين بيروت -الطبعة الرابعة كانون الثاني يناير 1990- م5 ص 2016.

موضعي، قال: قد صمت ربي فتقبل صامتي وقمت ليلي فتقبل قامتي، أدعوك يا رب من النار التي أعددت للكفار في القيامة"¹

"والقوام بالفتح العدل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان : 67]"²

" والقوام الطول الحسن"³

"وبالضم: داء في قوائم الشاء وبالكسر : نظام الأمر وعماده وملاكه"⁴
والقامة عند العرب : البكرة التي يسقى بها الماء من البئر"⁵

من خلال ما سبق نتوصل إلى أن للاستقامة عدة معان في اللغة منها الأساسية ومنها الثانوية.
ومن المعاني الأساسية:

1- الاعتدال والاستواء وضدها الاعوجاج.

2- العمل بطاعة الله ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك الشرك.

ومن المعاني الثانوية:

1- التقويم.

2- المدح والثناء.

3- الاتزان، وهذا المعنى يخص الشعر.

1 - لسان العرب -ج12 ص496

2-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح ،إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان-مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح بيروت1986،ص 233.

3- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة ،المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الجيل ،بيروت الطبعة : 1411هـ - 1919م.مادة: قوم ،ج 5، ص43.

4-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي : القاموس المحيط، دار العلم للجميع ،بيروت ،لبنان، ج4، ص168.

5 -أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي : تهذيب اللغة ، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 2004م 1425هـ ج7، ص321.

الفرع الثاني: معاني الاستقامة في القرآن الكريم

الاستقامة من المصطلحات القرآنية المركزية التي تملك دلالة قرآنية عميقة، تهدف إلى تبين ورسم الطريق الصحيح الذي من شأنه أن يجعل رؤية الحق واضحة. ولفظ الاستقامة ورد في القرآن الكريم في عشرة مواضع في صيغة الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: { فَاسْتَقِّمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود : 112] وورد وصفا للصراف المستقيم في خمسة وثلاثين موضعاً، قال تعالى: { اهْتَبِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] وورد وصفا للقسطاس في موضعين، أحدهما قوله تعالى: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَدْنَىٰ ذَٰلِكُمْ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الإسراء : 35] وثانيهما قوله تعالى: { وَزِنُوا بِالْقِطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } [الشعراء : 182] ولم يأت هذا اللفظ بصيغة المصدر (الاستقامة) في القرآن الكريم.

ولفظ الاستقامة ورد في القرآن الكريم على أربعة معان، هي:

1- الثبات والدوام على الدعوة إلى الدين، ومن ذلك قوله تعالى: { فَاسْتَقِّمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود : 112] وقوله: { ذَلِكَ فَادِعُوا سْتَقِّمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُ دَاعِيًا إِلَىٰهِ مِنَ الْإِسْلَامِ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ إِنِّي هُوَ الْبَصِيرُ } [البقرة : 175] وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعلامنا ولكم أعلامكم لأحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه الصير } [الشورى : 15]

وقوله: { قَالُوا قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَبْغُوا سُبُلَ الْبَغِيَّةِ } [يونس : 89]

2- الثبات على التوحيد، قال تعالى: { إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأُشْرُوا بِالْجِنَّاتِ كُنْتُمْ تَوَعُّونَ } [فصلت : 30]

3- الثبات على طاعة الله والتزام أحكامه، قال تعالى: { وَأَلَّا وَاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً

غَدَقًا } [الجن : 16]

4- الوفاء بالعهد والثبات عليه، قال تعالى: { فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ

الْمُتَّقِينَ } [التوبة : 7]

لفظ الاستقامة في القرآن الكريم يأتي بمعنى الثبات على الأمر والدوام والاستمرار عليه.

الفرع الثالث: مفهوم الاستقامة اصطلاحاً

بعدما تعرّفنا على المعاني اللغوية للفظ الاستقامة، نورد مجموعة من التعريفات الاصطلاحية.

أولاً: تعريفات السلف الصالح

" سئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة؟ فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً." ¹ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعالب " ².

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "استقاموا أخلصوا العمل لله " ³. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " استقاموا: أئوا الفرائض " ⁴. وقال ابن عباس: " استقاموا على أداء الفرائض " ⁵

"وقال الحسن : استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله. وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يرتبوا. وقال قتادة : كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة." ⁶

ثانياً: تعريفات العلماء والمفسرين

عرّف العلماء و المفسرون الاستقامة بتعريفات مختلفة و متباينة أهمها ما يلي:

1- تعريف ابن تيمية: قرن ابن تيمية بين الاستقامة والاعتدال، حيث يرى أنهما خلقان

متلازمان، ينتج عنهما العمل بالطاعة واجتناب المعاصي ، فقال رحمه الله تعالى :

1- عزاه السيوطي في الدر المنثور: 321/7-322 لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم

2- أخرجه الطبري: 115/24، و عزاه السيوطي في الدر المنثور: 322/7 لابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر .

3-البحر المحيط: 496/7.

4-أخرجه الطبري: 115/24.

5- أخرجه الطبري: 115 /24 و عزاه السيوطي في الدر المنثور: 322/7 لابن المنذر وابن أبي حاتم

6-تفسير البغوي: 172/7.

إِنَّ الْأَسْتِقَامَةَ وَالْإِعْتِدَالَ مَتَلَاذِمَانِ فَمَنْ كَانَ قَوْلُهُ وَعَلَهُ بِالْقَطِّ كَانَ مُتَقِيماً وَمَنْ كَانَ قَوْلُهُ وَعَلَهُ مُتَقِيماً كَانَ قَائِماً بِالْقَطِّ وَلِهَا ذَا أَمْرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ نَسْأَلَهُ أَنْ يَهَيِّئَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الدِّينِ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ: مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَصِرَاطُهُمْ هُوَ الْعِلْمُ وَالْمِيزَانُ؛ لِذَلِكَ يَقُومُ النَّاسُ بِالْقَطِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هُوَ الْعِلْمُ بِطَاعَتِهِ وَتَرْكُ مَعْصِيَةِ فَالْمَعْصِيَةُ هِيَ الظُّلْمُ مُنَاقِضٌ لِلْعِلْمِ مُخَالَفٌ لِلْعِلْمِ بِالْقَطِّ وَالْعِلْمُ وَاللَّاهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ. ¹.

2-تعريف الجرجاني: عرف الجرجاني الاستقامة بقوله: "وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، والاستقامة أن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل".²

أما الجرجاني فيرى أن الاستقامة تشمل كل أمر ديني ودنيوي، وذلك بمراعاة حد التوسط فيها ويكون ذلك بإرشاد الشرع والعقل.

3-تعريف الطاهر بن عاشور: عرف الطاهر بن عاشور الاستقامة بتبيين حقيقتها فقال رحمه الله تعالى: "الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل، والسين والتاء للمبالغة في التقوم، وتطلق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق. قال تعالى: { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْهُ } [فصلت : 6] وقال: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَلِكٍ وَلَا تَطْغَاءُ } [هود : 112] ويقال: استقامت البلاد للملك: أي أطاعت، ومنه قوله تعالى: { فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [التوبة : 7] استقاموا هنا

1-تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی : مجموع الفتاوى ،المحقق : أنور الباز - عامر الجزار ،دار الوفاء،الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 - ج10 ص466.

2-العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات ، مكتبة لبنان ،ساحة رياض الصلح ، بيروت لبنان ط ،1985،ص19

يشمل معنى الوفاء بما كُفوا به وأول ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على أصل التوحيد، أي لا يغيروا ولا يرجعوا عنه"¹.

انطلق بن عاشور من التعريف اللغوي للاستقامة، وتحدث عن حقيقتها وهي عدم الاعوجاج و الميل، ثم بين معناها وهو حسن العمل والسير على الحق والصدق، وأن أهم مقتضياتها هو التوحيد والثبات عليه وعدم تغييره والرجوع عنه. وهي مرتبة أعلى من مرتبة التوحيد، فهي تشملها وتشمل الثبات عليه، والعمل بما يستدعيه، فيقول رحمه الله تعالى: "الاستقامة زائدة في الرتبة على الإقرار بالتوحيد، لأنها تشملها وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه"².

ويذهب الشيخ إلى أن الاستقامة أساس الأعمال الصالحة، على أن تكون وسطا من غير إفراط ولا تفريط، وهي أيضا أساس كمال الاعتقاد من غير توغل في جانب النفي، ولا توغل في جانب الإثبات. يقول رحمة الله عليه: "أساس الأعمال الصالحة هو الاستقامة على الحق، على أن تكون وسطا غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط. قال تعالى: { اهْتَدِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة: 6]

وقال: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة : 143] على أن كمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى جانب التشبيه والتمثيل، بل يمشي على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل"³.

فالشيخ الطاهر بن عاشور يرى أن الاستقامة هي الوسطية والاعتدال في العمل الصالح وفي الاعتقاد.

1- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي : التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الأولى، 1420هـ/2000 ج25 ص12.
2- ابن عاشور: التحرير والتنوير ج25 ص13.
3- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج24 ص282.

4-**تعريف البقاعي:** فسّر البقاعي الاستقامة بقوله: "استقاموا : طلبوا وأوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، ولم يشركوا به صنما ولا وثنا ولا آدميا ولا ملكا ولا كوكبا ولا غيره، بعبادة ولا رياء وعملوا بما يرضيه، وتجنبوا كلّ ما يسخطه، وإن طال الزمان"¹

5-**تعريف أحمد الشرباصي :** ذهب الشيخ أحمد الشرباصي إلى أنّ الاستقامة هي "الإقامة على الإسلام، والدوام على هدى الله عزّ وجلّ، والاستمرار في التقيد بقيوده، والوقوف عند حدوده، والاستجابة لأوامره، والانتهاز عن محارمه"².

من خلال التعريفات السابقة للاستقامة يمكن استنتاج ما يلي :

الاستقامة هي العمل على طاعة الله، واجتناب معصيته .

-أهم مقتضياتها هو التوحيد والثبات عليه، وهي مرتبة أعلى من مرتبة التوحيد.

- الاستقامة هي أساس الأعمال الصالحة ، وهي أساس كمال الاعتقاد.

- الاستقامة تعني الوسطية والاعتدال، بغير ميل إلى طرفي الإفراط والتفريط.

- الاستقامة تشمل كلّ أمر ديني ودنيوي.

1- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1 1415هـ، 1995م، ج17ص183.

2-الدكتور أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى 1971، ج1ص 165

المطلب الثاني : حقيقة الاستقامة

الفرع الأول: السير على الطريق

إن الاستقامة في الشرع تتضمن أمرين أولهما الإقامة على الإسلام، والسير على الطريق السوي.

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ قَاتِهِ } [آل عمران:102]. "إن كلمة « حق » - كما نعرف - تعني الشيء الثابت الذي لا يزول ولا يتزحزح ، أي لا ينتهي ولا يتذبذب ، هذا هو الحق .. واتقاء الله حق تقاته هو اتباع منهجه ، فيطاع الله ، باتباع المنهج فلا يعصي ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر ولا يكفر . وطريق الطاعة يوجد في اتباع المنهج ب « افعل » و « لا تفعل » ويذكر ولا ينسى؛ لأن العبد قد يطيع الله ، وينفذ منهج الله ، ولكن النعم التي خلقها الله قد تشغل العبد عن الله ، والمنهج يدعوك أن تتذكر في كل نعمة من أنعم بها ، وإياك أن تتسيك النعمة المنعم"¹

- وقال محمد رشيد رضا في تفسير الآية الكريمة: "استمروا على الإسلام ، وحافظوا على أعماله حتى الموت . فالمراد بالإسلام على هذا الدين إيمانه وعمله"²

- أما الطاهر بن عاشور فذهب إلى أن الآية تدعو إلى امتثال أوامر الله عز وجل واجتنب محرماته في كل الأعمال الظاهرة منها أو الباطنة، دون تقصير، مع وجوب الإخلاص، فقال رحمه الله تعالى: "وهذه الآية أصل عظيم من أصول الأخلاق الإسلامية وحاصل امتثال الأمر، واجتنب المنهي عنه، في الأعمال الظاهرة، والنوايا الباطنة. وحق التقوى هو أن لا يكون فيها تقصير، وتظاهر بما ليس من عمله، وذلك هو معنى قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}

1- محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي - (1 / 1113)

2- محمد رشيد بن علي رضا : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م (4 / 17)

[التغابن: 16] لأن الاستطاعة هي القدرة، والتقوى مقدور للناس.¹ كما بين ابن عاشور أنه لا تعارض ولا نسخ بين الآيتين: {يَلِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ} و{وَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ} مَأْسُومَةٌ} فقال: "وبذلك إن لم يكن تعارض بين الآيتين، ولا نسخ، وقيل: هاته منسوخة بقوله تعالى: فَرَأَيْنَا وَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ} لأن هاته دلت على تقوى كاملة كما فسرهما ابن مسعود: أن يطاع فلا يعصي، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ورووا أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من يقوى لهذا فنزل قوله تعالى: فَرَأَيْنَا وَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ} فنسخ هذه بناء على أن الأمر في الآيتين في الوجوب، وعلى اختلاف المراد من التقويين. والحق أن هذا بيان لا نسخ، كما حققه المحققون، ولكن شاع عند المتقدمين إطلاق النسخ على ما يشمل البيان.² وأكد الشيخ الرازي أنه لا يجوز النسخ في الآية الكريمة بناء على أدلة أوردها فقال: "قال بعضهم هذه الآية منسوخة وذلك لما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين لأن حق نقاته: أن يطاع فلا يعصى طرفة عين، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، والعباد لا طاقة لهم بذلك، فأنزل الله تعالى بعد هذه الآية: وَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ونسخت هذه الآية أولها ولم ينسخ آخرها وهو قوله {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102] وزعم جمهور المحققين أن القول بهذا النسخ باطل واحتجوا عليه من وجوه الأول: ما روي عن معاذ أنه عليه السلام قال له: «هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله أعلم، قال: هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»³

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (3 / 173)

2- ابن عاشور: نفسه.

3 - أخرجه البخاري، باب من أجاب بليك وسعديك، ح/6267، وفي باب إرداف الرجل خلف الرجل، ح/5967، وفي باب من جاهد نفسه في طاعة الله، ح/6500. وأخرجه مسلم، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك، ح/152، 155، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، ح/4296. وأحمد بن حنبل في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح/10808، وفي مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح/13768. وأورده البزار في مسنده، ح/9635.

وهذا لا يجوز أن ينسخ الثاني : أن معنى قوله اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ قَاتِهِ أَي كما يحق أن يتقى ، وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه ، ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ لأنه إباحة لبعض المعاصي ، وإذا كان كذلك صار معنى هذا ومعنى قوله تعالى فَاذْكُرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ { [التغابن : 16] واحداً لأن من اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقاته ، ولا يجوز أن يكون المراد بقوله حَقَّ قَاتِهِ ما لا يستطيع من التقوى ، لأن الله سبحانه أخبر أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها والوسع دون الطاقة ونظير هذه الآية قوله : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج : 78] فإن قيل : أليس أنه تعالى قال : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [الأنعام : 91].

قلنا : سنبين في تفسير هذه الآية أنها جاءت في القرآن في ثلاثة مواضع كلها في صفة الكفار لا في صفة المسلمين أما الذين قالوا : إن المراد هو أن يطاع فلا يعصى فهذا صحيح والذي يصدر عن الإنسان على سبيل السهو والنسيان فغير قادح فيه لأن التكليف مرفوع في هذه الأوقات ، وكذلك قوله : أن يشكر فلا يكفر ، لأن ذلك واجب عليه عند خور نعم الله بالبال ، فأما عند السهو فلا يجب ، وكذلك قوله : أن يذكر فلا ينسى ، فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة وكل ذلك مما لا يطاق ، فلا وجه لما ظنوه أنه منسوخ.

قال المصنف رضي الله تعالى عنه ، أقول : للأولين أن يقرروا قولهم من وجهين الأول : أن كنه الإلهية غير معلوم للخلق ، فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوماً للخلق ، وإذا لم يحصل العلم بذلك لم يحصل الخوف اللائق بذلك فلم يحصل الاتقاء اللائق به الثاني : أنهم أمروا بالاتقاء المغلظ والمخفف معاً فنسخ المغلظ وبقي المخفف ، وقيل : إن هذا باطل ، لأن الواجب عليه أن يتقى ما أمكن والنسخ إنما يدخل في الواجبات لا في النفي لأنه يوجب رفع الحجر عما يقتضي أن يكون الإنسان محجوراً عنه وإنه غير جائز¹.

1- فخر الدين بن عمر التميمي الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1421-2000، ج 8 ص 141 .

الفرع الثاني: الاستمرار والثبات على هدى الله تعالى

الدوام على هدى الله عز وجل، والاستمرار في التقيد بقيوده و الثبات على طريقه حتى الممات هو الأمر الثاني الذي تتضمنه الاستقامة، وذلك في قوله تعالى: { وَلَا تَهْوِنُوا وَلَا تَهُونُوا لَهَا } وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ { [آل عمران:102]

فهذه الآية تتضمن الأمر بالدوام والاستمرار على الاستقامة والتمسك بالدين الإسلامي. والمعنى: استقيموا واثبتوا على التقوى حتى يأتيكم الموت وأنتم على ذلك، كما ورد في الحديث الصحيح: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَجَ عَنِ النَّارِ وَيَخْلَى الْجَنَّةَ فَلتَأْتَهُمُ ذِيئُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَلْتَمِسُ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ"¹

يقول الشيخ ابن عاشور: "وقوله: { وَلَا تَهْوِنُوا وَلَا تَهُونُوا لَهَا } نهي عن أن يموتوا على حالة في الدين إلا على حالة الإسلام فمحط النهي هو القيد: أعني المستثنى منه المحذوف والمستثنى هو جملة الحال، لأنها استثناء من أحوال، وهذا المركب مستعمل في غير معناه لأنه مستعمل في النهي عن مفارقة الدين بالإسلام مدة الحياة، وهو مجاز تمثيلي علاقته للزوم، لما شاع بين الناس من أن ساعة الموت أمر غير معلوم كما قال الصديق:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فالنهى عن الموت على غير الإسلام يستلزم النهي عن مفارقة الإسلام في سائر أحيان الحياة

ولو كان المراد به معناه الأصلي لكان ترخيصاً في مفارقة الإسلام إلا عند حضور الموت

1 . - أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ح/6807.

وهو معنى فاسد "وقد تقدم ذلك في قوله تعالى {وَلَا تُهَوِّنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:102]¹"
 أما محمد رشيد رضا فقد قال في تفسير الآية الكريمة: "أَمَّا قَوْلُهُ -تَعَالَى - : وَلَا تُهَوِّنْ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَمَعْنَاهُ عَلَى الْمُخْتَارِ عِنْدَ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ : اسْتَمِرُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَحَافِظُوا عَلَى
 أَعْمَالِهِ حَتَّى الْمَوْتِ . فَالْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ عَلَى هَذَا الدِّينِ إِيْمَانُهُ وَعَمَلُهُ ، وَوَجْهُ الْاِخْتِيَارِ أَنَّهُ جَاءَ فِي
 مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ : يُثْبِتُكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَبَعْدَ الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى حَقَّ التَّقْوَى . وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ
 الْإِخْلَاصُ ، وَقِيلَ الْإِيْمَانُ نُونٌ الْعَلَى لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَمِرُ إِلَى الْمَوْتِ . أَقُولُ : وَهَذَا النَّهْيُ
 مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَةٍ أَنَّ الْمَرْءَ يُؤْتِ غَالِبًا عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا عَاشَ عَلَى الْيَقِينِ حَقَّ التَّقْوَى
 وَالْإِحْتِرَاسِ مِمَّا يَنْفِي الْإِسْلَامَ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ الَّذِي كَانَتْ تِلْكَ الْقَاعِدَةُ مِنْ سِتِّهِ فِي
 حَقِّهِ."²

فحقيقة الاستقامة تكمن في الثبات على الدين الإسلامي، والسير على الطريق السوي، وذلك
 باتتباع أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه وسلوك الطريق السوي، وهو طريق الطاعة، فيعبد الله عز
 وجل حقَّ عبادته، فلا يعصى ولا ينسى حتى الممات .

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير (3 / 174)

2- محمد رشيد رضا: تفسير المنار (4 / 17)

المبحث الثاني: فضل الاستقامة ودرجاتها .

المطلب الأول : فضل الاستقامة .

المطلب الثاني: درجات الاستقامة .

المطلب الأول: فضل الاستقامة

ذكر الله سبحانه وتعالى فضل الاستقامة في كتابه العزيز في أكثر من موضع، وبين أنها سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: { إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأحقاف: 13-14].

وقال: { إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَلَوْنَهُمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: 30]. فالله تعالى قد أثنى على أهل الاستقامة، ووعدهم بالثواب الجزيل، وبالأجر العظيم، وبشهرهم بنزول الملائكة عليهم تبشرهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقيل نزول الملائكة يكون في وقت الحشر لأجلهم، كما قيل أنه يجوز أن تنزل عليهم في الدنيا، وهو تنزل خفي، حيث أنها تلقي في نفوسهم ما يصرف عنهم الخوف والحزن، ويذكرهم بالجنة فتطمئن قلوبهم، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: " وتنزل الملائكة على المؤمنين يحتمل أن يكون في وقت الحشر كما دل عليه قولهم {الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ، وكما يقتضيه كلامهم لهم لأن ظاهر الخطاب أنه حقيقة، فذلك مقابل قوله { وَوَمِ يَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَيْ التَّارِفِهِمْ مِ يُوَزَعُونَ } [فصلت: 19] فأولئك تلاميذ الملائكة بالوزع، والمؤمنون تنزل عليهم الملائكة بالأمن.

وذكر التنزل هنا للتبويه بشأن المؤمنين أن الملائكة ينزلون من علوياتهم لأجلهم فأما أعداء الله فهم يجدون الملائكة حضرا في المحشر يزعونهم وليسوا يتنزلون لأجلهم فثبت للمؤمنين بهذا كرامة كرامة الأنبياء والمرسلين إذ ينزل الله عليهم الملائكة. والمعنى: أنه يتنزل على كل مؤمن ملكان هما الحافظان اللذان كانا يكتبان أعماله في الدنيا. ولتضمن {تنزل} معنى القول وردت بعده "أن" التفسيرية. والتقدير: يقولون لا تخافوا ولا تحزنوا.

ويجوز أن يكون تنزل الملائكة عليهم في الدنيا، وهو تنزل خفي يعرف بحصول آثاره في نفوس المؤمنين ويكون الخطاب ب {أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا} بمعنى إقائهم في روعهم عكس وسوسة

الشياطين القرناء بالتزيين، أي يلقون في أنفس المؤمنين ما يصرفهم عن الخوف والحزن ويذكرهم بالجنة فتحل فيهم السكينة فتشرح صدورهم بالثقة بحلولها، ويلقون في نفوسهم نبذ ولاية من ليسوا من حزب الله، فذلك مقابل قوله { وَقَيَّضَ لَهُمْ قُرْنَاءَ } [فصلت:25] الآية فإنه تقييض في الدنيا. وهذا يقتضي أن المؤمنين الكاملين لا يخافون غير الله، ولا يحزنون على ما يصيبهم، ويوقنون أن كل شيء بقدر، وهم فرحون بما يترقبون من فضل الله¹.

وذهب الرازي إلى أن نزول الملائكة قد يكون عند الموت، وقد يكون في مواقف ثلاثة: عند الموت وفي القبر وعند البعث، وبين أن الغاية القصوى في رعاية المصالح دفع المضار وجلب المصالح، وأن دفع المضرة أولى من جلب المصلحة، والمضرة قد تكون حاصلة إما في الحاضر أو في المستقبل أو في الماضي، والمستقبل مقدم على الحاضر، والحاضر مقدم على الماضي، فالشيء قبل وجوده بتوقع حدوثه يكون مستقبلا، ثم يصير حاضرا بوجوده، فإذا انتهى وفني يصير ماضيا، والمستقبل في كل ساعة يصير أقرب حصولا من الماضي، يقول رحمه الله تعالى: "وإذا ثبت هذا فالمضار التي يتوقع حصولها في المستقبل أولى بالدفع من المضار الماضية، وأيضا الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة في المستقبل، والغم عبارة عن تألم القلب بسبب قوة نفع كان موجودا في الماضي، وإذا كان كذلك فدفع الخوف أولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغم، إذا عرفت هذا، فنقول: إنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم في أول الأمر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة، ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا، وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية، ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى: { وَأَشْرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعُونَ } [فصلت:30]. فإن قيل البشارة عبارة عن الخبر الأول بحصول المنافع، فأما إذا أخبر الرجل بحصول منفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان الإخبار الثاني إخبارا ولا يكون بشارة، والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فإذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا إخبارا ولا

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير (25 / 51)

يكون بشارة ، فما السبب في تسمية هذا الخبر بالبشارة ، قلنا المؤمن يسمع أن من كان مؤمنا تقيا كان له الجنة ، أما من لم يسمع ألبتة أنه من أهل الجنة فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا إخبارا بنفع عظيم مع أنه هو الخبر الأول بذلك فكان ذلك بشارة.

واعلم أن هذا الكلام يدل على أن المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث لا يكون فازعا من الأهوال ومن الفزع الشديد ، بل يكون آمن القلب ساكن الصدر لأن قوله **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا** { يفيد نفي الخوف والحزن على الإطلاق.¹

كما بشرهم الله عز وجل بالجنة التي وعدهم بها، وقيض لهم ملائكة يكونون قرناءهم في الحياة الدنيا، ويشهدون بالثناء عليهم، عكس الكفار الذين قويض لهم قرناء، وأنطق أتباعهم باللائمة عليهم، فالملائكة التي قيضها الله تعالى للمستقيمين خاصة برفقتهم وولائهم ولا حظ للكافرين فيهم ، " وفي ذكر فعل الكون تنبيه على أنهم متأصلون في الوعد بالجنة وذلك من سابق إيمانهم وأعمالهم. وفي التعبير بالمضارع في {تواعدون} إفادة أنهم قد تكرر وعدهم بها، وذلك بتكرر الأعمال الموعود لأجلها وتكرر الوعد في مواقع التذكير والتبشير.

وقول الملائكة **{ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }** [فصلت: 31] تعريف بأنفسهم للمؤمنين تأنيسا لهم.

فإن العلم بأن المتلقي صاحب قديم يزيد نفس القادم انشراحا وأنسا ويزيل عنه دهشة القدوم، يخفف عنه من حشمة الضيافة، ويزيل عنه وحشة الاغتراب، أي نحن الذي كنا في صحبتكم في الدنيا، إذ كانوا يكتبون حسناتهم ويشهدون عند الله بصلاتهم كما في حديث " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم

يصلون وتركناه وهم يصلون"¹. وقد حفظوا العهد فكانوا أولياء المؤمنين في الآخرة، وقد جيء بهذا القول معترضاً بين صفات الجنة ليتحقق المؤمنون أن بشارتهم بالجنة بشارة محب يفرح لحبيبه بالخير ويسعى ليزيده."²

خصَّ الله تعالى المستقيمين بأعوان من الملائكة في الدنيا والآخرة تؤثر على أرواحهم بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية، فتكون ولاية الملائكة لهم باقية .

" ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية ، بالإلهامات والمكاشفات اليقينية ، والمقامات الحقيقية ، كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوسوس فيها وتخيل الأباطيل إليها. وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات ، فهم يقولون : كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فإن تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال ، بل كأنها تصير بعد الموت أقوى وأبقى ، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة ، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس ، والقطرة بالنسبة إلى البحر ، والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة ، فإذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية ، فقد زال الغطاء والوطاء ، فيتصل الأثر بالموثر ، والقطرة بالبحر ، والشعلة بالشمس ، فهذا هو المراد من قوله { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [فصلت:31]"³

وبين الرازي أن قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ } [فصلت:31] إشارة إلى الجنة الجسمانية ، أما قوله { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ } [فصلت:31] إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في

1- أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل صلاة العصر، ح/555، ح/3223 وفي باب قوله تعالى : { تَتَّخِذُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } وفي باب قوله جَلَّ نَكْرُهُ : { لِذِي صَعْدِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ } ح/7429. وفي باب كَلَامِ الرَّبِّ جَمْعَ جَبِيلٍ وَذِيَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ . وأخرجه مالك في الموطأ من رواية يحيى الليثي، باب جامع الصلاة، ح/411. وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، ح/1464، والنسائي في سننه ،باب فضل صلاة الجماعة، ح/485، والبخاري م/16 ص70.

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير (25 / 52)

3- الرازي: مفاتيح الغيب (27 / 561)

قوله ﴿بَعَاثَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَمِمَّ حَيْثُ مَّ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : 10].

وفسر قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ غُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: 32] بقوله: "والنزل : رزق النزول وهو الضيف ، وانتصابه على الحال ، قال العارفون : دلّت هذه الآية على أن كل هذه الأشياء المذكورة جارية مجرى النزل ، والكريم إذا أعطى النزل فلا بد وأن يبعث الخلع النفيسة بعدها ، وتلك الخلع النفيسة ليست إلا السعادات الحاصلة عند الرؤية والتجلي والكشف التام ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا لها أهلاً بفضله وكرمه ، إنه قريب مجيب".¹

1-الرازي: مفاتيح الغيب (27 / 562)

المطلب الثاني: درجات الاستقامة

أمر الله تعالى في كتابه العزيز بالاستقامة فقال: {فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: 112] وقال: {فَلَنَلَاكَ فِادَعٌ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلَلِ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّنَا وَأَعْلَانَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّنَا وَأَعْلَانَا} [الشورى: 15] وقال في سورة يونس: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَطْمَئِنُّونَ} [يونس: 89]

فهل للاستقامة درجات؟ وما هي درجاتها؟

ذهب ابن قيم الجوزية إلى أن الاستقامة ثلاث درجات، أما الأولى منها فهي الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، واشترط لتحقيق هذه الدرجة ستة أمور هي: العمل والاجتهاد والاقتصاد والعلم والعبادة ومتابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال رحمه الله تعالى: وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد لا عاديًا رسم العلم ولا متجاوزًا حد الإخلاص ولا مخالفًا نهج السنة هذه درجة تتضمن ستة أمور: عملاً واجتهاداً فيه وهو بذل المجهود واقتصاداً وهو السلوك بين طرفي الإفراط وهو الجور على النفوس والتفريط بالإضاعة ووقوفاً مع ما يرسمه العلم لا وقوفاً مع داعي الحال وإفراد المعبود بالإرادة وهو الإخلاص ووقوع الأعمال على الأمر وهو متابعة السنة فبهذه الأمور الستة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة: إما خروجاً كلياً وإما خروجاً جزئياً¹

فالاستقامة هي التزام سلوك الوسطية والاعتدال في الأعمال، فلا إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [يونس: 89] وعلى هذا النهج سار السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد كانوا متمسكين بسنته صلى الله عليه وسلم، معتدلين في أعمالهم،

1- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1393 - 1973 (2 / 107).

فالخروج عن السنة بدعة، والتشديد على النفس غلو وتنتع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنتعون"¹ يقول الشيخ ابن القيم: "والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة : أخرجه عن الاعتصام بها وإن رأى فيه حرصا على السنة وشدة طلب لها : لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له : إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتقر مع أهل الفتور ولا تتم مع أهل النوم فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرج عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها كما أن الأول خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر .

وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف .

وقال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط ولما إلى مجاوزة وهي الإفراط ولا يبالى بأيهما ظفر : زيادة أو نقصان"²

فالدرجة الأولى من درجات الاستقامة هي الاجتهاد بإخلاص واقتصاد، مع اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قال عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنة أفلح ومن كانت

1-أخرجه مسلم، باب هلك المتنتعون،ح/6955، وأبو داود ، باب في لزوم السنة، ح/4610، أحمد بن حنبل ، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح/3655، والبخاري ،م5 ص264، وأبويعلى مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح/5004.

2-ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 108)

فترته إلى بدعة خاب وخسر" ¹ قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل ، كما قال بعض الصحابة : اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة .

الدرجة الثانية: فهي استقامة الأحوال، وقد اشترط لتحقيق هذه الدرجة ثلاثة شروط: شهود الحقيقة ، ورفض الدعوى، والبقاء على نور اليقظة.

أما الشرط الأول فبين أن الحقيقة حقيقتان: حقيقة كونية وأخرى دينية، بينهما حقيقة ثالثة وهي مصدرهما ومنشؤهما، وذهب إلى أن شهود الحقيقة الكونية هو شهود تفرد الرب بالأفعال وبالوجود، فالمستقيم يشهد تفرد الله تعالى بالأفعال وبالوجود، يقول رحمه الله تعالى: "استقامة الأحوال وهي شهود الحقيقة لا كسبا ورفض الدعوى لا علما والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظا يعني أن استقامة الحال بهذه الثلاثة .

1-أخرجه أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ،ح/6477، فقال:

حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد حدثني أبي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : زوجني أبي امرأة من قريش فلما دخلت على جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها فقال لها كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفنا ولم يعرف لنا فراشا فأقبل على فعذمني وعضني بلسانه فقال أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعزلتها وفعلت وفعلت ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه و سلم فشكاني فأرسل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأنتيته فقال لي أنتصوم النهار قلت نعم قال وتقوم الليل قلت نعم قال لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني قال اقرأ القرآن في كل شهر قلت اني أجدني أقوى من ذلك قال فافقره في كل عشرة أيام قلت اني أجدني أقوى من ذلك قال أحدهما أما حصين واما مغيرة قال فافقره في كل ثلاث قال ثم قال صم في كل شهر ثلاثة أيام قلت اني أقوى من ذلك قال فلم يزل يرفعني حتى قال صم يوما وأفطر يوما فإنه أفضل الصيام وهو صيام أخي داود صلى الله عليه و سلم قال حصين في حديثه ثم قال صلى الله عليه و سلم فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فأما إلى سنة واما إلى بدعة فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدي ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك قال مجاهد فكان عبد الله بن عمرو حيث ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك ثم يفطر بعد تلك الأيام قال وكان يقرأ في كل حزيه كذلك يزيد أحيانا وينقص أحيانا غير انه يوفي العدد أما في سبع واما في ثلاث قال ثم كان يقول بعد ذلك لأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب الي مما عدل به أو عدل لكني فارقتة على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره وأخرجه في باب: حديث رجل من الأنصار رضي الله عنه، ح/23521، وأخرجه البزار، ح/2346.

أما شهود الحقيقة فالحقيقة حقيقتان : حقيقة كونية وحقيقة دينية يجمعهما حقيقة ثالثة وهي مصدرهما ومنشؤهما وغايتهما وأكثر أرباب السلوك من المتأخرين : إنما يريدون بالحقيقة الحقيقة الكونية وشهودها هو شهود تفرد الرب بالفعل وأن ما سواه محل جريان أحكامه وأفعاله فهو كالحفير الذي هو محل لجريان الماء حسب .

وعندهم أن شهود هذه الحقيقة والفناء : فيها غاية السالكين ، ومنهم : من يشهد حقيقة الأزلية والدوام وفناء الحادثات وطبها في ضمن بساط الأزلية والأبدية وتلاشيها في ذلك فيشدها معدومة ويشهد تفرد موجدتها بالوجود الحق بالحق وأن وجود ما سواه رسوم وظلال ، فالأول : شهد تفرده بالأفعال وهذا شهد تفرد بالوجود"¹

أما الحقيقة الدينية فهي خاصة بالأوامر التي شرعها الله وأمر بها عباده، وهي التي يحبها ويرضاها، والنواهي التي نهى عنها، وهي التي يبغضها ويسخطها، وبهذه الحقيقة يحصل للعبد الممثل للأوامر، والمجتنب للنواهي درجة الإسلام، في حين لا يحصل عليها غيره " وصاحب الحقيقة الدينية في طور آخر فإنه في مشهد الأمر والنهي والثواب والعقاب والموالة والمعادة والفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يبغضه ويسخطه فهو في مقام الفرق الثاني الذي لا يحصل للعبد درجة الإسلام فضلا عن مقام الإحسان إلا به ، فالمعرض عنه صفحا لا نصيب له في الإسلام ألبتة وهو كالذي كان الجنيد يوصى به أصحابه فيقول : عليكم بالفرق الثاني وإنما سمي ثانيا لأن الفرق الأول : فرق بالطبع والنفس وهذا فرق بالأمر

والجمع أيضا جمعان : جمع في فرق وهو جمع أهل الاستقامة والتوحيد وجمع بلا فرق وهو جمع أهل الزندقة والإلحاد .

فالناس ثلاثة : صاحب فرق بلا جمع فهو مذموم ناقص مخذول وصاحب جمع بلا فرق وهو جمع أهل الزندقة والإلحاد ، فصاحبه ملحد زنديق، وصاحب فرق وجمع يشهد الفرق في الجمع

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 108، 109)

والكثرة في الوحدة فهو المستقيم الموحد الفارق وهذا صاحب الحقيقة الثالثة الجامعة للحقيقتين الدينية والكونية فشهود هذه الحقيقة الجامعة : هو عين الاستقامة"¹

وهناك حقيقة مشتركة بين المؤمنين والكفار وهي الحقيقة الكونية أو الأزلية والفناء فيها، فالكافر مقرّ بقدر الله وقضائه وأزليته وأبديته فاستغراقه في هذا الشهود وفناؤه به عن سواه هو شهود الحقيقة " وأما قوله لا كسبا أي يتحقق عند مشاهدة الحقيقة : أن شهودها لم يكن بالكسب لأن الكسب من أعمال النفس فالحقيقة لا تبدو مع بقاء النفس إذ الحقيقة فردانية أحدية نورانية فلا بد من زوال ظلمة النفس ورؤية كسبها والا لم يشهد الحقيقة"²

أما الشرط الثاني وهو رفض الدعوى، فالاستقامة لا تصح إلا بتركها سواء كانت حقا أو باطلا، فهي منافية لها، " وأما قوله : لا علما أي لا يكون الحامل له على ترك الدعوى مجرد علمه بفساد الدعوى ومنافاتها للاستقامة فإذا تركها يكون العلم قد نهى عنها فيكون تاركا لها ظاهرا لا حقيقة أو تاركا لها لفظا قائما بها حالا لأنه يرى أنه قد قام بحق العلم في تركها فيتركها تواضعا بل يتركها حالا وحقيقة كما يترك من أحب شيئا تضره محبته حبه حالا وحقيقة وإذا تحقق أنه ليس له من الأمر شيء كما قال الله عز و جل لخير خلقه على الإطلاق : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَهُمْ عَلَيْهِمْ ظَالِمُونَ } [آل عمران : 128] ترك الدعوى شهودا وحقيقة وحالا"³

أما الشرط الثالث والأخير لتتحقق الدرجة الثانية من درجات الاستقامة فهو البقاء من نور اليقظة، أي دوام اليقظة واستمرارها والابتعاد عن الغفلة، فقد قيل: " المسلم كيس فطن"

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 110، 109)

2- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 110)

3- المصدر نفسه.

"فهذه ثلاثة أمور : يقظة واستدامة لها وشهود أن ذلك بالحق سبحانه لا بك فليس سبب بقائه في نور اليقظة بحفظه بل بحفظ الله له وكأن الشيخ يشير إلى أن الاستقامة في هذه الدرجة لا تحصل بكسب وإنما هو مجرد موهبة من الله فإنه قال في الأولى : الاستقامة على الاجتهاد وفي الثانية استقامة الأحوال لا كسبا ولا تحفظا، ومنازعته في ذلك متوجهة وأن ذلك مما يمكن تحصيله كسبا بتعاطي الأسباب التي تهجم بصاحبها على هذا المقام ، نعم الذي ينفي في هذا المقام : شهود الكسب وأن هذا حصل له بكسبه ففي الكسب شيء ونفي شهوده شيء آخر"¹

الدرجة الثالثة : استقامة بترك رؤية الاستقامة وبالغيبية .

"تطلب الاستقامة بشهود إقامة وتقويمه الحق هذه الاستقامة معناها : الذهول بمشهوده عن شهوده فيغيب بالمشهود المقصود سبحانه عن رؤية استقامته في طلبه فإن رؤية الاستقامة تحجبه عن حقيقة الشهود ، وأما الغيبية عن تطلب الاستقامة فهو غيبته عن طلبها بشهود إقامة الحق للعبد وتقويمه إياه فإنه إذا شهد أن الله هو المقيم له والمقوم وأن استقامته وقيامه بالله لا بنفسه ولا بطلبه : غاب بهذا الشهود عن استشعار طلبه لها ، وهذا القدر من موجبات شهود معنى اسمه القيوم وهو الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد وقام كل شيء به فكل ما سواه محتاج إليه بالذات وليست حاجته إليه معللة بحدوث كما يقول المتكلمون ولا بإمكان كما يقول الفلاسفة المشاءون بل حاجته إليه ذاتية وما بالذات لا يعلل"²

من خلال الفصل الأول من البحث الموسوم بمفاهيم أساسية تبين لي أن :

الاستقامة هي مصدر الفعل المزيد استقام ، ومجرده قوم ، والقيام يأتي بمعنى العزم ، كما يأتي بمعنى المحافظة والإصلاح ، ويأتي أيضا بمعنى الوقوف والنبات.

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 111)

2- ابن قيم الجوزية: نفسه .

والاستقامة لغة هي : الاعتدال والاستواء والعمل بطاعة الله والتزام سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك الشرك. وضدها : الاعوجاج.

وتأتي الاستقامة في اللغة بمعان ثانوية ، كالتقويم، المدح والثناء ، والاتزان ، وهذا المعنى خاص بالشعر .

أما مفهومها في الاصطلاح فقد عرفها السلف الصالح بتعريفات متكاملة، مضمونها توحيد الله بإخلاص العمل لوجهه الكريم ، وعدم الإشراف به ، والعمل بطاعته ، وتجنب معصيته.

كما أورد العلماء والمفسرون جملة من التعريفات، انفقوا فيها على معنى الاستقامة ، وهي الاعتدال والتوسط في كل أمر ديني ودنيوي ، وذلك بإرشاد الشرع والعقل ، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات ، مع اختلاف في لفظ كل واحد منهم.

أما حقيقة الاستقامة فهي تتضمن أمرين هما:

1- الإقامة على الإسلام، والسير على الطريق السوي.

2- الدوام على هدى الله عز وجل، والاستمرار في التقيد بقيوده و الثبات على طريقه حتى الممات .

وللاستقامة فضل عظيم في الدنيا وفي الآخرة فهي سبيل السعادة الأبدية ، فقد أثنى الله عز وجل على أهل الاستقامة ، ووعدهم بالثواب الجزيل ، وبالأجر العظيم ، وبشرهم بنزول الملائكة عليهم، تبشرهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فثبت للمؤمنين بهذا التنزل كرامة كرامة الأنبياء والمرسلين إذ ينزل الله تعالى عليهم ملائكة .

كما بشرهم الله عز وجل بالجنة التي وعدهم بها ، وقبض لهم ملائكة يكونون قرناءهم في الحياة الدنيا .

وللاستقامة درجات ثلاثة :

الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، وتحقق هذه الدرجة بأمر ستة هي : العمل والاجتهاد والاقتصاد والعلم والعبادة ومتابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الدرجة الثانية :استقامة الأحوال، وقد اشترط لتحقيق هذه الدرجة ثلاثة شروط : شهود الحقيقة ، ورفض الدعوى ، والبقاء على نور اليقظة .

الدرجة الثالثة :استقامة بترك رؤية الاستقامة وبالغيبية عن طلبها .

الفصل الثاني أسس الاستقامة ومجالاتها

المبحث الأول: أسس الاستقامة

المطلب الأول: الهداية

المطلب الثاني: العبادة

المطلب الثالث: اتباع الصراط المستقيم

المطلب الرابع : التوحيد

المطلب الخامس: اجتناب الطاغوت

المبحث الثاني :مجالات الاستقامة

المطلب الأول: الاستقامة في العقائد

المطلب الثاني : الاستقامة الشرائع

المطلب الثالث : الاستقامة في الأخلاق

المبحث الأول: أسس الاستقامة

المطلب الأول: الهداية

المطلب الثاني: العبادة

المطلب الثالث: اتباع الصراط المستقيم

المطلب الرابع: التوحيد

المطلب الخامس: اجتناب الطاغوت

المبحث الأول: أسس الاستقامة .

المطلب الأول: الهداية .

إنَّ أساس الاستقامة كما ورد في القرآن الكريم هو الهداية، حيث قال الله تعالى: { اهْتَدُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] وقال { يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة : 142] وقال وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة : 213]

كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يسأل الله تعالى الهداية فكان يدعو بهذا الدعاء: "اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت"¹

-فما مفهوم الهداية؟ وما أنواعها ؟ وما مراتبها؟

- إذا كان الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فما ذنب الذي لم يهتد؟

1-حديث صحيح، مؤمل بن إسماعيل وإن كان سيئ الحفظ فقد تابعه غير واحد، وباقي رجاله ثقات. أبو الحوراء: هو ربيعة بن شيبان.
وأخرجه بنتمامه أحمد 200/1 عن يحيى القطان ومحمد بن جعفر، عن شعبة، به
وأخرجه بنتمامه عبد الرزاق "4984" ومن طريقه الطبراني في "الكبير" "2711" من طريق الحسن بن عمار، والطبراني "2708"، وأبو نعيم في "الحلية" 264/8 من طريق الحسن بن عبيد الله، كلاهما عن بريد بن أبي مريم، بهذا الإسناد والقسم الأول وهو قوله: "دع ما يريبك إلى ما يريبك فإن الصدق طمأنينة والشر ريبة" أخرجه الطيالسي "1178"، والترمذي "2518" في صفة القيامة، والحاكم في "المستدرک" 13/2 و 99/4 من طريق شعبة، به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وقوله "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" دون تتمته أخرجه النسائي 327/8 في الأشربة: باب الحث على ترك الشبهات، والدارمي 245/2، والبغوي في "شرح السنة" "2032"، من طريق شعبة، به
وفي الباب عن ابن عمر عند الطبراني في "الصغير" 102/1، وأبي الشيخ في "الأمثال" "40"، وأبي نعيم في "أخبار أصبهان" "243/2"، وفي "الحلية" 352/6، والخطيب في "تاريخ بغداد" 220/2 و 387 و 386/6، والقضاعي في "مسند الشهاب" "645" وقوله "الصدق طمأنينة والشر ريبة" أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" "275" من طريق شعبة، به. بلفظ "والكذب بدل".
"والشر

- كيف نجمع بين قوله تعالى مخاطبا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : 56] وقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : 52]

- ما حاجة العبد إلى الهداية؟

الفرع الأول: تعريف الهداية لغة

أولاً: الهداية لغة

هي الرشاد والدلالة، وهي نقيض الضلالة، قال ابن سيده "الهدى ضد الضلالة، وهو الرشاد والدلالة"¹.

وقد اختلف اللغويون في أصل الكلمة من ناحية التذكير والتأنيث، فمنهم من رأى أن اللفظة مؤنثة، ومنهم من رأى خلاف ذلك فذكرها. قال ابن جني: قال اللحياني: الهدى مذكر، قال وقال الكسائي: بعض بني أسد يؤنثه، تقول هدى مستقيمة"².

والفعل هدى متعد "أصله أن يتعدى باللام أو بالياء: كقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّاتِي هِيَ أَقْرَبُ وَيُضِلُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الإسراء: 9] وقوله: {وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ أَحَبَّ إِلَىٰ ذَاتِ الْأَعْرَافِ} [الأعراف: 155].

ويأتي الهدى بمعنى: البيان، قال قتادة: "في قوله عز وجل {وَأَمَّا ثُودُودُ فَهَرَبْنَا بِمَا فَاسْتَخَبْنَا} [القصص: 25] العى على الهى { [فصلت: 17]

أي: بيّنا لهم طريق الضلالة، فاستحووا: أي آثروا الضلالة على الهدى"³.

1- ابن منظور: لسان العرب، ص353.

2- المصدر نفسه.

3- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 2001م، ص35

وقوله عز وجل { قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ تُمِّ هَيَّ } [طه : 50] معناه : " خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع والتي هي أصلح الخلق له ثم هداه لمعيشته"¹.

وقوله عز وجل: { أَقْلَمَ بِهِنَّ مِمَّ أَهْلَهُنَّ أَبْلَهَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَشُورَنَ فِي سَلَكِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى } [طه : 128] قال أبو عمر بن العلاء أولم يبين لهم، وفي الحديث "أنه قال لعلي سل الله الهدى" وفي رواية : "قل اللهم اهدي وسدني وانكر بالهدى هدايتك الطريق وبالسداد تسديدك السهم"² والمعنى إذا سألت الله الهدى فأخطر بقلبك هداية الطريق، وسل الله الاستقامة فيه كما تتحرراه في سلوك الطريق، لأن سالك الفلاة يلزم الجأنة ولا يفارقها خوفا من الضلال، وكذا الرامي إذا رمى شيئا سدّ السهم نحوه ليصيبه فأخطر ذلك بقلبك، ليكون ما تنويه من الدعاء على شاكلة ما تستعمله في الرمي"³.

كما يأتي بمعنى الثبات والإرشاد، "فمن علي وأبي رضي الله عنهما، اهدنا : ثبّتنا، وصيغة الأمر والدعاء واحدة ، لأن كل واحد منهما طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة، وقرأ عبد الله أرشدنا"⁴.

1-الهروي: تهذيب اللغة، ص357.

2- أخرج النسائي في سننه، باب النهي عن الخاتم في السبابة، ح/2510، وأحمد بن حنبل في مسنده، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح/1124، والبزار في مسنده، ح/475، ح/562، ومسند الطيالسي، ح/156 .

3- لسان العرب، ص353.

4-العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي . بيروت، ط: 1407 هـ، ج1، ص15.

وتأتي لهداية أيضا بمعنى "الطاعة والورع، والهدى:الهادي، قال الله عز وجل: {إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنْتُ نَارًا لَعْنِي أَتِيكُمْ مِنْهَا أَبْقَسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُيَ} [طه : 10] أي
هاديا"¹.

1-الهروي: تهذيب اللغة ، ص357.

الفرع الثاني: تعريف الهداية اصطلاحاً

عرّف العلماء والمفسّرون الهداية بمجموعة من التعريفات أهمّها ما يلي:

تعريف البيضاوي: عرّفها على أنّها "دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير، وقوله تعالى: {

فَأَهْوَأَهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَنَّةِ } [الصافات : 23] على التهكم"¹.

تعريف محمّد رشيد رضا: ذهب الشيخ إلى أنّ الهداية " هي الدلالة بلطف على ما يوصل

إلى المطلوب"².

تعريف الطاهر بن عاشور: أمّا الشيخ الطاهر بن عاشور فقد ذهب مذهب الشيخ محمّد

رشيد رضا في تعريفه لمصطلح الهداية، لكنّه قيده بمرضاة الله عزّ وجلّ، فقال: "الهداية في

اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى: هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها

الضلالة هي التغيرير"³.

من خلال التعريفات الاصطلاحية السابقة للعلماء والمفسّرين اتّضح أنّه ليس هناك اختلاف

بينهم في تعريف الهداية، وجلّ التعريفات توحى إلى أنّ معناها هو الدلالة بلطف على ما يوصل

إلى المطلوب وهو مرضاة الله تعالى وفعل الخير.

1-ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،- تفسير البيضاوي، دار الفكر - بيروت ، ج1، ص70.

2- تفسير المنار، ج1ص62.

3- تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص185.

الفرع الثالث: أنواع الهداية

إنَّ الله عزَّ وجلَّ أثبت الهداية لرسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في قوله: { وَأَنْتَ لَا تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى : 52]. ونفاها عنه في آية أخرى في قوله: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَبِينَ } [القصص : 56] رغم أنَّ الفعل واحد وهو الهداية والفاعل واحد وهو الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومن هنا توصلَّ العلماء إلى أنَّ الهداية نوعان: هداية الدلالة اختصَّ بها الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أي أنَّه كان هاديا و دالا الناس إلى طريق الحق، وهي الهداية التي أثبتها الله عزَّ وجلَّ، أما الهداية الثانية فهي هداية المعونة، ويختصَّ بها الله تعالى وهي التي نفاها عن الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى: "والهداية نوعان: هداية دلالة وهداية معونة .

هداية الدلالة هي للناس جميعا، وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج الله، والله سبحانه وتعالى هدى كلَّ عباده هداية دلالة أي دلهم على طريق الخير وبينه لهم، فمن أراد أن يتَّبع طريق الخير اتَّبعه، ومن أراد ألا يتَّبعه تركه الله لما أراد"¹ .

فنستنتج أن هداية الدلالة تكون لجميع الخلق، للمؤمنين والكفار على السواء، على خلاف هداية المعونة التي لا تأتي إلا للمؤمنين، يقول الله تعالى: { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [التوبة : 109]. فالله عزَّ وجلَّ يبين لنا في هذه الآية صنفين من البشر، صنف جاءته هداية الدلالة فاتبعها فأسس حياته على تقوى من الله، فأعانه الله بعونه فجاءته هداية المعونة، أما الصنف الآخر فقد جاءته هداية الدلالة، فلم يأخذ بها، فلم يتحصَّل على الهداية المكَّملة لها وهي هداية المعونة وهؤلاء هم المنافقون والكفار. يقول الشيخ الشعراوي: "إنَّ الحقَّ يوضح لنا المقارنة بين الذي يؤسس حياته على تقوى من الله ابتغاء الخير والجنَّة، وهو الذي

1- الشعراوي: تفسير الشعراوي، م1ص84

جاءته هداية الدلالة فاتَّبَعَهَا، فجاءته هداية المعونة من الله، وبين ذلك الذي يؤسس بنيان حياته على جرف واد متصدِّع آيل للسقوط، فسقط به في نار جهنم، إنه الذي جاءته هداية الدلالة فتجاهلها، فلم تصله هداية المعونة"¹.

وفي آية أخرى يخاطب الله عزَّ وجلَّ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نافيا هداية المعونة عن المنافقين قائلا: { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة : 80].

"إنَّ الحقَّ يبلغُ رسوله أنَّه مهما استغفر للمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فلن يغفر لهم، لماذا؟ لأنَّ هداية الدلالة قد جاءت لهم فأدعوا أنَّهم مؤمنون بها، ولم تصلهم هداية المعونة، لأنَّهم يكفرون بالله ورسوله، والله لا يهدي مثل هؤلاء القوم الفاسقين الخارجين بقلوبهم من منهج الله"².

1-الشعراوي: تفسير الشعراوي م 1 ص 564.

2- الشعراوي: نفسه.

الفرع الرابع: مراتب الهداية

اختلف العلماء والمفسّرون في تحديد وتعيين مراتب الهداية، فمنهم من رأى أنّ الهداية أربعة مراتب، ومنهم من ذهب إلى أنها عشرة، وقد قسمها الطاهر بن عاشور إلى أربعة مراتب، المرتبة الأولى تمثّلت في القوة الناطقة التي انفرد بها الإنسان المنزوعة من العلوم المحسوسة، ثم هداية العلوم النظرية التي تعتمد على نصب الأدلّة الفارقة، ثم الهداية إلى ما قد تقتصر عنه الأدلّة فيحتاج الناس إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأقصى مراتبها هي مرتبة كشف الحقائق العليا بواسطة الوحي والإلهام، يقول رحمه الله تعالى: "والهداية أنواع تندرج كثرتها تحت أربعة أجناس مرتبة: الأول: إعطاء القوى المحركة والمدرّكة التي بها يكون الاهتداء إلى انتظام وجود ذات الإنسان، ويندرج تحتها أنواع تبندئ من إلهام الصبي النقام الثدي والبكاء عند الألم إلى غاية الوجدانيات التي بها يدفع عن نفسه كإدراك هول المهلكات وبشاعة المنافرات، ويجلب مصالحه الوجودية كطلب الطعام والماء وذود الحشرات عنه، وحكّ الجلد واختلاج العين عند مرور ما يؤدي تجاهها، ونهايتها أحوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات أعني ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول في البديهيات وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الإنسان المنزعة من العلوم المحسوسة.

الثاني نصب الأدلّة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطأ، وهي هداية العلوم النظرية.

الثالث الهداية إلى ما قد تقتصر عنه الأدلّة أو يفضي أعمالها في مثله إلى مشقة وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب وموازين القسط، وإليه الإشارة بقوله تعالى في شأن الرسل: { وَجَعَلْنَاهُمْ أَدِمَّةً يَبُوءَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } [الأنبياء : 73]

والرابع: أقصى أجناس الهداية وهي كشف الحقائق العليا وإظهار أسرار المعاني التي حارت فيها ألباب العقلاء، إما بواسطة الوحي والإلهام الصحيح أو التجليات وقد سمى الله تعالى هذا هدى حين أضافه للأنبياء

فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هِيَ اللَّافُ بِهِنَّ نَاهُمْ أَقْدَاهُ قُلَى لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرِي لِطَلَمِينَ
{ [الأنعام : 90] ¹ .

وقد شاطر الشيخ محمد رشيد رضا الشيخ الطاهر بن عاشور في عدد مراتب الهداية ، لكنه خالفه في نوعها، حيث ذهب إلى أن أول هذه المراتب هي هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، وثانيها هداية الحواس والمشاعر وهي هداية متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشترك فيها الإنسان الحيوان الأعجم، وثالثها العقل الذي يصحح ويرى العود المستقيم في الماء معوجًا، والعقل هو الذي يحكم بفساد مثل هذا الإدراك، ورابع أنواع الهداية هو الدين، فقال رحمه الله تعالى: " منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته، أولها: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري وتكون للأطفال منذ ولادتهم، فإن الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء، فيصرخ طالبا له بفطرتة، وعندما يصل الثدي إلى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

(الثانية): هداية الحواس والمشاعر وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشترك الإنسان فيها الحيوان الأعجم، بل هو أكمل من الإنسان، فإن حواس الحيوان والهامة يكملان له بعد ولادته بخلاف الإنسان فإن ذلك يكمل فيه بالتدرج في زمن غير قصير...

(الهداية الثالثة) أما الإنسان فقد حباه الله هداية هي أعلى من هداية الحس والإلهام وهي العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه،...

(الهداية الرابعة) : الدين: كما أنه في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة -الدين- وقد منحه الله تعالى إليها ²

1- محمد رشيد رضا: تفسير التحرير والتنوير، ج1 ص188، 189.

2- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج1 ص62-63.

أما ابن قيم الجوزية فقد رأى أن الهداية عشر مراتب، أولها وأعلىها درجة هي مرتبة التكليم، ومعنى ذلك تكليم الله عز وجل لعبده، وهي أعلى مرتبة من الوحي، فالله عز وجل يكلم فيها عبده مباشرة، يقول: "المرتبة الأولى: مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كَلَّمَ موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء : 164] فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبیین من بعده، ثم خصَّ موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه، و هذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية...

وقال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ مِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ وَلَكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبِّ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَمَا تَجَدَّى رَبُّهُ لِلْجَبِّ جَهْدَهُ نَكَّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : 143]. وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون، وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر، لا في الأول، وفيه أعطي الألواح ، وكان عن مواعدة من الله له، والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة، وفيه قال الله له: {قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف : 144] أي بتكليمي لك بإجماع السلف ...

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسُلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الشورى : 51] ففرق بين تكليم الوحي، والتكليم بإرسال الرسول، التكليم من وراء حجاب"1.

1- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، محمد حامد الفقهي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأخيرة، 1407هـ، 1988م، ج1 ص37، 38.

أما المرتبة الثانية: فهي خاصة بالأنبياء أيضا تلي مرتبة التكليم وهي مرتبة الوحي، يقول رحمه الله تعالى: "المرتبة الثانية: مرتبة الوحي المختص بالأنبياء، قال الله تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ ذُو الْنُبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَذُسَٰ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ وَرَا } [النساء : 163] وقال { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ لِّئِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ رُسُلًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ لَهُ عَطِيَ حَكِيمٍ } [الشورى : 51] فجعل الوحي في هذه الآية قسما من أقسام التكليم، وجعله في آية النساء قسيما للتكليم، وذلك باعتبارين ، فإنه قسيم التكليم الخاص الذي هو بلا واسطة، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة"¹.

والمرتبة الثالثة خاصة هي الأخرى بالأنبياء ، وهي مرتبة إرسال الرسل الملكية إلى الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله عز وجل لتبليغ رسالته، فيحملون إليهم ما أمرهم الله به، يقول الشيخ: "المرتبة الثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه، فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء، لا تكون لغيرهم، ثم هذا الرسول الملكي قد يمثل للرسول البشري رجلا، يراه عيانا ويخاطبه، وقد يراه على صورته التي خلق عليها، وقد يدخل فيه الملك، ويوحي إليه ما يوحيه، ثم يفصم عنه، أي يقلع، والثلاثة حصلت لنبيينا صلى الله عليه وسلم"².

وخص الإمام المرتبة الرابعة للتحديث وهذه المرتبة دون مرتبة الوحي الخاص وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه كان في الأمم قبلكم محثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب"³.

1 - ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه.

2 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج1ص39.

3 - ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه.

وكانت المرتبة الخامسة خاصة بالإفهام، وهي نعمة من نعم الله يخص بها من يشاء من عباده فيزيد في إدراكه ومعرفته، فيفهم ما لا يفهم غيره، ويستنتج ما يعجز عنه سواه، فقد قال علي بن أبي طالب، وقد سئل " هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم بشيء دون الناس ؟ فقال :لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتية الله عبدا في كتابه، وما في هذه الصحيفة، وكان فيها العقل، وهو الديات، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"¹.

"فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية، ومشور الولاية النبوية، وفيه تفاوتت مراتب العلماء، حتى عدّ ألف بواحد، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) وما خص به ابن عباس من فهمه منها " أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه" وإعلامه بحضور أجله، وموافقة عمر له على ذلك ، وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنا، وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله، لو لا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس، فيحتاج مع النص إلى غيره، ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه، وأما في حق صاحب الفهم ، فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها"².

أما المرتبة السادسة فهي مرتبة البيان العام، وهي خاصة بجميع الخلق دون استثناء، فالله عزّ وجلّ هدى عباده إلى طريق الحق، وبينه لهم ومّزه من الباطل بالأدلة الواضحة، والشواهد الدامغة "وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه، التي لا يعذب أحدا ولا يضلّه إلا بعد وصوله إليها، قال الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٌ }

1- أخرجه البخاري في صحيحه، باب فكاك الأسير ،ح/3047، وفي باب: لا يقتل المسلم بالكافر ، ح/6915، ومسلم ، باب الدليل على حب الأنصار وعلي، ح/ 243، والترمذي ، باب: لا يقتل مسلم بكافر ، ح/ 1412، والنسائي ،باب سقوط القود من المسلم للكافر، ح/4744، وأحمد بن حنبل في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح/599، 1339، وابن حبان ، باب :ذكر الخبر الدال على أن محبة المرء علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الإيمان، ح/6924.

2- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإليك نستعين ،ح1ص41.

[التوبة : 115] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم، حين بين لهم، فلم يقبلوا ما بينه لهم، ولم يعملوا به، فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى، وما أضل الله سبحانه أحدا قط إلا بعد هذا البيان.....

وهذا البيان نوعان: بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكير في آياته المشهودة ويحضهم على التفكير في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل، وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يضل الله من يشاء، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِنُذِرَ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِآيَاتِنَا وَلِيُنذِرَ أُولَئِكَ نَفْسًا مِّنْهُمْ وَيُرْسِلَ اللَّهُ الْوَالِغَاتِ وَالْوَالِغَاتِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُرْسِلَ اللَّهُ الْوَالِغَاتِ وَالْوَالِغَاتِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُرْسِلَ اللَّهُ الْوَالِغَاتِ وَالْوَالِغَاتِ مِنْ قَبْلِهِمْ } [إبراهيم : 4] فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته"¹.

المرتبة السابعة: انتقل ابن قيم من مرتبة البيان العام، إلى البيان الخاص، من الهداية العامة وهي هداية الدلالة إلى الهداية الخاصة وهي هداية المعونة والتوفيق، وهذا النوع من الهداية لا يخص به الله عز و جلّ من عباده إلا المؤمنين ، حيث يقول رحمه الله تعالى " البيان الخاص ، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية ألبتة . قال الله تعالى: { إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيَّ هَاهُمْ وَاللَّاهُ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ وَطَلَّهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [النحل : 37] وقال: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [القصص : 56]"².

المرتبة الثامنة: هي مرتبة الإسماع. قال الله تعالى: { وَلَوْ عِظَمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } [الأنفال : 23] وقال أيضا: { وَمَا يَتَدَوَّى الْأَعْيُ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُورُ (21) وَمَا يَتَدَوَّى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ }

1- ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه ج1ص43

2- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1ص43

يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُدُورِ (22) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) { إفاطر : 19 - 23 } هذا الإسماع خاص بالقلوب الحية، التي تعي أمر ربها فتستجيب له، فسماع الكلام وظيفة الأذن، أما سماع حقيقته ومعناه فمن وظائف القلب.

يقول رحمه الله تعالى: "وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ، فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب، فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما، فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن، في قوله: { مَا يَلْتَمِسُ مِنْ نَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْتِثٌ إِلَّا اسْتَمِعَهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيًا قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هِيَ إِلَّا بُرْءًا مَلَكُوفًا تَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تَصْبِرُونَ } [الأنبياء : 2 ، 3] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، أو تمكنه منها، أما مقصود السماع وثمرته، والمطلوب منه، فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه، بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [محمد : 16 ، 17]... فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن، وسماع القلب، وسماع القبول والإجابة¹.

وكانت المرتبة التاسعة حسب ما ذهب إليه ابن قيم مرتبة للإلهام، قال الله تعالى: { وَهَسِبَ وَمَا سَوَّاهَا (7) اللَّهُ مَهَامًا فُجُورًا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ سَاها } [الشمس : 7 - 10] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين بن منذر الخزاعي لما أسلم: "قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي"² فالإلهام عام لكل المؤمنين، فقد ألهمهم الله تعالى رشدهم الذي حصل لهم

1 - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج1 ص44.

2 - أخرجه الترمذي في سننه، ح3483، بإسناده: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن شبيب بن شيبه عن الحسن البصري عن عمران بن حصين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي سبعة ستا

الإيمان به، وهو يشمل التحديث، وكذا الوحي إلى غير الأنبياء من المكلفين أو غير المكلفين يقول رحمه الله تعالى: "التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فأما التحديث: فالنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر " يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص، وهو الوحي إلى غير الأنبياء أما من المكلفين، كقوله تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوهُ إِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } [القصص : 7] وقوله: { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْوَارِثِينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَلَاوْشَهُ دَ بَأَنَّا مُسَدِّمُونَ } [المائدة : 111] ولما من غير المكلفين، كقوله تعالى: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } [النحل : 68] فهذا كله وحي إلهام¹ .

في الأرض وواحد في السماء قال فأبهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء قال يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك قال فلما أسلم حصين قال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال قل اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي . وقال هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه، قال الشيخ الألباني : ضعيف .

وأخرجه البزار في مسنده ، فقال وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هُنْدٍ ، عَنِ الْعَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عُرْوَانَ بْنِ حَصِينٍ ، وَالْقَلْبُ ، تُدْبِبُ فِي شَيْبَةٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي : يَا حَصِينُ كَمْ عَدَدَ الْإِلَهَامِ ؟

قَالَ : سَبْعَةٌ سِنَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ ، قَالَ فَأَبَاهُ تَمَعُدُ لَوَغْتِكَ وَرَهْتِكَ ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ فَقَالَ : يَا حَصِينُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَطَمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ فَعَلَّكَ قَلَمًا أَسْلَمَ حَصِينُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَطَمْنِي الَّذِي وَعَدْتَنِي ، قَالَ : قَالُوا هُمُ الْهَمْدِيُّ رَشْدِي وَأَعْذِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي .

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا يُوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ عُرْوَانَ بْنَ حَصِينٍ وَأَوْهَ وَقَلَّخْتَلَفُوا فِي إِسْنَادِهِ فَقَالَ رَبِيعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ : عَنْ عُرْوَانَ بْنِ حَصِينٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَقَالَ الْحُصَيْنُ وَالْعَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عُرْوَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لِحَصِينٍ : وَأَحْسَبُ أَنَّ حَدِيثَ عُرْوَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لِأَبِيهِ أَصُوبُ .

1 - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج1 ص45.

أما المرتبة العاشرة والأخيرة من مراتب الهداية: الرؤيا الصادقة، وهي جزء من أجزاء النبوة، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"¹ والرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، وقال النبي صلى

2- أخرجه مسلم "2263" "6" في أول الرؤيا، عن محمد بن أبي عمر المكي، عن عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي "2270" في الرؤيا: باب إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، عن نصر بن علي، عن عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، به. إلا أنه قال فيه: "جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". وقال: هذا حديث صحيح. وكذلك أخرجه عبد الرزاق "20352"، وعنه أحمد 269/2، والحاكم 390/4، والبخاري "3279" عن معمر، عن أيوب، به. وأخرجه أيضاً مسلم من طريق حماد بن زيد، عن أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، به، موقوفاً على أبي هريرة. وأخرجه أحمد 507/2، والدارمي 125/2، وابن عبد البر في "التمهيد" 287/1 من طريق هشام بن حسان، والبخاري "7017" في التعبير: باب القيد في المنام، من طريق عوف الأعرابي، وابن ماجه "3917" في تعبير الرؤيا: باب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً، من طريق الأوزاعي، ومسلم من طريق قتادة، أربعتهم عن محمد بن سيرين، به، مرفوعاً بلفظ: "جزء من ستة وأربعين جزءاً". وأخرجه دون قوله "الرؤيا جزء...". أبو داود "5019" في الأدب: باب ما جاء في الرؤيا، عن قتيبة، عن عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، به.

وأخرجه البغوي "3278" من طريق جرير بن حازم، عن أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، به. وأخرجه الدارمي 125/2 من طريق هشام بن حسان، عن ابن سيرين، به، مختصراً بلفظ: "إذا إذ اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً". وأخرجه عبد الرزاق عبد الرزاق "20355"، وأحمد 233/2 و269، وابن أبي شيبة 50/11-51، ومسلم "2263" "8"، وابن ماجه "3894" في الرؤيا: باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، من طريق معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". وأخرجه كذلك أحمد 314/2، ومسلم "2263" "8" من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة. وأخرجه أيضاً أحمد 369/2 و438، ومسلم "2263" "8"، والطحاوي في "مشكل الآثار" 46/3، والبغوي "3276" من طريقين عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وأخرجه أحمد 495/2، وابن أبي شيبة 51/11، ومسلم "2263" "8" من طريقين عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

وأخرجه مالك في "الموطأ" 956/2 عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال الإمام البغوي في "شرح السنة" 203/12-204: قوله: "جزء من النبوة": أراد تحقيق أمر من الرؤيا وتأكيد، وإنما كانت جزءاً من النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم، قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ: لِأَنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْبَأُ فَأَنْظُرُ مَا لَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ { .

وقيل: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باق، والنبوة غير باقية.

الله عليه وسلم: " الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام"¹

والذي هو من أسباب الهداية: هو الرؤيا التي من الله خاصة، ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا .

أو أراد أنه كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: "الهدى الصالح والسمت والصالح، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة" أي: هذه الخصال في الحسن والاستحياب كجزء من أجزاء فضائلهم، فاقنتوا فيها بهم، لا أنها حقيقة نبوة، لأن النبوة لا تتجزأ، ولا نبوة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ذهبت النبوة، وبقيت المبشرات: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له" .

قلت: حديث "الهدى الصالح..." أخرجه أبو داود "4776" من حديث ابن عباس، وله شاهد يتقوى به من حديث عبد الله بن سرجس المزني عند الترمذي "2010" وحسنه.

وحديث "ذهبت النبوة وبقيت المبشرات..." أخرجه البخاري "6990" من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم "479" من حديث ابن عباس. وانظر "التمهيد" 276/1-288

1- وأخرجه الطبراني 118/18" عن إدريس بن عبد الكريم الحداد، عن الحكم بن موسى، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة 75/11، وابن ماجه "3907" في تعبير الرؤيا: باب الرؤيا ثلاث، والطحاوي في "مشكل الآثار" 46/3-47، والطبراني 118/18"، وابن عبد البر في "التمهيد" 286/1 من طرق عن يحيى بن حمزة، به. قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" ورقة 2/242: إسناده صحيح، رجاله ثقاة.

وعلقه البخاري في "التاريخ الكبير" 348/8 عن هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، به .

الفرع الخامس: حاجة العبد إلى الهداية

يقول الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] فما حاجة العبد

إلى هداية الله تعالى؟ وما طرق تحصيلها؟ وهل يحتاج المهتدي إلى هداية وقد حصلت له؟

يرى العلماء أن العبد في حاجة ماسة إلى مقصود الدعاء "اهدنا الصراط المستقيم" فهي مفتاح الفلاح، يوم القيامة، ومن لم تتحقق له هذه الهداية كان من الخاسرين، ومن تحققت له فهو بحاجة إلى دوامها واستمرارها، وبحاجة إلى معونة الله عزّ وجلّ للقيام بالواجبات والانتهاة عن المحرمات.

يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والعبد مضطر دائما إلى أن يهديه الله إلى الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فانتته، فهو إما من المغضوب عليهم ولما من الضالين، وهذا الهدى لا

يحصل إلا بهدى الله.....فإن الصراط المستقيم أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا بفعل ما نهى عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل الأمور، وكراهة جازمة لترك المحذور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم"¹.

فالعبد المؤمن قد حصل له الهدى المجمل فقد آمن بالقرآن وبالرسل واهتدى إلى أن الإسلام حق، لكن هذا المجمل يحتاج فيه إلى هدى مفصل، فهو بطبعه يغلب عليه الهوى واتباع الشهوات، لذا فهو بحاجة إلى هدى يبعد به كل تلك الشهوات " فالإنسان خلق ظلوما جهولا، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله، وعدل ينافي ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم"².

فحاجة العبد إلى هداية الله له دائمة بدوام حياته وهي ضرورية لاستقامته في الحياة والثبات على الدين، فمن لم يهده الله ضل سواء السبيل وغلط ولم يميز بين الأمور والمنهيات، فحاجته إليها أمس من حاجته إلى الرزق وإلى النصر "لأن الله يرزقه فإذا انقطع رزقه مات، والموت لا بد

1- تقي الدين ابن تيمية ، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة عضو اللجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر -دار الكتب العلمية ج2ص335-336.

2- تقي الدين ابن تيمية ، التفسير الكبير، ج2ص336.

منه، فإذا كان من أهل الهدى به كان سعيدا قبل الموت وبعده، وكان الموت موصلا إلى السعادة الأبدية، وكذلك النصر، إذا قدر أنه غلب حتى قتل فإنه يموت شهيدا وكان القتل من تمام النعمة"¹

فقد تبين مدى حاجة العبد إلى هداية الله عز وجل، فهي أعظم من حاجته إلى النصر والرزق، فإذا اهتدى كان من المتقين، قال الله تعالى: { وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِمَا كَفَرَ مِنَ اللَّهِ يَخْرُجْ مِنْهُ مَخْرَاجًا مُخْرَجًا مِمَّنْ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [الطلاق : 2 ، 3].

أما طرق تحصيل الهداية، فقد تحدث العلماء عن طريقين بهما تتحصل الهداية للعبد" أحدهما : طلب المعرفة بالدليل والحجة، والثاني: بتصفية الباطن والرياضة، أما طرق الاستدلال فإنها غير متناهية لأنه لا ذرة من ذرات العالم الأعلى والأسفل إلا وتلك الذرة شاهدة بكمال إلهيته، وبعزة عزته، وبجلال صمديته، كما قيل: في كل شيء له آية، تدل على أنه واحد.....أما تحصيل الهداية بطريق الرياضة والتصفية، فذلك بحر لا ساحل له، ولكل واحد من السائرين إلى الله تعالى منهج خاص، ومشرب معين، كما قال: { وَلِكُلِّ وَجْهٍ مُّسَبِّحٍ فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 148] ولا وقوف للعقول على تلك الأسرار، ولا خبر عند الأفهام من مبادئ ميادين تلك الأنوار، والعارفون المحققون لحظوا فيها مباحث عميقة وأسرار دقيقة، فلما ترقى إليها أفهام الأكثرين"²

من خلال ما سبق نتوصل إلى ما يلي:

-الهداية لغة: الرشاد والدلالة، ونقيضها الضلالة. وتأتي بمعنى : البيان والإرشاد الثبات،

ومن معانيها: الطاعة والورع.

1- تقي الدين ابن تيمية : المصدر نفسه.

2- تفسير الرازي ص7.

- الهداية اصطلاحاً: هي الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، وهو ما يرضي الله عزّ وجلّ من عل الخير.

- الهداية نوعان:

هداية الدلالة : وتكون لجميع الخلق.

هداية المعونة: يخص بها الله عز وجلّ عباده المؤمنين.

مراتب الهداية : كانت محل خلاف بين العلماء والمفسرين ، فمنهم من قسمها إلى أربع مراتب ومنهم من رأى أنها عشر، ومحل الخلاف ناشئ عن الاعتبارات التي قسم على أساسها هذه المراتب، فقد قسمها ابن عاشور إلى أربع مراتب هي :

1- إعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء إلى انتظام وجود ذات الإنسان .

2- نصب الأدلة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والحق، وهي هداية العلوم النظرية.

3- الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

4- الهداية الرابعة خاصة بالأنبياء والرسل والأولياء.

وقسمها محمد رشيد رضا كذلك إلى أربع مراتب هي كالاتي:

1- هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري. .

2- الهداية الحواس والمشاعر

3- هداية العقل الذي يصح غلط الحواس والمشاعر.

4- ورابع أنواعها هو الدين.

أما الشيخ ابن قيم الجوزية فقسم مراتب الهداية إلى عشر مراتب هي:

1- المرتبة الأولى: التكليم.

2- المرتبة الثانية: الوحي.

3- المرتبة الثالثة:إرسال الرسل.

4- المرتبة الرابعة:التحديث.

5- المرتبة الخامسة:الإفهام

6- المرتبة السادسة:البيان العام.

7- المرتبة السابعة: البيان الخاص.

8- المرتبة الثامنة: الإسماع.

9- المرتبة التاسعة: الإلهام.

10- المرتبة العاشرة:مرتبة الرؤيا الصادقة.

أما حاجة العبد إلى الهداية فهي أكيدة، وهي ضرورة من الضروريات التي لا تتم الاستقامة إلا بها، قال الله تعالى: { اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] فلا استقامة لمن لم يتحقق له هداية المعونة، أما هداية الدلالة، فهي غير كافية حتى يستقيم العبد.

المطلب الثاني: العبادة

إن المقتضى الثاني من مقتضات الاستقامة هو العبادة، قال تعالى: {إِلِلَّاهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [آل عمران : 51] وقال: {وَاللَّاهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم : 36]. وقال: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس : 60 ، 61] قال في سورة الزخرف: {إِلِلَّاهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف : 64].

- فما مفهوم العبادة ؟ وما شروطها؟
- ما أنواعها؟ وما أصناف الناس باعتبارها؟
- وما الغاية منها ؟ وفيما تتمثل ثمراتها؟

الفرع الأول: العبادة في اللغة

العبادة في اللغة هي غاية التذلل والخضوع لله عز وجل، ولا تكون العبادة إلا له تعالى.

يقول ابن منظور: "أصل العبودية: الخضوع والتذلل. ولا يقال عبد، يعبد، عبادة إلا لمن يعبد الله، ومن عبد دونه إليها فهو من الخاسرين، وأما عبد: خدم مولاه فلا يقال عبده، قال الليث: ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله، والعابد الموحّد، قال الليث: العبد جماعة العبيد الذين ولدوا في العبودية، تعبدة ابن تعبدة: أي في العبادة إلى آباءه، قال الأزهرى: هذا غلط يقال: هؤلاء عبيد الله، أي عباده، العبداء بالمد والقصر جمع العبد"¹.

ومن معاني العبادة: الطاعة والتوحيد قال الزجاج: " في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّيْنِ مَنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 21]. أي نطيع الطاعة التي يخضع معها، وقيل إياك نوحّد، قال ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذلاً بكثرة الوطاء، قال ابن الأنباري فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره، وقوله

1- ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص273.

تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : 21] أي أطيعوا ربكم والمتعبد المنفرد بالعبادة، وطريق معبد : مسلوك مذل¹ .

والتعبد: التنسك، والعبء: الغضب والأف، قال أبو عمرو: وفي قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف : 81] من الأنف والغضب، والعباديد: الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه، وكذلك العبايد، وقوله تعالى: { وَأَنْظِرْ فِي عِبَادِي } [الفجر : 29]. أي في حزبي.

فأصل العبادة في اللغة يرجع إلى معنى التذلل والخضوع والطاعة، فالعبادة لا تكون صحيحة كاملة إلا إذا كان العبد محباً لله تعالى مشتاقاً إليه، من أي شيء سواه، قال الله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَنَّمَ آدِ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة : 24].

وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في

1- ابن منظور: المصدر نفسه.

الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"¹.

1- إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أحمد 174/3 و248 عن المؤمل بن إسماعيل وعفان بن مسلم، و230/3 عن يونس وحسن بن موسى، ومسلم "43" "68" في الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، من طريق النضر بن شميل، وابن منده في "الإيمان" "283" من طريق حجاج بن منهال، كلهم عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي "1959"، وأحمد 172/3 و275، والبخاري "21" في الإيمان: باب من كره أن يعود في الكفر، و"6041" في الأدب: باب الحب في الله، ومسلم "43" "68" في الإيمان، والنسائي 96/8 في الإيمان: باب حلاوة الإيمان، وابن ماجه "4033" في الفتن: باب الصبر على البلاء، وابن المبارك في "الزهد" "827"، وابن منده "282"، والبخاري "21" من طريق شعبة، عن قتادة، عن أنس.

وأخرجه النسائي 94/8 في الإيمان وشرائعه: باب طعم الإيمان، عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير، عن منصور، عن طلق بن حبيب، عن أنس.

وأخرجه أيضاً 97/8 عن علي بن حجر، عن إسماعيل، عن حميد عن أنس،

وأخرجه الطبراني في "الكبير" "724"، و"الصغير" 257/1 _ 258 من طريق سعيد بن أبي مريم، عن موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي الحويرث، عن نعيم المجرم، عن أنس.

وأخرجه أحمد 113/3 _ 114 من طريق يحيى بن سعيد، عن نوفل بن مسعود، عن أنس بلفظ: "ثلاث من كن فيه حرم على". النار، وحرمت النار عليه: إيمان بالله، وحب الله، وأن يلقى في النار فيحرق أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر.

إسناده صحيح على شرط الشيخين، عبد الوهاب هو ابن عبد المجيد الثقفي، ثقتن تغير قبل موته ثلاث سنين، لكنه لم يحدث في زمن التغيير، إذ حجب الناس عنه، كما ذكره العقيلي في "الضعفاء" 75/3، ولم ينفرد به كما في الحديث السابق.

الفرع الثاني: العبادة في الاصطلاح

- عرفها الطاهر بن عاشور بقوله: "والعبادة في الشرع أخص فتُعرف بأنها فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتثال واجتناب، أوهي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه"¹.
- أمَّا الرازي فقد عرفها بقوله: "العبادة تعظيم أمر الله والشفقة على الخلق، وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه الشرائع، وإن اختلفوا في الوضع والهيئة والقلة والكثرة، فهي بهذا التفسير تشمل الامتثال لأحكام الشريعة كلّها"².
- في حين ذهب البيضاوي إلى أن العبادة هي غاية الخضوع والتذلل فقال رحمه الله تعالى: "العبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل"³.

وأخرجه البخاري "16" في الإيمان: باب حلاوة الإيمان، وابن منده في "الإيمان" "281" من طريق محمد بن المثني، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 103/3، والبخاري "6941" في الإكراه: باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ومسلم "43" في الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، والترمذي "2624" في الإيمان، وابن منده "281"، من طرق عن عبد الوهاب الثقفي، بهذا الإسناد.

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1 ص37.

2- الرازي: تفسير الرازي، ج14، ص329.

3- البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج1، ص7.

- ورأى الشعراوي أنّ العبادة هي "خضوع لله سبحانه وتعالى بمنهجه افعل ولا تفعل .. ولذلك جعل الصلاة أساس العبادة، السجود هو منتهى الخضوع لله، لأنك تأتي بوجهك الذي هو أكرم شيء فيك وتضعه على الأرض عند موضع القدم. فيكون هذا هو منتهى الخضوع لله..

ويتم هذا أمام الناس جميعاً في الصلاة. لإعلان خضوعك لله أمام البشر جميعاً. ويستوي في العبودية الغني والفقير والكبير والصغير .. حتى يطرد كل من الكبر والاستعلاء من قلبه أمام الناس جميعاً، فيساوي الحق جلّ جلاله بين عباده في الخضوع له وفي إعلان هذا الخضوع.¹ " وقد فسّر الصوفية العبادة بأنها فعل ما يرضي الرب، والعبودية بالرضا بما يفعل الرب، وقال بعضهم الوفاء بالعهود وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود"².

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أنّ العبادة في الإسلام هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي تتضمن غاية الذلّ والحب، إذ تتضمن غاية الذلّ لله تعالى مع المحبة له، وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل عليهم السلام جميعاً، وهو ثابت من ثوابت رسالتهم عبر التاريخ، فما من نبي إلا أمر قومه بالعبادة، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِهُ الْإِلَهِ إِلَّا أَنْفَاعًا تُؤْتُونَ } [الأنبياء : 25]

أما الفقهاء فرأوا أنّ للعبادة في الشرع مدلولان: مدلول خاص، وآخر عام.

فالمدلول الخاص للعبادات هو "مدلول اصطلاحى جرى عليه عمل المؤلفين، حين قسموا أبواب الفقه إلى عبادات ومعاملات، والعبادات بهذا المعنى عندهم تشمل بعد الإيمان بالله أبواب الطهارة والصلاة والقيام والاعتكاف والزكاة والحج والعمرة والجهاد والكفارات والأضحية والذكاة

1- الشعراوي: تفسير الشعراوي، م1، ص78.

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص37.

والعقيدة، وسموا الأبواب بالعبادات، أن الحق فيها خالص لله تعالى، تمييزاً لها عن المعاملات والجنایات، فإن الحق في هذه الأخيرة قد يكون خالصاً للعبد، مثل الحقوق المالية في البيع والشراء والعقود، وقد يكون مشتركاً مثل القصاص في الجنایات وحد القذف¹

أما المدلول العام للعبادات فهو "يشمل جميع الأعمال النافعة التي يقوم بها الإنسان لمعاشه ومعاده، لصالح نفسه، وصالح غيره، ويدخل في ذلك كل عمل مباح، أو مطلوب من جهة الشرع، كالسعي للرزق، وطلب العلم، والعدل بين الناس، والصدق في القول، والإخلاص في العمل، وأداء الحقوق، والقيام بالواجبات، والنصيحة للمسلمين، وغض البصر، وكف الأذى، إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك عرفوا العبادات في مدلولها العام هذا، بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"².

1- الدكتور الصادق عبد الرحمن، مدونة الفقه المالكي وأدلته، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى: 1423هـ، 2002م، ج1، ص11، 12.

2- الدكتور الصادق عبد الرحمن، مدونة الفقه المالكي وأدلته ج 1 ص 12.

الفرع الثالث: شروط العبادة وأصناف الناس باعتبارها

ذهب ابن قيم الجوزية إلى أن العبادة الحقّة لا تتم إلا بتوفّر أصلين عظيمين، أحدهما: متابعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأما الأصل الثاني: فهو الإخلاص للمعبود، وباعتبار هذين الأصلين يصفّ الناس إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهؤلاء هم الذين يعملون لوجه الله وحده، ولا ينتظرون من أحد جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمّدة، والمنزلة في قلوبهم" فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبّه ويغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس أثر معاملة الله على معاملتهم"¹

كما أنّ أعمالهم موافقة لأوامر الله، يفعلون ما أمرهم به، وينتهون عمّا نهاهم عنه، ويسعون إلى أن تكون أعمالهم أحسن الأعمال وأخلصها إلى الله، متبّعين في ذلك سنة خاتم الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وسلّم. قال الله تعالى: {الَّذِي خَقَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُؤَكِّمَ أَهْسُنُ

1 - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإليك نستعين ج1ص83.

عَلَّا وَهُوَ الْغَيْرُ الْغُورُ } [الملك : 2]. قال الفضيل بن عياض: " العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتّى يكون خالصا صوابا. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة."¹

"فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه هباء منثورا، وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"² وكل عمل بلا اقتداء فإنّه لا يزيد عامله من الله إلا بعدا، فإن الله إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء"¹

1 - ابن قيم الجوزية:المصدر نفسه، ج1ص83، 84.

1- لفظ مسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا."

محمد بن خالد بن عبد الله وهو الواسطي الطحان ضغفه غير واحد، لكن تابعه محمد بن الصباح الدولابي وهو ثقة، والطيبالسي، ويعقوب وغيره عند البخاري ومسلم وأبي داود، ورواه الإسماعيلي، من طريق محمد بن خالد الواسطي، بهذا الإسناد، وفيه: "أن رجلاً من آل أبي جهل" كما نقل الحافظ في "الفتح" 302/5، وقال: "وهو وهم إنما هو من آل أبي لهب" كما بينته رواية عبد الواحد بن أبي عون في كتاب "السنة" لأبي الحسين بن حامد.

وأخرجه أحمد 73/6، ومسلم في "صحيحه" 1718" 18"، والبخاري في "خلق أفعال العباد" ص43، وأبو عوانة 18/4، 19، من طريق عبد الله بن جعفر الزهري، عن سعد بن إبراهيم قال: سألت القاسم بن محمد عن رجل له ثلاثة مساكن، فأوصى بثلاث كل مسكن منها. قال يجمع ذلك كله في مسكن واحد. ثم قال: أخبرتني عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال... ولفظ الحديث بدون قصة قبله أخرجه الطيبالسي"1422"، ومن طريقه أبو عوانة 17/4، عن إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 240/6 و270، والبخاري "2697" في الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ومسلم "1718" 17" في الأفضية: باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور، وأبو داود "4606" في السنة: باب في لزوم السنة، وابن ماجه "14" في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من والتغليظ على من عارضه، والدارقطني 224/4 و225 و227، والبيهقي في "السنن" 119/10، والقضاعي في "مسند الشهاب" 359" و"360" و"361"، وأبو عوانة 18/4، والبعوي في "شرح السنة" 103 من طرق عن إبراهيم بن سعد بهذا الإسناد.

القسم الثاني: هم الذين لا يخلصون العبادة لله ولا يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم، فأعمالهم تفقد إلى الإخلاص وتمتاز بالرياء، فهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله، قال الله تعالى: { لَا تَحْسَبِ الَّذِينَ يَفُحُونَ بِمَا أَدَّوْا وَيُدْحِجُونَ أَن يَحْمُوا بِمَا لَمْ يَفْعُوا فَلَآتَ حَسْبُهُمْ مِ بَفَازَةٍ مِنَ الْغَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران : 188]. "وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف-من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة- عن الصراط المستقيم. فإنهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويحسون أن يحموا بما لم يفعلوه من الإلتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال"².

القسم الثالث: هم المخلصون في العبادة، لكن عبادتهم على غير اتّباع لما أمر به الله تعالى وبينته السنّة النبوية الشريفة "كجهال العباد، والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير أمره، واعتقد عبادته هذه قريبة إلى الله فهذا حاله"³، فكل جهد يبذله العبد يريد به العبادة وهو غير مأمور به، فهو حرام، فقد ورد خبر أولئك نفر من المؤمنين الذين اعتقدوا أن قيامهم بواجب العبادة يقتضي أن يفرضوا على أنفسهم ضروبا مختلفة من الحرمان والتقشف، وقد أشار القرآن الكريم إليه دامغا إياه بالمخالفة والإفراط، فقال: ﴿لِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُغُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّلَ لَهُ

وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنّة" 52 و"53 من طريقين عن سعد بن إبراهيم، به قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتدّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" زيادة: وهي أنه قديماً عاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا أحتج عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فُجِتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به. انظر: "شرح صحيح مسلم" 12/ إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو في "مسند أبي يعلى" 4594

وأخرجه مسلم "1718" "17"، وأبو داود "4606" عن محمد بن الصباح، بهذا الإسناد.

1 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج1ص84.

2- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج1ص84.

3- ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه.

لَكُمْ وَلَا تَعْتُوا إِرْلَاءَهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَبِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهََ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ { [المائدة : 87 ، 88].

وقد روت السنة تفاصيل هذا الموقف فيما روي عن أنس أن نفرا من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألوا أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمله في السر، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء، وقال بعضهم : لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: " ما بالأقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".¹ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم، ولا يقعد، ولا يستنزل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مره فليتكلم، وليستنزل، وليقعد، وليتم صومه".²

1-إسناده صحيح، رجاله رجال مسلم عدا محمد بن أبي صفوان، وأخرجه أحمد 3/ 241 و259 و285، ومسلم "1401" في النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد المؤنة، والنسائي 60/6 في النكاح: باب النهي عن التبتل، والبيهقي في "السنن" 77/7 من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "5063" في النكاح: باب الترغيب في النكاح، والبيهقي في "السنن" 77/7، والبعوي في "شرح السنة" "96" من طريق محمد بن جعفر، عن حميد الطويل، عن أنس بنحوه.

وقوله: "فمن رغب سنتي، فليس مني" قال الحافظ في "فتح الباري" 9/ 105:

المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه، وطريقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحنيفية السمحة، فيفطر لينتقوى على الصوم، وينام لينتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس وتكثير النسل.

2- صحيح البخاري، باب النَّزْرِ فِيمَا لَا يَلِيكَ وَفِي مَصِيَّةٍ. ح/6702، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ح/20586.

القسم الرابع: وهؤلاء هم العباد الذين اتبعوا تعاليم الدين في العبادة، لكن عبادتهم تفتقر إلى الإخلاص، فهي لغير الله، قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتُؤُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ بَيْنَ الْقِيَمَةِ } [البينة : 5]

"كطاعة المرئيين، وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، وقرأ القرآن ليقال، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة، فلا تقبل"¹، فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاووس قال: قال رجل: "يا رسول الله، إني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني"² فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَاللَّهُ كُفُّهُ أَوْ أَحَدُ مَن كَانَ يُحِبُّ قَاءَ رَبِّهِ فَلَيُعَلِّمَنَّ اللَّهُ مَن يُشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَلِيبٌ } [الكهف : 110]. كما روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله" وفي رواية: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"³، وقد ورد في الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: "أنا أغنى

1- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1 ص85.

2- أخرجه الحاكم في المستدرک موصولاً. كتاب الجهاد، ح/2527، وفي كتاب الرقاق، ح/7939، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب مَنْ قَاتَلَ لِتُكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، ح/2810، وفي باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره. ح/3126، ومسلم باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح/5028، وأحمد بن حنبل، مسند أبي موسى الأشعري، ح/19611، والبيهقي في سننه، باب بيان النية التي يقاتل، ح/19014. إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو وائل: هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي

وأخرجه الطيالسي 487 و488، وأحمد 392/4 و397 و402 و405 و417، والبخاري 123 في العلم: باب من سأل وهو قائم عالماً جاساً، و2810 في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، و3126 في فرض الخمس: باب من قاتل للمغنم هل ينقص أجره، و7458 في التوحيد: باب قوله تعالى: { وَلَقَدْ سَبَّوْا كَلِمَاتًا لَا جَانِبَ لِلسُّوْدَانِ }، ومسلم 1904 في

الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه¹.

الإمارة: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وأبو داود 2517 في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، والترمذي 1646 في فضائل الجهاد: باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي 23/6 في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وابن ماجه 2783 في الجهاد: باب النية في القتال، والبيهقي 167/9 و168، والبغوي 2626 من طرق عن أبي وائل، بهذا الإسناد.

1- عبد الرحمن بن عثمان هو البكرابي أبو بحر، ضعفه غير واحد، ومنهم المصنف في "المجروحين" 61/2، لكنه لم ينفرد به، بل تابعه عليه غير واحد، وباقى رجاله ثقات. العلاء: هو ابن عبد الرحمن.

فقد أخرجه أحمد في "المسند" 301/2، وفي "الزهد" ص 57 عن محمد بن جعفر، و301/2 أيضاً عن روح، و435/2 عن يحيى القطان، ثلاثتهم عن شعبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي "2559" عن ورقاء، ومسلم "2985" في الزهد والرقائق: باب من أشرك في عمله غير الله، من طريق روح بن القاسم، وابن ماجه "4202" في الزهد: باب الرياء والسمعة، من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، ثلاثتهم عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، بهذا الإسناد، بلفظ "أنا أغنى الشركاء..."

وأخرجه البغوي في "شرح السنة" "4136" من طريق سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، و"4137" من طريق أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

وفي الباب عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري سيرد برقم "404".

وعن شداد بن أوس عند الطيالسي "1120".

وعن محمود بن لبيد عند أحمد 428/5 و429، والبغوي "4135" وسنده قوي

وقد روى النسائي عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغى به وجهه"¹

1. رجاله ثقات رجال الصحيح غير مكرز، كذا وقع في الأصل و"التقاسيم" وثقات المؤلف 464/5-465 مكرز بدون كلمة ابن، وعند غيره ممن خرجوه هو ابن مكرز وترجمه البخاري في "الكبير" 447/8 باسم ابن المكرز وكذلك ابن أبي حاتم 328/9، وهو الصواب إن شاء الله، وسماه الإمام أحمد 366/2 في رواية يزيد بن مكرز ولم يوثقه غير المؤلف، وقال ابن المدني: مجهول.

وأخرجه أبو داود 2516 في الجهاد: باب في من يغزو ولتمس الدنيا، والحاكم 85/2، والبيهقي 169/9 من طريق عبد الله بن المبارك، عن ابن أبي ذئب، بهذا الإسناد..... = النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر. وأخرجه أحمد 290/2 و366 من طريقين عن ابن أبي ذئب، به.

وله شاهد حسن من حديث أبي أمامة عند النسائي 25/6 ولفظة: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا شيء له" فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا شيء له"، ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له، وابتغى به وجهه". وقال الحافظ في الفتح 35/6: إسناده جيد، وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء .

الفرع الرابع: أنواع العبادة ومراتبها

العبودية الخالصة لله تتمثل في كلّ الأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وتتضمن القول باللسان والإقرار بالقلب والعمل بالجوارح، أما القول باللسان فيكون بالدعوة إليه سبحانه، والذكر وقراءة القرآن وغيرها، أما الإقرار بالقلب فيكون الاعتقاد بما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن ملائكته، وكما يكون بمحبته والتوكل عليه، وتكون أعمال الجوارح بالعبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها.

فما أنواع العبادة؟

وما هي مراتبها؟

أولاً: أنواع العبادة

ذهب العلماء إلى أن العبادة نوعان :عامة وخاصة .

أما العامة فيدخل فيها جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ فِطْرًا مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ نَعُوَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبًّا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ أُمَّةٌ أَدَّتْ رِيبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْآنًا (95) } [مریم : 88 - 95]

يقول ابن قيم: " فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كله لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك"¹ .

أما العبودية الخاصة فهي عبادة المؤمنين المخلصين الطائعين المحبين لله، قال الله تعالى: { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } [الزخرف : 68] وقال { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } [الفرقان : 63 ، 64]

"فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته. وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية، فلا يأتي إلا على خمسة أوجه:

1- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإليك نستعين ج1ص105.

إِذَا مِنْكُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبَا (93) قَدْ

أَصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (94) كُلُّهُمْ مَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرًّا { [مريم : 93 - 95]

والثاني: معرفا باللام، كقوله: { مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا لِلَّهِ يَرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ } [غافر : 31]

الثالث: مقيدا بالإشارة أو نحوها كقوله: { وَهُمْ يَحْتَوَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ

أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ } [الفرقان : 17]

الرابع: أن يذكروا في عموم عبادته، فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر، كقوله: { قُلِ اللَّهُ هُوَ

فَاطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَامِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {

[الزمر : 46]

الخامس: أن يذكروا موصوفين بفعالهم، كقوله تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

لَا تَقْطُوعُوا

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَهِهِ يَغْرَابُونَ وَبِ جَمِيعِ أَيْهِ هُوَ الْغَوْرُ الرَّحِيمِ } [الزمر : 53]"¹

1 - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإليك نستعين ج1 ص106.

ثانياً: مراتب العبادة

- أما مراتب العبادة فقد قسّمها ابن قيم الجوزية باعتبار العلم والعمل، إلى مراتب علمية وأخرى عملية، وقد قسّم المراتب العملية إلى مرتبتين: إحداهما: العلم بالله، والثانية: العلم بدينه. كما قسم مرتبة العلم بالله إلى خمس مراتب، أما مرتبة العلم بدينه فقسّمها إلى مرتبتين.

يقول الشيخ بن قيم: "للعبودية مراتب بحسب العلم والعمل، فأما مراتبها العلمية فمرتبتان: إحداهما: العلم بالله، والثانية: العلم بدينه.

فأما العلم به سبحانه، فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتزيهه عمّا لا يليق به.

والعلم بدينه مرتبتان: إحداهما: دينه الأمري الشرعي، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.

والثانية: دينه الجزائي، المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم، العلم بملائكته وكتبه ورسله"¹

كما قسّم المرتبة العملية إلى مرتبتين، مرتبة لأصحاب اليمين، ومرتبة للسابقين المقربين "فأما مرتبة أصحاب اليمين: فأداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات، وبعض المكروهات، وترك بعض المستحبات.

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج1 ص107.

وأما مرتبة المقربين : فالقيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم، متورعين عما يخافون ضرره. وخاصتهم : قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين، بل كل أعمالهم راجحة. ومن دونهم يترك المباحات مشتغلا عنها بالعبادات، وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات، ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله¹ .

أما الشيخ الفخر الرازي فقد رأى أن مراتب العبادة ثلاث؛ فقال: "الأولى : أن يعبد الله طمعا في الثواب وخوفا من العقاب وهي العبادة، وهي درجة نازلة ساقطة لأنه جعل الحق وسيلة لنيل المطلوب، الثانية: أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته والانتساب إليه بقبول تكليفه، وهي أعلى من الأولى إلا أنها ليست كاملة، لأن المقصود بالذات غير الله. الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلها خالقا مستحقا للعبادة وكونه هو عبدا له، وهذه أعلى المقامات وهو المسمى بالعبودية"²

وقد عارض ابن عاشور الرازي في الحكم على المرتبة الأولى بالنزول والإسقاط، لأن العبادة التي دعا إليها الإسلام أساسها الخوف والطمع، وهي غاية التكليف.

فقال رحمه الله تعالى: " ما أتعاه الفخر في سقوط الدرجة الأولى ونزول مرتبتها قد غلب عليه فيه اصطلاح غلاة الصوفية، وإلا فإن العبادة للطمع والخوف هي التي دعا إليها الإسلام في سائر إرشاده، وهي التي عليها جمهور المؤمنين، وهي غاية التكليف، كيف وقد قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر : 28] فإذا بلغ المكلف إلى المرتبتين الأخيرتين فذلك فضل عظيم وقليل ما هم، على أنه لا يخلو من ملاحظة الخوف والطمع في أحوال كثيرة، نعم إن أفاضل الأمة متفاوتون في الاحتياج إلى التخويف والإطماع بمقدار تفاوتهم في العلم بأسرار التكليف ومصالحه وتفاوتهم في التمكن من

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ص107،108،109.

2- تفسير الرازي، ج1، ص214 .

مغالبة نفوسهم، ومع ذلك لا محيص لهم عن الرجوع إلى الخوف في أحوال كثيرة والطمع في أحوال أكثر، وأعظم دليل على ما قلنا أن الله تعالى مدح في كتابه المتقين في مواضع جمّة ودعا إلى التقوى، وهل التقوى إلا كاسمها بمعنى الخوف والالتقاء من غضب الله تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنُونَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57].

والمرتبة الثالثة هي التي أشار لها قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له كيف تجهد نفسك في العبادة وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: "أفلا أكون عبدا شكورا" ¹ لأن من

1- إسناده صحيح، إبراهيم بن بشار - وهو الرمادي - أبو إسحاق البصري حافظ روى له أبو داود والنسائي، وهو متابع، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. وأخرجه عبد الرزاق "4746"/ والحميدي "759"، وأحمد 251/4، عن سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد 255/4 عن وكيع وعبد الرحمن، والبخاري "4836" في التفسير: باب قوله تعالى: {يَعْبُدُونَ اللَّهَ مُدَقِّمِينَ مِنْ نَفْسِكُمْ وَمَا أُوْحِرُوا} عن صدقة بن الفضل، ومسلم "2819" "80" في صفات المنافقين وأحكامهم: باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، عن أبي بكر بن أبي شيبة وابن نمير، والنسائي 219/3 في قيام الليل: باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل، عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن منصور، وابن ماجه "1419" في إقامة الصلاة: باب ما جاء في طول القيام في الصلوات، عن هشام بن عمار، والبيهقي في "السنن" 16/3 عن طريق يوسف بن يعقوب، كلهم عن سفيان، به. وصححه ابن خزيمة برقم "1833". وأخرجه أحمد 255/4، والبخاري "1130" في التهجد: باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل، و"6471" في الرقاق: باب الصبر عن محارم الله، والبيهقي في "السنن" 39/7 من طريق مسعر بن كدام، ومسلم "2819" "79"، والترمذي "412" في الصلاة: باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، وفي "الشمائل" "258"، ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" "931" من طريق أبي عوانة، كلاهما عن زياد بن علاقة، به، وصححه ابن خزيمة برقم "1182".

وفي الباب عن عائشة عند أحمد 115/6، والبخاري "4837"، ومسلم "2820"، والبيهقي في "السنن" 39/7، وأبي نعيم في "الحلية" 8/289، وعن أبي هريرة عند ابن خزيمة في "صحيحه" "1184"، وأبي نعيم في "الحلية" 205/7، وأخرجه أحمد 255/4 عن وكيع وعبد الرحمن، والبخاري "4836" في التفسير: باب قوله تعالى: {يَعْبُدُونَ اللَّهَ مُدَقِّمِينَ مِنْ نَفْسِكُمْ وَمَا أُوْحِرُوا} عن صدقة بن الفضل، ومسلم "2819" "80" في صفات المنافقين وأحكامهم: باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، عن أبي بكر بن أبي شيبة وابن نمير، والنسائي 219/3 في قيام الليل: باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل، عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن منصور، وابن ماجه "1419" في إقامة الصلاة: باب ما جاء في طول القيام في الصلوات، عن هشام بن عمار، والبيهقي في "السنن" 16/3 عن طريق يوسف بن يعقوب، كلهم عن سفيان، به. وصححه ابن خزيمة برقم "1833". وأخرجه أحمد 255/4، والبخاري "1130" في التهجد: باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل، و"6471" في الرقاق: باب الصبر عن محارم الله، والبيهقي في "السنن" 39/7 من طريق مسعر بن كدام، ومسلم "2819" "79"، والترمذي "412" في

الظاهر أن الشكر هنا على نعمة قد حصلت، ليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد لأن الغفران العام قد حصل له فصار الشكر لأجل المشكور لا غير و تمحض أنه لا لخوف ولا لطمع"¹

الصلاة: باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، وفي "الشمائل" "258"، ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" "931" من طريق أبي عوانة، كلاهما عن زياد بن علاقة، به، وصححه ابن خزيمة برقم "1182".

وفي الباب عن عائشة عند أحمد 115/6، والبدخاري "4837"، ومسلم "2820"، والبيهقي في "السنن" "39/7"، وعن أبي هريرة عند ابن خزيمة في "صحيحه" "1184"، وأبي نعيم في "الحلية" "205/7".

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص 37-38.

الفرع الخامس: الغاية من العبادة وثمرتها

إن الهدف الأسمى من العبادة هو استحقاق الله تعالى لها، وامتنالا لأوامره، وتحقيقا للغاية التي من أجلها خلق الإنسان، قال الله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات : 56].

فإنه عز وجل هو المعبود الحق وما سواه باطل ، وهو المستحق الوحيد للعبادة لعموم سلطانه على الكون ، ولعظيم فضله على الخلق، قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : 28 ، 29]

وقال: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هِينٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِي وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } [مريم : 9].

ومع ذلك فهو غني عن العالمين، فالعبادة لا تنقصه ولا تزيده شيئاً، وهو الغني بذاته غني مطلقاً، فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود، بل كل ما في الوجود محتاج إليه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ لِفُرُوقِ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ وَاللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [فاطر : 15] إذن فعلة الخلق هي العبادة ..

ولقد تم الخلق لتحقيق العبادة وتصبح واقعا ..ولكن (علة والمعلول) لا تنطبق على أفعال الله سبحانه وتعالى ..نقول ليس هناك علة تعود على الله جلّ جلاله بالفائدة ؛ لأن الله تبارك وتعالى غني عن العالمين ..ولكن العلة تعود على الخلق بالفائدة ؛ فالله سبحانه وتعالى خلقنا

نعبده. ولكن علة الخلق ليس لأن هذه العبادة ستزيد شيئاً في ملكه .. وإنما عبادتنا تعود علينا نحن بالخير في الدنيا والآخرة .. إن أفعال الله لا تعلق، والمأمور بالعبادة هو الذي سينتفع بها "1 .

وعليه فإن ثمرة العبادة إنما ترجع إلى العبد، فهو المحتاج إلى خالقه والمفتقر إليه، قال تعالى: { قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ } [يونس : 108].

يقول ابن عاشور مبينا سر العبادة : "...أن الله تعالى خلق هذا العالم ليكون مظهراً لكمال صفاته تعالى: الوجود، والعلم ، والقدرة، وجعل قبول الإنسان للكلمات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله تعالى وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في أوج الكمال والمعرفة، وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها متوقفاً على التلقين من السفارة الموحى إليهم بأصول الفضائل، ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في نفرتها وشرذاتها، وكانت تلك المراقبة تحتاج إلى تذكر المجازي بالخير وضده، شُرعَت العبادة لتذكُر ذلك المجازي، لأن عدم حضور ذاته واحتجابه بسُّجات الجلال يُسرب نسيانه إلى النفوس، كما أنه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين أفرادهم بلزوم آداب المعاشرة والمعاملة لئلا يفسد النظام ولمراقبة الدوام على ذلك أيضاً شرعت العبادة لتذكُر به، على أن ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشؤونه وفي ذلك تخلق بالكلمات تدريجاً فظهر أن العبادة هي طريق الكمال الذاتي و الاجتماعي مبدأ ونهاية

فالعبادة على الجملة لا تخرج عن كونها محققة للمقصد من الخلق، ولما كان سر الخلق و الغاية منه خفية الإدراك عرفنا الله تعالى إياها بمظهرها وما يحققها جمعا لعظيم المعاني في جملة

1- تفسير الشعراوي م1، ص79-80.

واحدة، وهي جملة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات : 56].¹ وفي حديث البخاري، قال صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"²

فالداعي من العبادة هو إجلال وتعظيم المعبود، ويكون ذلك إما حباً له، أو خوفاً منه، لقوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } - [آل عمران : 31].

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص 37، 38.

2- إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه الطيالسي "565"، ومن طريقه أبو عوانة 16/1، وابن منده "107" عن شعبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبد الرزاق "20546" ومن طريقه الطبراني في "الكبير" 254/20 "والبغوي في شرح السنة" 48 عن معمر، وأحمد 228/5 من طريق إسرائيل، والطيالسي "565"، والبخاري "2856" في الجهاد: باب اسم الفرس والحمار، ومسلم "30" "49" في الإيمان: باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، وأبو عوانة 61/1، وابن منده "108"، والطبراني 256/20 من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، والترمذي "2643" في الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وابن منده "106" من طريق سفيان، والنسائي في العلم من الكبرى "كما في" "التحفة" 411/8، 412 من طريق عمار بن زريق، خمستهم عن أبي إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 242/5، والبخاري "5967" في اللباس: باب إرداف الرجل خلف الرجل، و"6267" في الاستئذان: باب من أجاب بلبيك أو سعديك، و"6500" في الرقاق: باب من جاهد نفسه في طاعة الله، ومسلم "30" "48" في الإيمان، وأبو عوانة 17/1، وابن منده في "الإيمان" "92" من طرق عن همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن معاذ.

وأخرجه أحمد 229/5، 230، والبخاري "7373" في التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى توحيد الله، ومسلم "30" "50" و"51" في الإيمان، وأبو عوانة 16/1، 17، وابن منده في "الإيمان" "106" و"109" و"110" من طرق عن أبي حصين والأشعث ابن سليم، عن الأسود بن هلال، عن معاذ...

وأخرجه من طرق عن معاذ بن جبل: البخاري في "الأدب المفرد" "943"، وأحمد 230/5 و234 و236 و238، وابن ماجه "4296" في الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، وابن منده "92" و"102" و"105"، والطبراني 10/ "81" و"83" و"84" و"85" و"86" و"87" و"88" و"140" و"245" و"273" و"274" و"275" و"276" و"317" و"318" و"319" و"320" و"372".

وكذلك عبادة المشركين وحبهم لأصنامهم، قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْهَابًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْغَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَلَّا لِلَّهِ شَيْدُ الْغَابِ } [البقرة : 165] ، ومن الأمم من عبدت عن خوف دون محبة، اتقاء شر المعبود .

فأعظم ثمرة للعبادة هي أنها حققت للعبد حرّيته، فقد حرّرتّه من الخضوع والاستسلام لغير الله، وحرّرتّه من كلّ سلطان عدا سلطان الله تعالى، فأحسّ بالسكينة والأمان إليه، فإياك نعبد "هذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل، التحرر من عبودية الأوهام، والتحرر من عبودية النظم ، التحرر من عبودية الأوضاع، وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد، والله وحده هو الذي يستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استدلال النظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استدلال الأساطير والأوهام والخرافات" ¹.

والعبادة هي الغذاء الروحي للعبد، بها يحصل انشراح الصدر ،وتفريج الكرب، والتوطين على الصبر، حيث لا يجد إشباعا لحاجته إلا بالتقرب إلى الله تعالى، قال جلّ وعلا مخاطبا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَلَقَدْ نَعَّمْنَا عَلَيْكَ بِمَا يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98)وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَلْتَمِسَكَ الْيَقِينَ (99) } [الحجر: 97، 99]

كأمن العبادة تورث التقوى والاستقامة وصلاح النفس،وهي تقوم أساسا على التذكير بالله تعالى، والتذكير ليس إلا استنشعارا أن الله أكبر في كل حين، وهي الكلمة التي تقوم عليها أساس العبادة بمختلف أنواعها، فهي شعار يردد في الصلاة والآذان والحج والجهاد تصرّحا ونطقا، وفي الصوم والزكاة وسائر التكاليف تقريرا وعملا، فالذي يصوم يملك الطعام والشراب ويحبه، ولكن الله أكبر في نفسه، من رغباته وشهواته، وذلك امتنع عنه ، وصاحب المال له أن يمسكه في يده ، ويدخره لنفسه، ولا يؤدي فيه حق الله، ويستطيع أن يصرفه في وجوه الحرام لاهيا متمتعا ، والنفس

1 - سيد قطب : في ظلال القرآن، ج1، ص5.

إلى ذلك تميل ، ولكنه يمتنع وينفقه ابتغاء مرضاة الله، لأن الله أكبر مما يقدمه المال من منفعة في نوائب الزمان ...ولذا فإن كلمة الله أكبر هي شعار العبادات كلها ، من خلت قلبه حقيقة استقام على الطريق، واستهان دونها بكل جليل، وظهرت الدنيا على حقيقتها متاع الغرور .

الفرع السادس:قواعد العبادة

قواعد العبادة خمس عشرة قاعدة، وهي منقسمة على القلب واللسان والجوارح، يدور كل واحد منها على أحكام التكليف الشرعي الخمسة: الواجب ، والمستحب، والحرام ، والمكروه، والمباح.

يقول الشيخ ابن قيم: "ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية. وبيانها:

أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه.

والأحكام التي هي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح. وهي لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح"¹

1- ابن قيم الجوزية همدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإيّاك نستعين ج1ص111.

المطلب الثالث: اتباع الصراط المستقيم

إن اتباع الصراط المستقيم هو مقتضى من أهم مقتضيات الاستقامة، أمر الله عز وجل باتباعه ونهى عن اتباع السبل فقال في كتابه الكريم: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ نَلَاكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام : 153].

وقال: { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بَيْنَا قَيْلَمَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) } [الأنعام : 161 - 163]

وقال عبد ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال: " هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: "هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها " ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام : 153].

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: "هذه سبيل الله" ثم تلا هذه الآية :

{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }¹ .

1- أخرجه الطيالسي "244"، وأحمد 435/1 و465، والدارمي 67/1-68، والطبري قس "تفسيره" 14168"، والنسائي في التفسير من الكبرى كما في "التحفة" 49/7، والبخاري "2410"، من طرق عن حماد بن زيد بهذا الإسناد، وصححه الحاكم 318/2، ووافقه الذهبي.

وأخرجه البخاري أيضاً "2211" من طريق الأعمش عن أبي وائل و "2213" من طريق منذر الثوري عن الربيع، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" 25/7 من طريق زر بن حبیش، ثلاثتهم عن ابن مسعود به.

- فما هي الصراط؟
- ولماذا خصّها الله عز وجلّ بالاستقامة؟
- ولماذا ذكر " الصراط المستقيم " مفردا معرّفا تعريفين؟
- ما تفسير قوله تعالى: { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } [الحجر : 41] ؟

وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند أحمد 397/3، وابن ماجه "11" أخرجاه من طريق أبي خالد الأحمر، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر، ومجالد ليس بالقوي، وحديثه حسن في الشواهد، وهذا منها. وانظر "الدر المنثور" للسيوطي 56، 55/3.

الفرع الأول: مفهوم الصراط لغة

إن الأصل اللغوي للفظة: (الصراط) هو (السرط) ومعناها:

"الطريق المستسهل، أصله: سرطت الطعام وزدته: ابتلغته، فقليل: سراط، تصورا أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه، ألا ترى أنه قيل: قتل أرضا عالمها، وقتلت أرض جاهلها، وعلى النظرين قال أبو تمام:

رعته الفيافي بعدما كان حقبة

رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

وكذا سمي الطريق: اللقم والملتقم، اعتبارا بأن سالكه يلقمه"¹

"وأهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق وبنو تميم يذكرون هذا كله وتذكيره هو الأكثر ويجمع في الكثرة على صراط ككتاب وكتب وفي القلة قياسه أصرطة هذا إذا كان الصراط مذكراً وأما إذا أنث فقياسه أفعل نحو ذراع وأذرع."²

1- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوود، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3: 1423هـ، 2002م، ص 483.

2- شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - تفسير الألويسي - دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج 1 / ص 95

"قرأ بن عامر وبن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم والكسائي: { أَهْنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }
[الفاحة : 6] بالصاد ، وقال القعقاع بن عطية الباهلي :

أَكْرُ عَلَى الْحُرُورِيِّينَ مَهْرِي لِأَحْمَلِهِمْ عَلَى وَضَحِ الصَّرَاطِ"¹
" والسرّاط: السبيل الواضح، والسرّاط لغة في السرّاط. قال "جرير"²:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صَرَاطٍ إِذَا أَعُوجَ الْمَوَارِدِ مُسْتَقِيمًا"³.

" قال ابن عباد: الصراط، بالضم: السيف الطويل، والسين لغة في الكل، وقد قرأ يعقوب:

{ أَهْنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاحة : 6] وَأَنْ أَوَّلَ صَادِهِ سَيْنٌ، قَلْبَتِ مَعَ الطَّاءِ صَادًا لِقَرَبِ

مَخَارِجِهِمَا. أَمَّا صَرَاطُ الْآخِرَةِ فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ: جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ .

يقول الطبري: "جمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم: هو الطريق

الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك في لغة العرب... و تستعير العرب "الصراط" فتستعمله في

كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوجّ باعوجاجه"⁴ ولا

تكون الطريق صراطا حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود، والقرب،

وسعته للمارين عليه، وتعيينه طريقا للمقصود، ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور

الخمسة .

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين ،

وكلما تعوج طال وبعد ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه

يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال، يستلزم

تعيينه طريقا.⁵

1 -تاج العروس، ج19، ص437.

2 - ديوان جرير بن عطية الخطفي 507. يمدح هشام بن عبد الملك. والموارد جمع موردة : وهي الطرق إلى الماء ، يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم، كما يسلكون الموارد إلى الماء.

3-ابن منظور: لسان العرب، 3، ص1993. -

4- تفسير الطبري، ج1، ص170.

5-ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص 10، 11.

الفرع الثاني: مفهوم الصراط اصطلاحاً

أولاً: مفهوم الصراط عند السلف الصالح

-اختلفت عبارات المفسرين من السلف الصالح في تفسير الصراط ، فروي أنه كتاب الله، وروي أنه الإسلام . وروي أنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلِحَاهُ ، فقد أورد ابن أبي حاتم في تفسيره بعض الروايات التي رويت في تفسير الصراط، فقال :

الوجه الأول:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَفَّةَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ، عَنْ حِزَّةِ الزِّيَّاتِ، عَنْ سَعْدِائِيٍّ، عَنِ ابْنِ أَخِي الْحَرِثِ الْأَعْرِي، عَنِ الْحَارِثِ، قَالَ: تَخَلَّتْ عَلَيَّ عَطِيٌّ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ " : كِتَابُ اللَّهِ."

الوجه الثاني: حَدَّثَنَا أَبِي، ثَنَا أَبُو وَصَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي مُعَلْوِيَةُ بْنُ صَلَاحٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جَبْرِ بْنِ فَيْرٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ثَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ."¹

والوجه الثالث:

- حَدَّثَنَا سَعْدَانُ بْنُ نَصْرِ بْنِ بَغْدَائِيٍّ، ثَنَا أَبُو وَ النَّضْرِ هَلْشَمُ بْنُ الْقَاسِمِ، أُنْبَأَ حِزَّةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ: " " اهْنَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ " ، قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلِحَاهُ مِنْ بَعْدِهِ"، قَالَ عَاصِمٌ فَتَكَرَّرْنَا ذَلِكَ لِحَسَنِ فَقَالَ: صَقَّ أَبُو الْعَلَاءِ وَصَحَّ

والوجه الرابع:

1 - أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية - صيدا - تحقيق: أسعد

- ثنا يحيى بن عبيد، ثنا خالد بن عبد الرحمن المخزومي، ثنا عوف بن نر، عن مجاهد، في قوله: "الصراط المستقيم"، قال: الحق".

- حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن العلاء أبو كريب، ثنا عثمان بن سعيد الريات، ثنا بشر بن عمارة، ثنا أبو روق، عن الضحك، عن أبي عباس: "أهدنا الصراط المستقيم"، يقول: أَلْهَمْنَا بِكَ الْحَقَّ، وَهُوَ إِلَاهٌ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".¹

-وروى الترمذي من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعا: "وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم"²

- وفي تفسير الطبري، حدثني محمود بن خدّاش الطالقاني، قال حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، قال حدثنا علي والحسن ابنا صالح، جميعا عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله {أهدنا الصراط المستقيم} {الفاحة: 6} .

قال: الإسلام، قال هو أوسع مما بين السماء والأرض"³.

وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، حيث قال: حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية ب صالح، أن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، حدثه عن أبيه، عن النّوّاس بن سمعان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى أبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط،

1- أبو حاتم الرازي: تفسير ابن أبي حاتم ج 1 ص 30.

2- صحيح الترمذي، باب فضل القرآن، ح/2906.

4-أورده الحاكم في المستدرک من طريق أبي نعيم عن الحسن بن صالح وحده، بها الإسناد وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير والسيوطي والشوكاني.

فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه، فأئك إن تفتحه تلجه.
فالصراط الإسلام والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس
الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم"¹

وقال مجاهد: "(اهدنا الصراط المستقيم) قال: الحق"².

- فخلاصة أقوال السلف في تفسير "الصراط" ما يلي:

قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما هو الإسلام وهو قول مقاتل .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو القرآن .

وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً هو كتاب الله.

"وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه هو طريق الجنة .

وقال سهل بن عبد الله هو طريق السنة والجماعة .

وقال بكر بن عبد الله المزني هو طرق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1-أخرجه أحمد بن حنبل ، مسند النوراس بن سمعان الكلابي الأنصاري رضي الله عنه ، ح /17671.

هكذا رواه ابن حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به، رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حجر عن بقية عن
جبير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفيير عن النوراس بن سمعان به.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 - 774 هـ] تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد
سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية 1420 هـ - 1999 م ج 1 ص 137.

- من خلال ما سبق نستنتج ترابط تفسيرات السلف وتكاملها وإن اختلفت عباراتها، فإن حاصلها شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه المتابعة لا تتم إلا باتباع الإسلام، الذي يعتبر القرآن منهاجا له، وباتباعنا القرآن نهتدي إلى طريق الحق.

يقول الشيخ ابن كثير: " وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا والله الحمد" ¹

1- تفسير ابن كثير ج1 ص139.

ثانياً: تعريف العلماء والمفسرين

عرف العلماء والمفسرين الصراط بمجموعة من التعريفات :

-قال محمد الطاهر بن عاشور:" والصراط: الطريق الجادة الواسعة ... والمراد الإسلام ، كما دل عليه قوله في آخر السورة-سورة الأنعام _ { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بَيْنَا قَهْلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام : 161].

لأن المقصود منها تحصيل الفلاح في الدنيا والآخرة، فشبهت بالطريق الموصل السائر فيه إلى غرضه ومقصده"¹.

-أما رشيد رضا فذهب إلى أن الصراط المستقيم هي القرآن فقال مفسراً قوله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ نَلَّكُمْ وَصَّأَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُونَ } [الأنعام : 153]. "إن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه وأدعوكم به إلى ما يحييكم ؛ هو صراطي ومنهجي الذي أسلكه إلى مرضاة الله تعالى ونيل سعادة الدنيا والآخرة، أشير إليه مستقيماً ظاهر الاستقامة، لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه، وهي كثيرة فتفرق بكم عن سبيله بحيث يذهب كل منكم في سبيل ضلالة منها ينتهي بها إلى التهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، وليس أمام تارك النور إلا الظلمات، وقد أضيف الصراط بهذا المعنى إلى الله تعالى"²

-وعرفها أحمد بن تيمية بقوله:" ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب، من اعتقادات، واردة وغير ذلك، وأمور ظاهرة؛ من أقوال أو أفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة والركوب وغير

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج8، ص172. -

2- رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص194.

ذلك. إذ هو الذي شرعه وإلى الدعاة إليه، والسالكين له من النبيين وغيرهم في سورة الفاتحة ،
والظاهر أن إضافته هنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو المخاطب للناس بهذه الوصية
وفعلها مسند إليه تعالى بضمير الغيبة .

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال
يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته وهي الشرعة والمنهاج
الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب
عليهم والضالين، فأمر مخالفتهم في الهدى الظاهر¹.

-وذهب ابن قيم إلى أن الصراط المستقيم هو " طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن
رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا وهو
إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله الطاعة، فلا يشرك به أحد في عبوديته ، ولا يشرك برسوله أحد في
طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول"²

-وقال الطبري " والذي هو أولى بتأويل هذه الآية: { اهْتَبِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6]
أن يكون معنياً به، وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول
وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين
والصديقين والشهداء، فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله

1-أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق الدكتور
عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشد الرياض، ص:80.

2 -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد، مكتبة المؤيد، الرياض، ط:1: 1415 هـ 1994م، ج1،
ص280

به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي وكل عبد لله صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم"¹

الفرع الثالث: ذكر الصراط المستقيم مفردا معرّفا وإضافته إلى المنعم عليهم

ورد ذكر "الصراط المستقيم" في القرآن الكريم مفردا معرّفا، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا أَتَّبِعُوهُ} [الأنعام: 153]

وقال: {قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبْلَمَا آتَىٰ إِبْرَاهِيمَ حَدِيثًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 161].

وقال: { أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة: 6]. في حين، وردت طرق أهل الضلال
والغضب جمعا: قال تعالى: { وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُطَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام: 153]. ، وذلك لأن
صراط الله واحد، أما سبل الضلال فهي كثيرة ، قال عبد ابن مسعود رضي الله عنه : خط لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال: " هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن
شماله، ثم قال : "هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها " ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا أَتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُطَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ نَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }.

وعن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا، وخط خطين
عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: "هذه سبيل الله" ثم تلا
هذه الآية : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا أَتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُطَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ نَلِكُمْ وَصَّاكُم

1- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 - 310)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : مكتب التحقيق بدار
هجر. دار هجر. الطبعة : الأولى، ج1، ص171..

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }¹ .

يقول ابن قيم الجوزية: " وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، إنه متصل بالله، موصل إلى الله."²

فطريق الله تعالى واحد، مستقيم، لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فهو المنهج المتبع لمرضاته، ونيل سعادة الدنيا والآخرة ، وهو إفراده بالعبودية ، وإفراد رسوله بالطاعة، ولا طريق لعباده سواه، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، وليس أمام تارك النور إلا الظلمات.

يقول ابن عاشور: " والسُّبُلُ : الطَّرِيقُ ، ووقوعها هنا في مقابلة الصَّوْاطِ المستقيم يدلّ على صفة محذوفة ، أي السُّبُلِ المنفَرِّقة غير المستقيمة ، وهي التي يسَّوْنَهَا : بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ ، وهي طرق تنشعب من السبيل الجادة ذاهبة ، يسلكها بعض المارة فرادى إلى بيوتهم أو مراعيهم فلا تبلغ إلى بلد ولا إلى حيّ ، ولا يستطيع السير فيها إلاّ من عَظَمَها واعتادها ، فلذلك سبب عن النهي قوله : { فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } ، أي فإنها طرق متفرقة فهي تجعل سالكها متفرقا عن السبيل الجادة ، وليس ذلك لأن السبيل اسم للطريق الضيقة غير الموصلة ، فإن السبيل يرادف الصَّوْاطِ ألا ترى إلى قوله : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ

1- تقدم تخرجه ، ص 84.

2- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 15.

وَمَا أَنَا مِنَ الشُّرَكِيِّينَ { [يوسف : 108]، بل لأنَّ المقابلة والإخبار عنها بالتفريق دلَّ على أن المراد سُلَى خاصةً موصوفةً بغير الاستقامة.¹

-أما إضافته إلى المنعم عليهم، فبيانه أن سالك "الصراط المستقيم" هو المؤمن ، المخلص ،الثابت على دين الله، المتمسك بسنة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ترى أكثر الناس معرضون ناكبون عنه، فإنه سيجد وحشة التفرد في هذا الطريق، ولما كانت النفوس مجبولة على الأُنس بالرفيق، بين الله عز وجل له الأُنيس وهم الذين ﴿وَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. [النساء : 69]

يقول ابن قيم: " فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيق هذا الصراط: هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكثر بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرا، وإن كانوا الأكثرين عددا²

فقد قال بعض السلف: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلّة السالكين، وإياك وطريق الباطل، لا تغتر بكثرة الهالكين ، فسالك الطريق المستقيم كما استوحشها، فليُنظر إلى من سبقه من الرفقاء، على أن يكون شديد الحرص على اللحاق بهم، متجاهلا سواهم .

فعن قتادة قال: قال ابن مسعود: "من كان منكم متأسيا فليتنأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأحسنها حالا، اختارهم

1- ابن عاشور:التحرير والتتوير ج 5 / ص 195

2--مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص21، 22.

الله لصحبة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فَإِنَّهُمْ
كانوا على الهدى المستقيم" ¹

الفرع الرابع: الصراط إلى الله وعلى الله والفرق بين الحرفين

قال الله تعالى: { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } [الحجر: 41] ورد في تفسير الآية الكريمة الأقوال

التالية:

قال الحسن: معناه صراط إلى مستقيم.

وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى، وعليه طريقه، ولا يعرج عليه شيء.

قال الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه: طريقك عليّ، أي: لا

تقلت مني، كما قال عز وجل: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ } [الفجر: 14].

وقال الأخفش: يعني: عليّ الدلالة على الصراط المستقيم.

"وقيل: معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية." ²

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ / 2003 م، ج1، ص60.

2- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغدوي (المتوفى: 510 هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، ج4، ص382.

يقول ابن قيم مرجحاً بين الأقوال السابقة للسلف: " قال الحسن: معناه صراطٌ إليّ مستقيم، وهذا يحتمل أمرين: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة "على" مقام "إلى" . والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى. وهو الأشبه بطريق السلف، أي صراط موصل إليّ.

قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء. وهذا مثل قول الحسن وأبين منه . وقيل "عليّ" فيه للوجوب، أي عليّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه، والقولان نظير القولين في آي النحل وهي: { وَطَى اللّٰهُ قَاصِدُ السَّبِيلِ } [النحل:9] وهو المستقيم المعتدل - يرجع إلى الله ويوصل إليه.

قال طفيل الغنوي:

مضوا سلفاً ، قصد السبيل عليهم

وصرف المنايا بالرجال تشقّب

أي: ممرنا عليهم، وإليهم وصولنا .

وقال الآخر:

فهن المنايا أي واد سلكته

عليها طريقي ، أو عليّ طريقها

فإن قيل: لو أراد هذا المعنى لكان الأليق به أداة "إلى" التي هي للانتهاء، لا أداة "على" التي

هي

للجوب، ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال: {إِنَّا إِلَيْنَا يَلِيهِمْ} ، ثُمَّ إِنَّ عَطِينًا حِصَلِيهِمْ {

[الغاشية 25، 26].

وقال: {إِلَيْنَا مَجِئُهُمْ ثُمَّ نَمِيقُهُمْ} الْغَابَ الشَّدِيدَ بِمَكَانٍ وَكَافِرُونَ { [يونس : 70]

وقال: {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ} م بِمَكَانٍ وَ يَبْعُدُونَ { [الأنعام : 108]

وقال لما أراد الجوب {ثُمَّ إِنَّ عَطِينًا حِصَلِيهِمْ} [الغاشية، 26].

وقال: {إِنَّ عَطِينًا جَمَعَهُ وَقَرَّانَهُ} [القيامة : 17]

وقال: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّوْزِقِهَا أَوْ يَطْمُ سَمَّاتِهَا وَسَمَّاتِهَا كُفِّي فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ } [هود : 6]¹.

وفي أداة "على" إشعار بأن مستعمل هذا الصراط على هدى وعلى حق، فقد قال تعالى:

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { [البقرة: 4].

وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: 79]،

فقد أفادت "على" ما لم تفده "إلى"، "فعلى" تفيد العلو والثبوت والاستقامة.

- أما القول الثالث، وهو قول الكسائي فقد رده ابن قيم مرجحاً عليه القولين الأولين، قال

رحمه الله تعالى: "وأما تشبيه الكسائي له بقوله {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ} [الفجر: 14] فلا يخفى الفرق

بينهما سياقاً ودلالة، فتأمل، ولا يقال في التهديد: هذا طريق مستقيم عليّ لمن لا يسلكه، وليست

1 - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص15، 16.

سبيل المهتد مستقيمة، فهو غير مهتد بصراط الله المستقيم، وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله، فلا يستقيم هذا القول البتة"¹.

أما القول الرابع وهو تفسيره بالوجوب، أي عليّ بيان استقامته والدلال عليه، فرأى أن المعنى صحيح لا غبار عليه، إلا أنه هو المراد بالآية ففيه نظر "لأنه حذف في غير موضع الدلالة، ولم يؤلف الحذف المذكور، ليكون مدلولاً عليه إذا حذف، بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة، فإنه حذف مألوف معروف، حتى إنه لا يذكر البتة، فإذا قلت: له درهم علي، كان الحذف معروفاً مألوفاً، فلو أردت: علي نقده، أو علي وزنه وحفظه، ونحو ذلك، وحذفت: لم يُبغ، وهو نظير: عليّ بيانه، المقدر في الآية، مع أن الذي قاله السلف أليق بالسياق، وأجلّ المعنيين وأكبرهما"².

المطلب الرابع: التوحيد

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص17.

2- ابن قيم الجوزية - المصدر نفسه.

إن من أهم مقتضيات الاستقامة، توحيد الله عز وجل، والإيمان به، وطاعته، قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتْلُو عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّذِينَ خَافُوا وَلَا حَزَنٌ وَلَا أُبْسٌ بِأَلْسِنَةٍ رَطْبَةٍ وَهُمْ لَا يُهْمُونَ } [فصلت 30]. وقال في سورة الأحقاف: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ } [الأحقاف 13، 14].

وفي صحيح مسلم حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَنِي نُفَيْرُ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ جَرِيرِ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عَنِ هِشَامِ بْنِ عُوَّةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقِيفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْتُ¹ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: " هَذَا مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } أَيِ وَحُّوا اللَّهَ، وَأَمَدُوا بِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا قَدْ يَحْيُوا عَنْ التَّوْحِيدِ، وَالتَّزَمُوا طَاعَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ تُؤْفُوا عَلَى ذَلِكَ. وَعَطَى مَا نَكَّرْنَاهُ أَكْثَرَ الْمَفْسَّرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَدَّهْمُ وَهُوَ مَعْنَى الْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى."²

-فما مفهوم التوحيد؟

- وما أنواعه؟

الفرع الأول: مفهوم التوحيد في اللغة

1- صحيح مسلم، باب جامع أوصاف الإسلام، حديث رقم 55.

2- شرح النووي على مسلم، ج 1 ص 117.

إن التوحيد في اللغة هو الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد.

و"الواحدُ أَوَّلُ عَدِّ الحِسابِ، وَقَدِيمُ ثَنَيْ، جِ واحِنونَ، وَالْمَتَقَدِّمُ فِي عِلْمٍ أَوْ بَأْسٍ، جِ وُحْدَانٌ وَأُحْدَانٌ، وَبِمَعْنَى الأَحَدِ. وَحَدٌّ كَطَمٍ وَكُرْمٍ يَحْدُ فِيهِمَا، وَحَادَةٌ وَوَحْوَةٌ وَوُحودًا وَوُحْدًا وَوُحْدَةً وَوَحْدَةً بَقِيَ مُفْرَدًا، كَتَوَحَّدَ. وَوَحَّدَهُ تَوْحِيدًا جَعَلَهُ واحِدًا، وَيَطْرُدُ إِلَى العَثْرَةِ. وَرَجُلٌ وَحْدٌ واحِدٌ، مُحْرَكَتَيْنِ، وَوَحْدٌ وَوَحِيدٌ وَمَتَوَحَّدٌ مُفْرَدٌ، وَهِيَ وَحْدَةٌ. وَأَوْحَدَهُ لِلأَعْدَاءِ تَرَكَّهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَانِبَهُ، أَيِ بَقِيَ وَحْدَهُ، وَفَلانًا جَعَلَهُ واحِدَ زَمَانِهِ، وَالشَّاةُ وَضَعَتْ واحِدَةً، وَهِيَ مُوحِدٌ. وَيَذُو الوَحِيدِ: قَوْمٌ مِنْ بَنِي كِلابٍ. وَالوُحْدَانُ بِالضَّمِّ: أَرْضٌ. وَتَوَحَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِعِصْمَتِهِ: عَمَمَهُ، وَلَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ."¹

يقول الجوهري: "الوَحْدَةُ: الانفراد. تقول: رأيتُه وَحْدَهُ. وهو منصوبٌ عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال. ولا يضاف إلا في قولهم: فلانٌ نسيحٌ وَحْدَهُ وهو مدحٌ. وَجَيْشٌ وَحْدَهُ وَعَيْرٌ وَحْدَهُ وهما نَمٌّ. وَالواحدُ: أَوَّلُ العَدَدِ، والجمعُ وُحْدَانٌ وَأُحْدَانٌ. قال الفراء: يقال أنتم حيٌّ واحدٌ وحي واحدون، كما يقال: شَرْنَمَةٌ قليلون. وأنشد للكُمَيْتِ:
فَضَمَّ قَواصِي الأَحْياءِ مِنْهُمْ ...

فقد رجعوا كحيٍّ واحِدِينا"²

والتوحيد: الإيمان بالله وَحْدَهُ. وَاللهُ الأَوْحَدُ وَالْمَتَوَحِّدُ: نُو الوُحْدانِيَّةِ. يقول ابن منظور: " والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحدُ الأَحَدُ نُو الوُحْدانِيَّةِ والتَّوْحُدِ، ابن سيدة: والله الأَوْحَدُ

1- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج 1 ص 328، 329.

2- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراء: الصحاح في اللغة ج 2 ص 269.

وَأَلْتَمَسَ وَحْدٌ وَنُو الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَمِنْ صِفَاتِهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدُ ، قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : وَغَيْرِهِ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ، أَنْ الْأَحَدَ بَنِي لِنَفِي مَا يَذْكَرُ مَعَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، تَقُولُ مَا جَاءَنِي أَحَدٌ وَالْوَاحِدُ اسْمُ بَنِي مُقْتَدَحِ الْعَدَدِ تَقُولُ جَاءَنِي وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا تَقُولُ جَاءَنِي أَحَدٌ ، فَالْوَاحِدُ مَنْفَرِدٌ بِالذَّاتِ فِي عَدَمِ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ ، وَالْأَحَدُ مَنْفَرِدٌ بِالْمَعْنَى وَقِيلَ الْوَاحِدُ هُوَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَيْتَنَى وَلَا يَقْبَلُ الْإِنْقِسَامَ وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاحِدُ قَالَ هُوَ الْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آخَرٌ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَأَمَّا اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لَا يُوصَفُ شَيْءٌ بِالْأَحَدِيَّةِ غَيْرِهِ لَا يَقَالُ رَجُلٌ أَحَدٌ وَلَا دَرَاهِمٌ أَحَدٌ ، كَمَا يَقَالُ رَجُلٌ وَحْدٌ أَيْ فَرْدٌ لِأَنَّ أَحَدًا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي اسْتَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ وَلَا يَشْرِكُهُ فِيهَا شَيْءٌ وَلَيْسَ كَقَوْلِكَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَهَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَا يَقَالُ شَيْءٌ أَحَدٌ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ قَالَ إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَحَدِ وَحْدٌ ، قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : قَالَ الْكَسَائِيُّ مَا أَنْتَ مِنَ الْأَحَدِ أَيْ مِنَ النَّاسِ وَأَنْشُدُ :

وَلَيْسَ يَطْلُبُنِي فِي أَمْرِ غَانِيَةٍ إِلَّا كَعَمْرٍو وَمَا عَمْرٍو مِنَ الْأَحَدِ

قَالَ وَلَوْ قُلْتَ مَا هُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ تَرِيدُ مَا هُوَ مِنَ النَّاسِ أَصَبْتَ ، وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ } [سُورَةُ الْإِحْلَاصِ : 1، 2] فَإِنَّ أَكْثَرَ الْقُرَّاءِ عَلَى تَنْوِينِ أَحَدٌ وَقَدْ قَرَأَهُ بَعْضُهُمْ بِتَرْكِ التَّنْوِينِ قَرَأَ بِإِسْكَانِ الدَّالِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَأَجُودُهَا الرَّفْعُ بِإِثْبَاتِ التَّنْوِينِ فِي الْمُرُورِ وَإِنَّمَا كَسَرَ التَّنْوِينُ لِسُكُونِهِ وَسُكُونِ اللَّامِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ حَذْفِ التَّنْوِينِ فَلِالتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ أَيْضًا ¹ .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ تَكَلَّلَهُ وَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ فَقَالَ لَهُ : " أَحَدٌ أَحَدٌ " ² أَيْ أَشْرَ بِإِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ .

1- ابن منظور: لسان العرب ، ص 4781.

2- أخرجه أبو داود في سننه، ح/1501، باب الدعاء، والترمذي ، ح/3557، والنسائي، ح/1272.

فالتّوحيد في اللغة هو مصدر وَحَّدَ يوحد توحيدًا؛ أي: جعل الشيء واحدًا، متفردًا، ومنه قولهم: وَحَّدَ البلدة؛ أي: جعلها واحدة تحت حاكم واحد ، وهو جعل المتعدّد واحدًا ، ويطلق شرعًا على تَفَرَّدَ الله بالربوبية والألوهية ، وكمال الأسماء والصفات.

الفرع الثاني : تعريف التوحيد اصطلاحا

عرف الجرجاني التوحيد بقوله : " وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة."¹

كما عرف العلماء التوحيد على أنه "إفراد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته".

وجاء في السنة الدعوة إلى توحيد الله؛ كما جاء في صحيح البخاريّ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال « إِيَّاكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيُكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ يُوْحِدُوا اللَّهَ » ، وفي رواية أخرى قال " فَلْيُكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"² فدلّ على أن التّوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبهما يتحقق التوحيد.

1-الجرجاني: التعريفات ، ج 1 / ص 23.

2. أبو معبد: نافع مولى ابن عباس المكي، وأخرجه البيهقي 101/4 عن الحاكم، عن أبي النضر محمد بن ممد بن يوسف الفقيه، عن الحسن بن سفيان، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "1458" في الزكاة: باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ومسلم "19" "31" في الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، وابن منده في "الإيمان" "214"، والطبراني في "الكبير" "12207". من طريق أمية بن بسطام، بهذا الإسناد.

وعلم التوحيد يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال ، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به ، وما يجوز من الأفعال ، وعما يجب للرسول والأنبياء ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز في حقهم ، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة ، والملائكة الأطهار ، ويوم البعث والجزاء ، والقدر والقضاء ، وفائدته تصحيح العقيدة ، والسلامة في العواقب ، ونيل السعادة في الدارين ، واسمه : " علم التوحيد ، وعلم أصول الدين " .

الفرع الثالث :أنواع التوحيد

أشار أهل العلم "كابن جرير الطبري، وابن القيم وابن تيمية ، والشنقيطي "وغيرهم إلى أن التوحيد ثلاثة أنواع وهي:
- توحيد الربوبية.

توحيد الأسماء والصفات و يسمى أيضا توحيد المعرفة والإثبات.
توحيد الإلهية ، أو توحيد الإرادة والقصد .

وأخرجه البخاري "7372" في التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى توحيد الله تبارك وتعالى، من طريق عبد الله بن أبي الأسود، عن الفضل بن العلاء، عن إسماعيل بن أمية، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة 114/3، وأحمد 233/1، والبخاري "1395" في الزكاة، باب وجوب الزكاة، و"1496" باب أخذ الصدقة من الأغنياء، و"2448" في المظالم: باب الاتقاء والحرز من دعوة المظلوم، و"4347" في المغازي: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، و"7371" في التوحيد، ومسلم "19" في الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، وأبو داود "1584" في الزكاة: باب زكاة السائمة، والترمذي "625" في الزكاة: باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة، والنسائي 2/5 في الزكاة: باب وجوب الزكاة، وابن ماجه "1783" في الزكاة: باب فرض الزكاة، والدارمي 379/1 و384 في الزكاة، وابن منده "116" و"117" و"213"، والبخاري في "شرح السنة" "1557"، والدارقطني 136/2، والطبراني "12408"، من طرق عن زكريا بن إسحاق المكي، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، بهذا الإسناد.

وهذا التقسيم لم يحدده النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة، وإنما هو اجتهاد من اجتهادات العلماء جاء بعد استقراءهم وتتبعهم للنصوص الشرعية . وهذه الثلاثة متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر.

-أما توحيد الربوبية : " فهو توحيد الله - تعالى - بأفعاله. والإقرار بأنه خالق كل شيء ، قال الله تعالى: { هُوَ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ يُزِقُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ فَاَتَىٰ تَوْفُكُونَ } [فاطر : 3]

ومليكه، قال الله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك : 1]، وقال تعالى: { قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [المؤمنون : 88]

واليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف : 54].

فهو الذي حيي ويميت ، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وهو الذي يرسل الرسل ويشرع الشرائع ، ليُحق الحق بكلماته ويُدقيم العدل بين عباده شرعاً وقدرًا إلى غير ذلك مما لا يُحصيه العد ، ولا تحيط به العبارة .

وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة ، وقام عليه دليل السمع والعقل ، ولم يعرف عن طائفة بعينها القول بوجود خالقين متكافئين في الصفات والأفعال.

ومن نقل عنهم من طوائف المشركين نسبة شيء من الآثار والحوادث لغير الله ، كقوم هود ، حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: {إِنْ قَوْلُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَةٍ تَنَزَّلُ بِسُوءٍ } [سورة هود: 54].

فإن ما نسبوه إلى آلهتهم إنما كان لزعمهم أنها وثيقة الصلابة لله ، وأنها شفيعة لمن عبدها ، وتقرب إليها بالقرابين عند الله ، في جلب النفع له ، ودفع الضر عنه .

ومن أجل هذه الشائبة من الشرك في الربوبية نبه الله على بطلانه ، وأنكر على من زعمه ، فقال - تعالى - : { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [سورة المؤمنون: 91 - 92].¹ . .

فقد بين الله عز وجل في هاتين الآيتين أنه وحده يستحق العبادة ، فهو الخالق، الواحد، الفرد، الصمد، الذي يرجى خيره ونفعه، فتجب طاعة أمره، وتنفيذ قصده، كما يخشى بأسه ويطشه، فلا تنتهك حرمانه ولا يعتدى على حدوده، فإن الكبرياء والعظمة القوة والجبروت . . كلها صفاته سبحانه، قال تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ هَعَالِهَةً كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتِغَا إِلَى نِي الْعُشِّ سَبِيلًا } [سورة الإسراء ، الآية: 42].

فقد قيل أن المعنى المراد من الآية هو : لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته.

وقيل: المعنى لاتخذوا سبيلاً إلى عبادته ، وتأليهه ، وابتغوا إلى رضاه سبيلاً. كما قال تعالى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ

إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } [سورة الإسراء ، الآية: 57]

"وقد استخلص بعض العلماء من ذلك دليلاً سموه: دليل التمانع ، استدلوا به على توحيد الربوبية.

1- عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، الطبعة الأولى: 1420هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. - ج 1 / ص 22، 23

قالوا : لو أمكن أن يكون هناك ربان يخلقان ، ويدبران أمر العالم لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء ، ويريد الآخر عدمه ، أو يريد أحدهما حركة شيء ، ويريد الآخر سكونه. وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما ، وهو محال . لما يلزمه من اجتماع النقيضين ، ولما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه ، والعاجز لا يصلح أن يكون ربا.¹.

وتوحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله سبحانه وهو لا يكفي الإقرار به للحكم بالإسلام، بل لا يعصم الدم والمال؛ فقد قاتل النبي صلى الله عليه وسلم مشركي قريش رغم إقرارهم بهذا النوع من التوحيد؛ كما ذكر الله تعالى عنهم: { وَلَدَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيُقُولُنَّ اللَّهُ } [العنكبوت: 61]..

وتوحيد الألوهية: "ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين; فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى.

والعبادة تطلق على شيئين:

الأول: التعبد بمعنى التذلل لله - عز وجل - بفعل أوامره واجتناب نواهيه; محبة وتعظيما.

الثاني: المتعبد به; فمعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

مثال ذلك: الصلاة; ففعلها عبادة، وهو التعبد، ونفس الصلاة عبادة، وهو المتعبد به

فإفراد الله بهذا التوحيد: أن تكون عبدا لله وحده تفرده بالتذلل; محبة وتعظيما، وتعبد به بما شرع.

1 - عبد الرزاق عفيفي : مذكرة التوحيد ج 1 ص 25 . -

وهذا القسم كفر به وجده أكثر الخلق، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل عليهم الكتب.¹

فتوحيد الألوهية : هو "إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، قولاً ، وقصداً ، وفعلاً، فلا يُذَرُّ إلا له ، ولا تُقرب القرابين إلا إليه ، ولا يُدعى في السواء والضراء إلا إياه ، ولا يُستغاث إلا به ، ولا يُتوكل إلا عليه ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وذلك بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه ، كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه .

وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب، و أكثر ما عالج به الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد بحيث لا يصرف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخلَّ بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء

"والطريق الفطري لإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية. فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه ، ومنشأ نفعه وضره ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه ، وترضيه عنه ، وتوثق الصلات بينه وبينه ، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية .ومن أجل ذلك احتج الله على المشركين ، وقرّهم وأرشد رسوله إلى هذه الطريقة ، وأمره أن يدعو بها قومه ، قال تعالى : { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

1- محمد بن صالح العثيمين : القول المفيد على كتاب التوحيد ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية

الطبعة : الثانية، محرم 1424 هـ ج1 ص14 ، 15 بتصرف

وَهُدٍ جَبْرٌ وَلَا يَجْرُ عَلَيْهِ إِذْ يَنْزَلُ عَلَيْكُمْ الْمَطَلُ إِلَّا مَا يَنْزِلُ عَلَى الْمَوْتَدُونَ ، سَيَقُولُونَ لَوْلَا أَلَمَتْ لِي قُلُوبِي لَأَسْفَحْتُ ، {سورة المؤمنون} - [84 - 89] "1 .

فقد استدل سبحانه وتعالى بربوبيته وكمال تصرفه وقدرته ونعمه على أنه المستحق وحده للعبادة فقال: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعْبُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يُلِّمُ مَا تَسِرُونَ وَقَاتِلُونَ وَالَّذِينَ يَعْتَدُونَ مِنَ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْتَبِعُوا آيَاتَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [سورة النحل الآيات: 17- 22]

وقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْحَدُوا بِآيَاتِهِ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ } [سورة البقرة الآيات: 21، 22].

وقال: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يَشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا حَائِقًا حَائِقًا ذَاتَ نَبْهٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَّا اللَّهُ لِي هُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ أَمَّنْ جَاءَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَحِيزًا لَهَا أَنْهَ آرَا وَجَحِيزًا رَوَاسِي وَجَحِيزًا الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَّا اللَّهُ لِي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يَجِيبُ الضُّرَّ إِذَا دَعَا وَيُكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُفَاءً الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا لِي بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَخْلُقُ ثُمَّ يَحْيِيهِ وَمَنْ يُرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ قُلِ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة يونس الآيات : 31 - 35]

1- عبد الرزاق عفيفي : مذكرة التوحيد ، ج 1 ص 37.

"فأنكر - سبحانه - أن يكون معه من خَلَقَ ، ودبر ، أو صرف ، وقَدَّرَ ، أويُجيب المضطرَّ إذا دعاه ، ويكشف السُّوء ، أو يولي ، أو يعزل ، وينصر ، ويخذل ، أويُنقذ من الحيرة ، ويهدي من الضلالة ، أو يبدي ويعيد ، ويبسط الرزق لمن يشاء ، ويَقِرُّ. إلى غير ذلك مما استأثر الله به.

وهذا مما استقرَّ في فطرتهم ، ونطقت به ألسنتهم ، وبه قامت الحجة عليهم فيما دعوتهم إليه الرسل من توحيد العبادة. وما ذكر من الآيات قليل من كثير.

ومن سلك طريق القرآن في الاستدلال ، واهتدى بهدي الأنبياء في الحجاج اطمأنت نفسه ، وقوي يقينه ، وخصم مناظره . فإن في ذلك الحجة ، والبرهان من جهتين:
الأولى : أنه خبر المعصوم.

والثانية : أنه موجب الفطرة ، ومقتضى العقل الصحيح.¹

توحيد الأسماء والصفات: وهو أفراد الله - عز وجل - بما له من الأسماء والصفات، وهذا يتضمن شيئين:

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله - عز وجل - جميع أسمائه وصفاته التي أثبتنا لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى:

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: من الآية 111]

فدللت هذه الآية على أن جميع صفاته لا يماثله فيها أحد من المخلوقين؛ فهي وإن اشتركت في أصل المعنى، لكن تختلف في حقيقة الحال، فمن لم يثبت ما أثبتته الله لنفسه؛ فهو

1- عبد الرزاق عفيفي : مذكرة التوحيد ، ج 1 / ص 41

معطل، وتعطيله هذا يشبه تعطيل فرعون، ومن أثبتها مع التشبيه؛ صار مشابهاً للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ومن أثبتها بدون مماثلة صار من الموحدين.¹ .
وقيل توحيد الأسماء والصفات معناه " أفراد الله سبحانه وتعالى بما سمي ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبتته من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل"². ومن تبصر في العالم ، وعرف شؤونه وأحواله تبين له كمال تعلقه خلقاً وأمراً بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وارتباطه بها أتم الارتباط ، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات ، وشواهد واضحات على أسماء الله ، وصفاته.

مثال أسماء الله الحسنى: "أن الله سبحانه وتعالى سمي نفسه بالحي القيوم، فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء. وسمى الله نفسه بالسميع فعلىنا أن نؤمن بالسميع اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى وبالسمع صفة من صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعاً بلا سمع أو سمعاً بلا إدراك مسموع هذا شيء محال.

أما مثال الصفات: فهو "استواء الله على عرشه فإن الله تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ {استوى} ولفظ {على العرش}، وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عُدِّي بعلَى لا يقتضي إلا الارتفاع والعلو، فيكون معنى

1- محمد بن صالح العثيمين : القول المفيد على كتاب التوحيد، ج1 ص 16، 17 بتصرف.

2- محمد بن صالح بن محمد العثيمين: مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، المجلد الأول - باب التوحيد.

جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، دار الثريا ، دار الثريا الطبعة الأخيرة 1413هـ، ج1ص21.

قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } { طه : 5] وأمثالها من الآيات: أنه علا على عرشه علواً خاصاً غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علواً يليق به عز وجل لا يشبه علو الإنسان على السرير، ولا علوه على الأنعام، ولا علوه على الفلك الذي ذكره الله في قوله: { وَجَعَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَلَكًا وَرَبًّا (12) تَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَىٰ بُيُوتِكُمْ قُلُوبًا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْنِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } [الزخرف : 12 - 14].

فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه، لأن الله ليس كمثلته

شيء¹.

قد ذكر (ابن القيم) في: " مدارج السالكين " طريقين لإثبات الصفات:

1- الوحي الذي جاء من عند الله- تعالى- على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

2- الحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة .

قال- رحمه الله تعالى- في بيان الطريق الأول: " فأما الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة ، وكشف الغطاء ، وحصل العلم اليقين ، ورفع الشك المريب ، فتلجت له الصدور ، واطمأنت به القلوب ، واستقر به الإيمان في نصابه.

فصلت الرسالة الصفات ، والنعوت ، والأفعال ، أعظم من تفصيل الأمر والنهي ، وقررت إثباتها أكمل تقرير. فما أبلغ لفظه وأبعده من الإجمال ، والاحتمال ، وأمنعه من قبول التأويل ، ولذلك كان التأويل لآيات الصفات ، وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات

1- محمد بن صالح بن محمد العثيمين: مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، ج 1 ص 21.

المعاد ، وأخباره ، بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها ، كتأويل آيات الأمر والنهي سواء ، فالباب كله باب واحد ، ومصدره واحد ، ومقصده واحد ، وهو إثبات حقيقتها ، والإيمان بها .

الطريق الثاني : من طرق إثبات الصفات دلالة الصفة عليها ، فإن المخلوق يدل على وجود خالقه ، وعلى حياته ، وعلى قدرته ، وعلى علمه ، ومشيبته .

فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً . فما فيه من الإتيان ، والإحكام ، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته ، وما فيه من الإحسان ، والنفع ، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه ، وإحسانه ، وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه ، فمعطي الكمال أحق بالكمال . وخالق الأسماع ، والأبصار ، والنطق أحق أن يكون سمياً بصيراً متكلماً .

وخالق الحياة ، والعلوم ، والقدر ، والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه ، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب - سبحانه - ومشيبته ، وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الإجابة عقب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات ، وعلى سمعه لسؤال عبده ، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم ، وعلى رأفته ورحمته بهم ، والإحسان إلى المطيعين ، والتقرب إليهم ، والإكرام لهم ، وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه . وعقوبته للعصاة ، والظلمة ، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب . والسخط ، والإبعاد ، والطرده ، والإقصاء يدل على المقت ، والبغض .¹

فكل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره . فيظهر شاهد اسم الخالق من المخلوق نفسه كما قال - تعالى : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ } [سورة الذاريات ، الآية : 21] وشاهد اسم الرزاق من وجود الرزق ، والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبتوثة في العالم

1- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج3 ، ص335 .

واسم المعطي من وجود العطاء ، واسم الحليم من حلمه على العصاة ، واسم الغفور ، من مغفرة الذنوب ، واسم التواب ، من قبول التوبة. فالخلق ، والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته. فقد قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... في الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملتها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وخلاصة الكلام في هذا النوع من التوحيد -توحيد الأسماء والصفات- أنه يجب علينا أن

نثبت لله كل الأسماء والصفات التي أثبتتها لنفسه ، أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم .

المطلب الخامس :: اجتناب الطاغوت

أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين الصالحين بالاستقامة ونهاهم عن الطغيان فقال في كتابه العزيز: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود/112] وقال: {إِنَّكَ فَادِعُؤُاَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقِي ءَامَنْتَ بِمَا أَنزَلَ إِلَهُهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتَ لِأَعْلَىٰ إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ رُبُّنَا وَإِن كُنَّا لَأَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْإِلَهُهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى:15] وقد استجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ربه ، فكان أول من سلك طريقة الاستقامة قدوة لهذه الأمة وطريق الاستقامة هذه تسير بعكس طريق الطغيان .

-فما مفهوم الطغيان في ضوء القرآن ؟

- ما هي معاني الطغيان في القرآن الكريم؟

-وهل للطغيان أسباب ودوافع؟

الفرع الأول: الطغيان لغة

قال الخليل (ت 175هـ): الطُّغْيَانُ: الواو لغة فيه. وقد طَغَوْتُ وطَغَيْتُ. والاسم الطَّغْيُ. وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَى، مثل ما طَغَى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصبحة على ثمود¹

أبو عبيد عن الكسائي: طغوتُ وطغيتُ لغتان .

وقال الفراء في قول الله: { سَاءَ مَا كَفَبَتْ ثُؤدُ بِطَغْوَاهَا } [الشمس : 11]

قال: أراد بطغيانها، وهما مصدران إلا أن الطَّغْيُ أشكلُ برؤوسِ الآياتِ فاخترَ لذلك، ألا تراه

قال: { وَآخِرُ نَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَدْلَاءِ } [يونس : 10] ، معناه: وآخِرُ نَعَائِهِمْ .

قاله ذليُّ :

صَبَّ اللَّاهِيْفُ لَهَا السُّبُّ وَبَ بِطَغْيَةٍ

تَنبِي الْعُقَابِ كَمِلَاطُ الْمَجْبُ²

1- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (العراق: دار الرشيد، د. ط، 1981م)، ج4، ص435.

2- الأزهري: تهذيب اللغة (8 / 153)

وقال الله جلَّ وعزَّ : ﴿وَمِنْ أَوْلَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ وَالصَّلَاةِ لِلنَّاسِ أَلْقَوْا مِنَ الْمُحْرَقَاتِ آلِحَابًا وَنُحَاسًا﴾ [النساء : 51] قال الليث : الطاغوتُ تأوُّها زائدة ، وهي مُشدَّقةٌ من طغا .

وقال أبو إسحاق : كلُّ معبودٍ من دون الله جِبُّ وطاقوتٌ .

قال : وقيل : الجبُّ والطاقوتُ الكهانة والشياطين .¹

ويقول ابن فارس (ت 395هـ) : "الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح منقاس، وهو : مجاوزة الحد في العصيان، يقال هو طاغٍ . وطَغَى السيل : إذا جاء بماء كثير.. وطَغَى البحر : هاجت أمواجه، وطَغَى الدم تَبَيَّغَ . . . والفعل منه : طَغَيْتَ وطَغَّوتُ .."² و"طغي بالكسر مثله"³ .

ويعرف الفيروزآبادي (ت 817هـ) الطُّغْيَانُ بقوله : "طَغَى يَطْغِي طَغْيًا وَيَطْغُو طُغْيَانًا : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظُّلم..."⁴

1-الأزهري: تهذيب اللغة، ج8ص 153.

2- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون (بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ، 1991م)، ج3، ص412

3- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ، 1986م)، ج2، ص583.

4- الفيروزآبادي، محمَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمَّد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1416هـ، 1996م)، ص1685. وانظر له: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمَّد علي النجار (بيروت: المكتبة العلميَّة، د. ط، 1984م)، ج3، ص508.

وطغى: "ترفع وعلا حتى جاوز الحد أو كاد"¹. و"أطغاه كذا: حمله على الطغيان"².

(و) طَغَى : (أَسَفَ فِي الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ . (الْمَأْلُوتُ: فَعَ) وَعَلَا حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ .

قِيلَ لِأَبْنَةِ الْخَسِّ : مَا مِائَةٌ مِنْ الْخَيْلِ ؟ قَالَتْ : طَغَى عِنْدَ مَنْ كَانَتْ وَلَا تَوْجِدُ .

قال ابن سيده: فإمّا أنّها أرادت الطغيان، أي تطغى صاحبها، ولمّا عتت الكثرة.

(الطَّاعِيَةُ: الْجَبَّارُ) الْعَنِيدُ . و (الْأَحَقُّ الْمَتَكَبِّرُ) الظَّالِمُ . و أَيْضاً : (الصَّاعِقَةُ) ؛ نَقْلَهُ الْجَوْهَرِيُّ .

وقوله تعالى: { فَوَإِذَا هُمْ مُدْفَأُونَ بِالطَّاعِيَةِ } [الحاقة: 5]. و طَغَى الْبَحْرُ : هَاجَتْ أَمْوَالُهُ

و طَغَى السَّلْبُ : إِذَا جَاءَ بِمَاءٍ كَثِيرٍ .

وَالطَّغِيَةُ: أَعْطَى الْجَلِي: وَكُلَّ مَكَانٍ مُتَفَعٍ طَغِيَةً؛ نَقْلَهُ الْجَوْهَرِيُّ .

وَالطَّاعِيَةُ: الَّذِي لِإِبَالِي مَا أَتَى يَأْكُلُ النَّاسَ وَبِقَهْرِهِمْ، لَا يَذْنِبُهُ تَحْرُجٌ وَلَا فَرْقٌ؛ عَنِ

شَمْرٍ .

1- انظر، السجستاني، أبو بكر محمد (ت 330هـ)، كتاب غريب القرآن، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران (د. م: دار قتيبة، ط1، 1416هـ، 1996م)، ص 318. المصري، شهاب الدين (ت 815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي (القاهرة: دار الصحابة للتراث، ط1، 1992م)، ج1، ص 287.

2- الأصفهاني، أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت)، ص 304.

وأيضاً: الطَّوْفَانُ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: 11]

؛ وبه فُسرَّتِ الآيَةُ؛ قاله الرَّاعِبُ .¹

يقول الإمام الزمخشري (ت 538هـ): "ومن المجاز: طغى البحر والسيول، وتطاغى الموج،

وطغى به الدم"²

والطَّاغِيَةُ والطَّاغُوتُ مشتقان من طغى. قال النحاس (ت 338هـ): "أصل الطاغوت في

اللغة مأخوذ من الطُّغْيَانِ"³.

ويقع: "الطاغوتُ على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وزنه فعلوت إنما هو طغيوت

قدمت الياء قبل الغين وهي مفتوحة وقبلها فتحة فقلبت ألفاً، وطاغوتٌ وإن جاء على وزن

لاهوت فهو مقلوب لأنه من طغى ولاهوت غير مقلوب لأنه من لاه بمنزلة الرغبوت

والرهبوت"⁴.

1- الزبيدي، محمّد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس (د. ن. د. ط، ت)، ج10، ص324

2- الزمخشري، أبو القاسم جار الله: أساس البلاغة، تحقيق: محمّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1419هـ، 1998م)، ج1، ص606.

3- النحاس، أبو جعفر: معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمّد علي الصابوني (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ)، ج1، ص269.

4- ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص9-10. وقد ذهب سيبويه إلى أن الطاغوت: "اسم واحد مؤنث، يقع على الجميع كهيئة للواحد، وقال عز وجل: (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها)" سورة الزمر/17. انظر، سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1420هـ، 1990م)، ج3، ص263.

و الطاغية :العظيم الظلم الكثير الطغيان والتاء للمبالغة والصاعقة .¹

والطاغوت : ما عبد من دون الله عز وجل ، يقع على الواحد والجميع . والمذكر والمؤنث

. وزنه : فعولت إنما هو طغيوت .²

وفي لسان العرب: "قال الليث: الطاغوت تاؤها زائدة وهي مشتقة من طغى...وجمع

الطاغوت طواغيت -أو طواغي-³. قال الليث: الطَّاغية الجبار العنيد. قال ابن شميل: الطَّاغية

الأحمق المستكبر الظالم...والهاء في (طاغية) للمبالغة⁴. وقال شمر: الطَّاغية: الذي لا يُبالي

ما أتى يأكل النَّاسَ ويقهرهم لا يثنيه تَحَرُّجٌ ولا فَرَقٌ"⁵.

و الطاغوت أبلغ من الطاغي لفخامة لفظه ولكن كثر استعمال الطاغوت حتى سمي كل

ما عبد من دون الله طاغوتا وسمي الشيطان به لشدة طغيانه، وكل من جاوز الحد في ضرب

أو معصية من الشر والمكروه فقد طغى.⁶

1- إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط - (2 / 559)

2- ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم - (6 / 9)

3- ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص9.

4- ابن دريد، محمّد بن الحسين (ت 321هـ)، كتاب جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م)، ج2، ص919.

5- ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص9-10. انظر، البستاني، عبدالله، البستان معجم لغوي مطول (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1992م)، ص661.

6- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية (1 / 155)

من خلال المعاني اللغوية للطاغوت: تبين أنه الذي يتجاوز حدوده بحيث يتجبر ويتكبر ويعلو ويعاند ويظلم، ولا يبالي ما أتى، ولا يحد تصرفاته وأفعاله حد .

الفرع الثاني: تعريف الطغيان اصطلاحاً

اعتمد العلماء والمفسرين في تعريفهم للطغيان على معناه اللغوي .

فقال الرازي: "الطغيان هو الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا طَغَى الْمَاءُ﴾[الحاقة : 11]

أي جاوز قدره ، وقال : { اذْهَبْ إِلَى فُؤُونٍ إِنَّهُ طَغَى } [طه : 24] أي أسرف وتجاوز الحد .

الطاغية اسم لكل ما تجاوز حده سواء كان حيواناً أو غير حيوان والحق الهاء به للمبالغة ، فالمسلمون يسمون الملك العاتي بالطاغية والطاغوت. وقال تعالى : ﴿لِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ أَلْطُغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَدْعَى﴾ { العلق : 6، 7} ويقال : طغى طغيانا وهو طاغ وطاغية. وقال تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } { العلق : 6، 7} وقال في غير الحيوان :

{إِنَّمَا طَغَى الْمَاءُ}-[الحاقة : 11] "1

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «الطَّاعُوتُ: صدر الطُّغْيَانِ وَمَبْعَثُهُ، وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الشَّيْءِ وَهُوَ صِيغَةٌ مُبَالَغَةٌ كَالْمَلُكُوتِ مِنَ الْمَلِكِ، أَوْ صَدْرٌ. وَصِحَّ فِيهِ التَّنْكِيرُ وَالتَّنَادِيثُ وَالْإِفْرَادُ وَالْجَمْعُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى»¹.

وعرفه الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله: «الطاغوت الأوثان والأصنام، والمسلمون يسمون الصنم الطاغية، وفي الحديث: «كانوا يهلون لمناة الطاغية»². ويجمعون الطاغوط على طواغيط، ولا أحسبه إلا من مصطلحات القرآن وهو مشتق من الطغيان، وهو الارتفاع والغلو في الكبر وهو مذموم و مكروه.

ووزن طاغوت على التحقيق طغيوت - فعلوت - من أوزان المصادر مثل ملكوت ورهبوت ورحموت فوق فيه قلب مكاني - بين عينه ولامه - فصير إلى فعلوت طيغوت ليتأتى قلب اللام ألفا فصار طاغوت، ثم أزيل عنه معنى المصدر وصار اسما لطائفة مما فيه هذا المصدر فصار مثل ملكوت في أنه اسم طائفة مما فيه معنى المصدر - لا مثل رحموت ورهبوت في أنهما مصدران - فتاؤه زائدة، وجعل علما على الكفر وعلى الأصنام، وأصله صفة بالمصدر ويطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كشأن المصدر»³.

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار - (3 / 30)

2- أخرجه مالك في الموطأ، باب جامع السعي، ح/832. و البخاري، باب مَا يَقُولُ إِذْ لَجَعَ مِنَ الْحَجِّ، أَوْ الْعُمَةِ، أَوْ التَّغْوِي. ح/1790 وفي باب {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا لِلَّهِ بُغْيٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ}. ح/4495. وأخرجه مسلم في صحيحه، باب يَبَانِ أَنْ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْعَوَةِ رُكْنٌ لَا يَصِحُّ الْحُجُّ إِلَّا بِهِ. ح/3138. أبو داود، باب أُمُورِ الصَّفَا وَالْعَوَةِ. ح/1903، و النسائي، باب ذكر الصفا والمروة، ح/2968.

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (2 / 502)

أما البيضاوي فقد فسر الطاغوت بالشيطان أو الأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله تعالى¹.

وزهد الألويسي بأن معنى الطاغوت هو "الشيطان وهو المروي عن عمر بن الخطاب ، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال مجاهد وقتادة .

وعن سعيد بن جبير ، وعكرمة أنه الكاهن ، وعن أبي العالية أنه الساحر .

وعن مالك بن أنس كل ما عبد من دون الله تعالى ، وعن بعضهم الأصنام .

والأولى أن يقال بعمومه سائر ما يطغى ، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل وهو بناء مبالغة كالجبروت والملكوت² .

أما الشعراوي فقد عرف الطاغوت بقوله : "إما أن يطلق على الشيطان ، ولما أن يُطلق على من يعطون أنفسهم حق التشريع فيكفرون وينسبون من يشاءون إلى الإيمان حسب أهوائهم ، ويعطون أشياء بسلطة زمنية من عندهم ، ويطلق أيضاً على السحرة والدجالين ، ويطلق على كل من طغى وتجاوز الحد في أي شيء ، فكلمة « طاغوت » مبالغة ، وقد تكون هذه المبالغة متعددة الألوان ، فمرة يكون الطاغي شيطاناً ، ومرة يكون الطاغي كاهناً ، ومرة يكون ساحراً أو دجالاً ، ومرة يكون حاكماً³ .

1- البيضاوي: تفسير البيضاوي (1 / 558)

2-الألويسي: روح المعاني (2 / 14)

3-الشعراوي: تفسير الشعراوي - (1 / 710)

أما ابن الجوزي (ت 597هـ) والشوكاني (ت 1250هـ) فقد عرفا الطُّغيان بأنه: "الزيادة على القدر، والخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة"¹

وعرفه الحرالي (ت 637هـ) بقوله: الطُّغيان إفراط الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها"².

إضافة إلى ما سبق فقد عرف الثعالبي الطُّغيان بأنه: "التخبط في الشر والإفراط فيما يتناوله المرء"³.

وكما يظهر فإن هذه التعاريف كلها تتضمن معنى مجاوزة الحد، فكل تجاوز للحدود متضمن لمعنى الإفراط والتخبط والخروج عن حيز الاعتدال.

ومن تعاريف المعاصرين للطغيان تعريف الدكتور عبد الكريم زيدان بأنه: "تجاوز الإنسان حده وقدره. وحد الإنسان هو ما حده الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها. وقدّر الإنسان هو ما قدره باعتباره عبداً لله تعالى فتلزمه طاعة سيده ومولاه وبقاؤه في نظام العبودية له"⁴.

1- الشوكاني: فتح القدير، ج2، ص482. ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص36.

2- المناوي، محمّد عبدالرؤوف (ت 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمّد رضوان الداية (بيروت-دمشق: دار الفكر المعاصر-دار الفكر، ط1، 1410هـ)، ج1، ص483.

3- الثعالبي، عبدالرحمن (ت 875هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن (بيروت: مؤسسة الأعلمي، د. ط. ت)، ج1، ص551.

4- زيدان، عبدالكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1413هـ، 1993م)، ص189-190.

من خلال التعريفات السابقة للمفسرين لتعريف الطُّغَيان تبين أن أغلبهم يعرفون الطُّغَيان بأنه: "مجازة الحد"¹.

1- انظر، الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، د. ط، 1405هـ)، ج1، ص135. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ، 1988م)، ج5، ص96. النحاس، أبو جعفر (ت 338هـ)، معاني القرآن، ج1، ص270. الطوسي، أبو جعفر (ت 460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (د. م: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، ج10، ص285. الواحدي، علي بن أحمد (ت 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية، ط1، 1415هـ)، ج2، ص1170. البغوي، الحسين بن مسعود (ت 516هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك-مروان سوار (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1407هـ، 1987م)، ج1، ص652. الزمخشري، محمود جار الله (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي -مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1417هـ، 1997م)، ج2، ص407. ابن عطية، أبو محمد الأندلسي (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، 2001م)، ج5، ص358. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير (بيروت: المكتبة الإسلامية، ط3، 1404هـ)، ج1، ص306. الرّازي، فخر الدّين (ت 604هـ)، تفسير الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، ط3، 1405هـ، 1985م)، ج2، ص79، و: ج31، ص18. القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ)، ج1، ص209، و: ج9، ص107. النسفي، أبو البركات (ت 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (د. م: د. ن. ط. ت)، ج3، ص56، وج4، ص315. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت 728هـ)، مجموع فتاوى (د. م: ن، ط. ت)، ج28، ص201. = أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ)، النهر الماد من البحر المحيط، تحقيق: عمر الأسعد (بيروت: دار الجيل، ط1، 1416هـ، 1995م)، ج4، ص77. ابن كثير، أبو الفداء (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم

وقد قيد كل منهم وحدد الشيء المتجاوز فيه من أنه:

النكبر والتمرد¹.

أو الاستعلاء، أو الفساد أو العناد.²

أو ما لا يجوز³ أو الكفر⁴ أو العتو⁵.

(بيروت: دار الفكر، د. ط، 1401هـ)، ج1، ص53. الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ج1، ص183. ابن عادل، عمر بن علي (ت880هـ)، اللباب في علوم القرآن، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1419هـ، 1988م)، ج18، ص301. السيوطي، جلال الدّين (ت911هـ)، الدر المنثور (بيروت: دار الفكر، د. ط، 1993م)، ج4، ص480. الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التّفسير (بيروت: دار الفكر، د. ط. ت)، ج5، ص279. الألويسي، محمود أبو الفضل (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، ج8، ص165. قطب، سيد، في ظلال القرآن (د. م: د. ن. ط. ت)، ص292، وص3045. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير المسمى تفسير ابن عاشور التونسي (تونس: الدار التونسية، د. ط، 1984م)، ج29، ص88. الشعراوي، محمد متولي، قصص الأنبياء، جمع المادة العلميّة: منشأوي غانم جابر، كتابة الحواشي ومراجعتها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د. ط. ت)، ج3، ص1497.

1- الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج10، ص257

2- أبو حيان: النهر الماد، ج4، ص77

3- انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص230. الواحدي، الوجيز، ج2، ص1170.

4- انظر، الرّازي، فخر الدّين: تفسير الفخر الرّازي المشهور بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، ط3، 1405هـ، 1985م)، ج2، ص79. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص54.

5- الرّازي: تفسير الفخر الرّازي، ج31، ص18.

أو العصيان¹ أو مخالفة أمر الله² أو حدود الله³

أو الحدود التي ينبغي للإنسان أن يقف عندها⁴

أو الكبر والتعاضم⁵ أو الظلم والبغي⁶.

إضافة إلى ما سبق فقد عرف بعضهم الطُّغْيَان بأنه: "الزيادة على الحدود المتعارفة في الأشياء"⁷.

1 - انظر، الجرجاني: التّعريفات، ج1، ص183. السيوطي: الدر المنثور، ج4، ص480. ابن عادل، اللباب، ج18، ص138.

2- السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص480.

3- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص407. قطب: في ظلال القرآن، ص292.

4- ابن عطية: المحرر الوجيز، ج5، ص435.

5- انظر، ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص88. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ج10، ص285.

6- ابن تيمية: مجموع فتاوى، ج28، ص201.

7- ابن عطية: المرجع السابق، ج5، ص358.

الفرع الثالث: معاني الطغيان في القرآن الكريم

ورد الطغيان في القرآن الكريم بعدة معانٍ مختلفة، لكنها تشترك كلها في المعنى اللغوي وهو مجاوزة الحد، ومن أهم هذه المعاني :

1. الضلال والكفر:

قال تعالى:

{اللَّهُ يَبْدِئُ بِيُحْيِي بِهِمُ وَيَهْدِيهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُ وَنَ } [سورة البقرة:15].

لَوْ ذُقَّ فَلْيُذِقْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُمْدُوا بِهِ أُولَ مَوَّةٍ وَنَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُ وَنَ } [سورة

الأنعام:110]

{ مِنْهُ ضَلَّ اللَّهُ فُلًا هَدَيْ لَهٗ وَيُرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُ وَنَ } [سورة الأعراف:186].

{ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَاسِثَ جَلَّاهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْرُهُمْ فَنُزِّلَ الَّذِينَ لَا يُحِبُّونَ

لِقَاغَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُ وَنَ } [سورة يونس/11]..

{ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفَّنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُ وَنَ } [سورة

المؤمنون/75].

{ وَقَالَاتِ إِلَهُهُنَّ لِلَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَدَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا لِيَ يَأْهُمُ مَبْضُوتَاتٍ يَنْقُ كَيْفَ
يَشَاءُ وَلَزِينِ كَذِبٍ أَمْتُهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى
هُمُ الْقَلِيمَةَ كُلَّمَا أَقْبَتُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْمُفْسِدِينَ } [سورة المائدة/64].

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
وَلَزِينِ كَذِبٍ أَمْتُهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [سورة
المائدة/68].

{ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتَهُ وَلكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } - [سورة ق/27].

وقد ذهب معظم المفسرين إلى أن معنى الطغيان في هذه الآيات هو الضلال والكفر.

قال مجاهد (ت 104هـ): "في طغيانهم يعني في ضلالتهم يترددون. يقول: زادهم الله
ضلالة إلى ضلالتهم، وعمى إلى عماهم"¹.

وقال الواحدي (ت 468هـ): "ونذرهم في طغيانهم يعمهون أخذلهم مؤدعهم في ضلالتهم
يتمادون"¹.

1- مجاهد، بن جبر، تفسير مجاهد، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي (بيروت: المنشورات العلمية، د. ط، ت)،
ج1، ص70. السيوطي، الدر المنثور، ج1، ص80. الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص370. البغوي،
معالم التنزيل، ج2، ص123. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص53. المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، ج1،
ص59. أبو حيان، النهر الماد من البحر المحيط، ج2، ص459. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج18، ص100.
القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1332هـ)، تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود
(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، 1997م)، ج6، ص9، وج6، ص473.

أما الإمام ابن جرير الطبري فقال في تفسير قوله تعالى {اللَّهُ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ وَيُؤْتُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة : 15]

في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالاً لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها فأعمى أبصارهم عن الهدى، وأغشاها فلا يبصرون رشداً ولا يهتدون سبيلاً².

2- بمعنى الطُّغْيَانِ السِّيَاسِيِّ أَي بِمَعْنَى مَجَاوِزَةِ الْحَدِّ فِي الْاِسْتِكْبَارِ وَالْعَتْوِ وَالتَّجْبِيرِ وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

قال تعالى :

{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [سورة طه: 24].

{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [سورة طه: 43].

{ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [سورة النازعات: 17].

{ ذَا مَأْمَنٍ طَغَى } [سورة النازعات: 37].

{ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفِطَ عَطِينَا أَوْ أَنْ يَطْغَى } [سورة طه/ 45]

3- العلو والارتفاع والكثرة

ورد الطُّغْيَانُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالْاِرْتِفَاعِ وَالْكَثْرَةِ.

1- الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص370. وانظر أيضاً نفس القول لعطاء في: البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص123.

2- الطبري: جامع البيان، ج1، ص135-136.

قال تعالى: { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } [سورة الحاقة/11]

يقول الراغب الأصفهاني: "فاستعير الطُّغْيَانُ فيه لمجاوزه الماء الحد"¹.

سمي ذلك طغياناً لمجاوزه الماء القدر المعلوم وهو من باب الاستعارة، فهو من قبيل: "استعارة معقول لمحسوس... فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي، والمستعار منه التَّكْبُرُ،

والجامع الاستعلاء المفرط وهما -التَّكْبُرُ والاستعلاء- عقليان"².

وقوله تعالى: { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ } [سورة الحاقة/5].

سميت الصيحة التي أهلكت ثمود بالطَّاغِيَةِ لأنها تجاوزت الحد المعلوم للصيحة المعتادة

قال قتادة: "أي الصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة"³.

قال الزمخشري: "بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، واختلف فيها فقيل: الرجفة، وعن ابن

عباس: الصاعقة، وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم"⁴.

يقول الإمام الألويسي: "فان الصيحة العظيمة الخارقة للعادة حصل منها الرجفة لقلوبهم

ولعظمتها

1- الأصفهاني: المفردات، ص304.

2- انظر، القزويني، جلال الدّين: الإيضاح في علوم البلاغة (بيروت: دار إحياء العلوم، ط4، 1998م)، ج1، ص278. السيوطي، جلال الدّين: الإتيقان في علوم القرآن (بيروت: المكتبة الثقافية، د. ط، 1973م)، ج2، ص122.

3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص258. انظر، الألويسي: روح المعاني، ج29، ص40. البغوي: معالم التنزيل، ج4، ص386.

4- الزمخشري: الكشاف، ج4، ص602.

وخروجها عن الحد المعتاد تسمى الطُّغْيَانُ لِأَنَّ الطُّغْيَانَ مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ"¹.

وقوله: { مَلَزَاغَ الْبُصْرِ وَمَا طَغَى } [سورة النجم/17].

. وما طغى يعني: وما جاوز ما أمر برؤيته إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً².

4. بمعنى الإسراف في الظُّلْمِ والعصيان:

ومن المعاني التي ورد بها الطُّغْيَانُ مجاوزة الحد والإسراف في الظُّلْمِ والعصيان.

قال تعالى: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَطْلُ غَايَةَ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } [سورة طه: 81].

قال الزمخشري: "طغيانهم في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها، بأن يكفروها وبشغلهم اللهو والتتعمع عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي: وأن يزوروا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطلوا فيها ويأشروا ويتكبروا"³.

وقوله: { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } [سورة الرحمن: 8].

أي لا تظلموا أو لا تتجاوزوا العدل والحق. قال القاسمي: "أي بالإفراط عن حد الفضيلة والاعتدال"⁴.

1- الألويسي: روح المعاني، ج 8، ص 165.

2- انظر، الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 433. أبو حيان: النهر الماد، ج 5، ص 259. القاسمي: محاسن التأويل، ج 9، ص 65.

3- الزمخشري: الكشاف، ج 3، ص 80.

4- القاسمي: محاسن التأويل، ج 9، ص 101. الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج 5، ص 96.

وقوله: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّكَ وَلَا تَطْغُرْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [سورة هود:112].

قال ابن كثير: "يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات، والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهى عن الطُّغيان وهو البغي فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك"¹.

وقوله: { وَقَوْمٌ وَحٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مَكَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى } [سورة النجم:52].

أي: "أظلم من عاد وثمود وأطغى منهم، أو أظلم وأطغى من جميع الفرق الكفرية، أو أظلم وأطغى من مشركي العرب، وإنما كانوا كذلك لأنهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم"².

وقوله تعالى: { قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُفَّا طَاغِينَ } [سورة القلم:31].

أي متجاوزين حدود الله تعالى³.

5. بمعنى العقوق و مجاوزة الحد في التعامل مع الوالدين:

قال تعالى: { وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَوَاهُ مَوْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ رَهَقَهُ مَا طَغَيْنَا وَكُفُوا } [سورة الكهف:80]

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص462.

2- الشوكاني: فتح القدير، ج5، ص117. انظر، البغوي: معالم التنزيل، ج4، ص256.

3- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي، دار النشر: دار الفكر - بيروت (373 / 5).

ومعنى أنه يَرْهَقَهُ مَا طُغِيَْنَا أَي أنه يتجاوز الحد المعروف في تعامل الابن مع والديه.

قال الزمخشري: "فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما، وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاءً"¹.

يقول ابن عطية: "أن يكون المعنى أن ذلك الولد كان يعاشرهما معاشرَةَ الطُّغَاة الكفار"².

من خلال ما سبق تبين أن بعض الآيات تحتل أكثر من معنى ، من المعاني التي أفادتها مفردة الطغيان مع القول بأن هذه المعاني يجمعها شيء واحد وهو المعنى اللغوي - مجاوزة الحد - لكلمة الطغيان، وهذه المعاني هي :

- الضلال والكفر.
- الطغيان السياسي .
- العلو والارتفاع والكثرة .
- الإسراف في الظلم والعصيان.
- العقوق أي مجاوزة الحد في التعامل مع الوالدين.

1- الزمخشري: الكشاف، ج2، ص692. النسفي: تفسير النسفي، ج3، ص23. الشوكاني: فتح القدير، ج3، ص304. أبو حيان: النهر الماد ج4، ص666.

2- ابن عطية: المحرر الوجيز، ج21، ص137.

الفرع الرابع: لفظ الطاغوت في القرآن

تكرر لفظ الطاغوت في القرآن الكريم في ثمانية مواضع وفي الآيات الآتية ؛ قال تعالى:

1- { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَالُ لَهَا وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [سورة البقرة:256].

2- {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [سورة البقرة:257].

3- {الْم تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا صِيبًا مِنَ الْقَابِئِ وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لَوْلَا رَبُّنَا لَأَنزَلْنَا سَمَواتًا مِّن سِيبٍ } [سورة النساء:51].

4- {الْم تَر إِلَى الَّذِينَ دَعَوْا رَبَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [سورة النساء:60].

5- {الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [سورة النساء:76].

6- { قُلْ هِيَ أُتْبِدُّكُمْ بِشَرِّ مَنْ نَدَّكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَلَّ مِنْهُمُ الْقُوَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدِ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنِّ سَوَاءِ السَّبِيلِ } [سورة المائدة: 60]..

7- {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } [سورة النحل: 36]

8- {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يعبُدُوها وَأَتُوا إِلَيَّ اللَّاهِجَهُمْ أَلْبَشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ } [سورة الزمر: 17].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالطاغوت في القرآن الكريم على عدة أقوال، يقول الإمام الرّازي رحمه الله: "ذكر المفسرون فيه خمسة أقوال:

الأول: قال عمر¹ ومجاهد وقتادة هو: "الشيطان"².

1- قال عمر رضي الله عنه: الطاغوت هو الشيطان". انظر، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407 هـ، 1987م)، ج4، ص1673

2- "يقول الداغاني: "الطاغوت هو الشيطان، قوله تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) يعني بالشيطان، نظيرها في سورة النساء: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يعني الشيطان، مثلها في سورة المائدة: (وعبد الطاغوت) يعني الشيطان". انظر، الداغاني، قاموس القرآن، ص297. واستدل القائلون بأن الطاغوت هو الشيطان بأدلة منها: قوله عز وجل (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) -النساء/ 76-، ومن ذلك كما قال ابن كثير في شرح معنى قول الفاروق رضي الله عنه من أن الطاغوت هو الشيطان: "ومعنى

الدّاني: قال سعيد بن جبير هو: "الكاهن"¹.

الدّالث: قال أبو العالية هو: الساحر. الرابع: قال بعضهم: الأصنام. الخامس: أنه مردة الجن والإنسان وكل ما يطغى. والتحقيق: أنه لما حصل الطُّغيان عند الاتصال بهذه الأشياء جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان"²

وقد أضاف المفسِّرون معانٍ أخرى للطاغوت لم يذكرها الإمام الرازي ، منها:

- أن الطاغوت هو: كعب بن الأشرف. يروى عن ابن عباس³ وذكره البيضاوي⁴.

-الطاغوت: العجل⁵.

قوله إنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها والاستتصار بها". انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص312.

1- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص248. السيوطي: الإتقان، ج1، ص402.

2- الرّازي: تفسير الفخر الرّازي (دار الفكر)، ج7، ص17. وانظر هذه الأقوال في، السيوطي، الدر المنثور، ج2، ص22

3- الطبري: جامع البيان، ج5، ص132.

4- البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج2، ص207. يقول الدامغاني: "الطاغوت كعب بن الأشرف، قوله تعالى: (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني: كعب بن الأشرف. نظيرها في سورة النساء: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) يعني: كعب بن الأشرف. وقال تعالى في سورة النساء: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) يعني: كعب بن الأشرف". انظر: الدامغاني: قاموس القرآن، ص297.

5- البيضاوي: تفسير البيضاوي ج2، ص343.

- الطاغوت: كل متعد وكل ما عبد من دون الله. ذكره الراغب الأصفهاني¹.

وأضاف البيضاوي إلى ما سبق قوله: "أو صد عن عبادة الله تعالى"².

- الطاغوت: الصارف عن طريق الخير، قاله الراغب الأصفهاني³.

- الطاغوت: المتجاوز للحد في الفساد⁴.

- الطاغوت: الجبار العنيد المتكبر الظالم⁵.

وقد ذهب الإمام الطبري إلى أن الطاغوت هو كل من عبد معبودا غير الله تعالى سواء قهرا أو طاعة ومهما كان المعبود إنسانا كان أو شيطانا أو وثنا أو صنما، حيث يقول: "والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه: كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء"⁶.

1- الأصفهاني: المفردات ص305

2- البيضاوي: تفسير البيضاوي ج1، ص558.

3- الأصفهاني: المفردات ص305

4- الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ج10، ص83

5- الزبيدي: تاج العروس ص325.

6- الطبري: جامع البيان ج3، ص19.

ويقول أيضا: "الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان"¹.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } [سورة البقرة: 257].

"أي لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك المعبودات الباطلة السائقة إلى الطُّغيان، فإذا كان الطاغوت من الأحياء الناطقة ورأى أن عابديه قد لاح لهم شعاع من نور الحق الذي ينبههم إلى فساد ما هم فيه، بادر إلى إطفائه بل إلى صرفه عنه بما يلقيه دونه من حجب الشبهات وأستار زخارف الأقوال التي تقبل منه لأجل الاعتقاد أو بنفس الاعتقاد. وإذا كان الطاغوت من غير الأحياء فإن سدنة هيكله وزعماء حزبه لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات، وتزيين تلك الشهوات، أقول: بل هؤلاء الزعماء يعدون من الطواغيت... فإنهم دعاة الطُّغيان وأولياؤه فإن لم يكونوا ممن تعتقد فيهم السُّلطة الغيبية وتوله العقول في مزاياهم الإلهية فإنهم ممن يؤخذ بقولهم في الاعتقاد بتلك السُّلطة والمزايا وما ينبغي لمظاهرها أو لأربابها من التعظيم الذي هو عين العبادة وإن سمي توسلاً أو استشفاعاً أو غير ذلك"².

وبذلك تبين أن الطاغوت في الإطلاق القرآني يقصد به كل من جاوز حده ولا سيما الحاكم وتعدى ويغى على الناس واستعبدهم.

1- الطبري: نفسه ج 5 ص 133.

2- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج 3، ص 40-41

الفرع الخامس: الأمر بالاستقامة على الجادة والنهي عن الطغيان

أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة والذبات على الفضائل والأعمال الصالحة، ونهاهم عن الطغيان، والتعاضم والجرأة على مخالفة ما أمروا به وقلة الاكترات، ومخالفة أحكام كتابه، وتجاوز الحد غروراً في الدين، فقال: **وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَكَرًا وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** {هود: 112}

وقال في سورة الشورى: **{فَلَنذَكُ فَادِعٌ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَتَى اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَأُمرْتُ لِأَعْلَى سَبِيحِ اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** {الشورى: 15}

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير الآية: "أمره أن يعو إلى الدين الذي كان عليه الرسل في عصورهم، قبل الاختلاف فيه الذي ابتدع من بعدهم، وأن يستقيم عليه كما أمره الله، وأن يخاطب أهل الكتاب بما يتوابعه من الاختلاف، ومن إثارته بحجج الجدل واكتفى في سورة هود بالأمر بالاستقامة على الجادة والنهي عن الطغيان، ومنه البغي الذي يورث الاختلاف؛ لأن المقام مقام العروة العمة بقص الرسل كافة، لا بحال قوم موسى ومن أوردوا الكتاب خاصة فهذه ذافرق ما بين المقامين في هذه الآيات المتشابهة"¹

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار (12 / 137)

وقال الشيخ ابن عاشور : "ولما كان الاختلاف في كتاب موسى عليه السلام إنما جاء من أهل الكتاب عطف على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة على كتابه أمر المؤمنين بتلك الاستقامة أيضا، لأن الاعوجاج من دواعي الاختلاف في الكتاب بنهوض فرق من الأمة إلى تبديله لمجارية أهوائهم، ولأن مخالفة الأمة عمدا إلى أحكام كتابها إن هو إلا ضرب من ضروب الاختلاف فيه، لأنه اختلافها على أحكامه.

وفي الحديث: "فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم"¹، فلا جرم أن كانت الاستقامة حائلا دون ذلك، إذ الاستقامة هي العمل بكمال الشريعة بحيث لا ينحرف عنها قيد شبر. ومتعلقها العمل بالشريعة بعد الإيمان لأن الإيمان أصل فلا تتعلق به الاستقامة. وقد أشار إلى صحة هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عمرة الثقفي لما قال له: "يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم"² فجعل الاستقامة شيئا بعد الإيمان.³

وقد جمع الله تعالى أصول الصلاح الديني وفروعه في قوله: ﴿أَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، باب تَوْقِيرِهِ -صلى الله عليه وسلم- وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضُورَةَ إِلَيْهِ أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ وَنَحْوِ ذَلِكَ، ح/6259.

2- أخرجه أحمد/3/413، ومسلم "38" في الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام، والبيهقي "15" من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه عن سفيان بن عبد الله البتقي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: "قل: آمنت بالله، ثم استقم".

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (11 / 339)

قال ابن عباس: "ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه. ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب "شيبتي هود وأخواتها"¹. وسئل عما في هود فقال: قوله: {فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} .

"وجملة {لِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} استئناف لتحذير من أخفى الطغيان بأن الله مطلع على كل عمل يعمله المسلمون، ولذلك اختير وصف {بَصِيرٌ} من بين بقية الأسماء الحسنى لدلالة مادته على العلم البين ودلالة صيغته على قوته"².

والاستقامة شاملة لأصول الصلاح الديني وفروعه ، فهي تشمل الاستقامة في العقائد ، وتشمل الأعمال من تبايع الوحي وبين الشرائع ، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط ، والبقاء على الاستقامة والمداومة عليها أمر شاق ، لذلك قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " شيبتي هود وأخواتها" وعن بعضهم قال : رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في النوم فقلت له : روي عنك أنك قلت شيبتي هود وأخواتها فقال (نعم) فقلت وبأي آية فقال بقوله {فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} ³

1- أخرجه الترمذي في سننه ، ح/3297. والبخاري في مسنده، ح/92.

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (11 / 341)

3- رواه البخاري في مسنده بالإسناد التالي:

عن زائدة عن أبي الرقاد ، عن زياد الثموي ، عن أنس ، عن أبي بكر أنه قال : يا رسول الله قد شبت قال : شيبتي هود وأخواتها .

وهذا الحديث فيخطئان إحداهما أن زائدة منكر الحديث والعلامة الأخرى فقد رواه غير واحد عن زائدة ، عن زياد عن أنس : أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم فصار الخو عن أنس ، فلذلك لم نذكره .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أراك قد شبت .

فروي ذلك إسناده عن أبي إسحاق ، عن أبي مية ، وقد قلوا عن عكرمة .

ولقد ضرب الرازي مثالا يوضح فيه ويشرح صعوبة البقاء على الاستقامة الحقيقية" وهو أن الخط المستقيم الذي يفصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض إلا أن عين ذلك الخط مما لا يتميز في الحس عن طرفيه فإنه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض بالبعض في الحس فلم يقع الحس على إدراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه

إذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع أبواب العبودية فأولها معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العدمصوناً في طرف الإثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك وأيضاً فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفاً إفراط وتفريط وهما مذمومان والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين والوقوف عليه صعب ثم العمل به أصعب فثبت أن معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة بتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب"1.

رواه شَيْلانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ .

رواه طَبِيُّ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ .

رواه بَعْضُ مَنْ رَوَاهُ عَنْ زَكَرِيَّا ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ سُوَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ .

الفرع السادس: أسباب ودوافع الطغيان

من الأسباب المؤدية إلى الاستكبار والطغيان عدم الاستقامة والإيمان بالآخرة وبالْحَسَابِ، أو بعبارة أخرى غلبة الجانب المادي على الجانب الروحي. فقد قال صلى الله عليه وسلم: "قل آمنت بالله ثم استقم"¹ كما أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات كثيرة منها؛

قوله عز وجل: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّطَّاغِينَ مَابًا لَّا يَبْشُرُونَ فِيهَا أَحْقَابًا لَّا يُوقُونَ فِيهَا رِيًّا وَلَا شِرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا جِرَاقًا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا لَا يُحْسِنُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا } [سورة النبأ: 21-28]

و قوله: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْهَا وَوَيْدَانَ الْجَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَى } [سورة النازعات: 37-41]

لقطاً غية إنسان لا يؤمن باليوم الآخر وبالْحَسَابِ. فهو لا يبالي بما يقوم به من القهر والبطش، ولا يتصور أنه سيكون هناك حساب وعقاب على ظُلمه وبغيه واعتدائه.

1-تقدم تخريجه ص 142 .

كما وصف القرآن الكريم الطغاة بالتكبر و الغرور . وذكر نماذج من غرورهم وتكبرهم كما كان الحال مع نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه حينما ادعى الإحياء والإماتة.

وفرعون الذي ادعى ألوهيته وقارون وهامان ..، قال تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَلُمْنُنِي لِي صَحَابًا لِي أُبَلِّغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ لَعَلِّي آتِي إِلَهُ هُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَانِبًا وَكَذَلِكَ رُبِّي لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عِلْمٍ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } [سورة غافر: 36-37].

وقال: {قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الذَّنْبِيِّ هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادِي بَيْنَ قَدُولًا أَلْقَى عَلَيْهِ أُسُورَةً مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَدَّرِينَ } [سورة الزخرف: 51-53].

وقال أيضا: { وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ } [سورة العنكبوت: 38-39].

ومن النتائج الحتمية للغرور والتكبر الاستبداد بالرأي ، حيث يرى الطاغية أن كل ما يصدر عنه صواب وسداد، وأنه لا ينبغي للآخرين إلا الرضوخ والخضوع وتقبل رأيه .

فالمغرور كما يقول الصباغ: "رجل يعتقد خطأ أنه لا يساويه أحد في صواب الرأي والتزام الحق. وبذلك فهو يغلق على نفسه كل سُلَى الموعظة والمراجعة والاعتبار"¹.

ومن الدوافع القوية للطغيان هوى النفس، فهو يؤدي بالإنسان إلى الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك لسيطرة هواه عليه، قال تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَفَىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَدِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [سورة الجاثية: 23]

1- الصباغ: محمد بن لطف، الإنسان في القرآن الكريم (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1413هـ، 1992م)، ص304.

يقول سيد قطب رحمه الله: "ونهي النَّفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطَّاعة. فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية. وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يوتى الإنسان إلا من قبل الهوى. فالجهل سهل علاجه. ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النَّفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها. والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة. وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى."¹

و هوى النفس يجر صاحبه إلى ارتكاب الفواحش والذنوب وإلى ظلم الآخرين قال تعالى:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ } [سورة البقرة: 87]

ولما كان اتباع الهوى بهذه الخطورة شدد القرآن الكريم في أمر القائم على الحكم بعدم اتباع الهوى لأن ذلك مؤد إلى الظُّلم والضلال والاستكبار سواء هوى الحاكم أو هوى المملأ أو هوى الرِّعِيَّة².

قال تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الدَّيْنِينَ يِضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا هِمَّ الْحِصَابِ

{ [سورة ص: 26].

وقال تعالى: {قَدْ نَدَّكَ فَادِعٌ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمَرْتُ بِمَا أُتِيَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلَمَ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّنَا إِنَّنَا لِلْأَعْلَامِ لَأَعْلَمُونَ } [سورة ص: 26].

1- قطب: في ظلال القرآن، ص 3819.

2- عبد الرَّحْمَن عمر اسبينداري: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني - (1 / 122)

وَالْيَهُ الصِّيرُ { [سورة الشورى:15].

فالاستقامة تتطلب من العبد السير على الطريق السوي، وعدم اتباع هوى النفس.

المبحث الثاني: مجالات الاستقامة

المطلب الأول: الاستقامة في العقائد

المطلب الثاني: الاستقامة في الشرائع

المطلب الثالث: الاستقامة في الأخلاق

توطئة:

إن من رحمة الله تعالى بعباده أن بين لهم كيفية الامتثال للأوامر التي أمرهم بها، كما أنه عز وجل طلب من عباده التوسط في امتثال هذه الأوامر، ونهاهم أن يحملوا أنفسهم ما لا تطيق، فأمرهم بالاستقامة والاعتدال في أداء ما فرضه عليهم من فرائض وواجبات، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ - [البقرة: 185]

و قال: {طه : 1 ، 2}

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هلك المنتطعون" قالها ثلاثاً¹.

فما هي مجالات الاستقامة؟

وكيف يكون التوسط فيها؟

1- أخرجه مسلم في صحيحه ، باب هَلْ أَظْلَمْتَ نَظْعًا وَنَ ، ح/6955، وأبو داود في سننه ، باب لزوم السنة ، ح/4610، وأحمد في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح/3655، والبزار في مسنده ، ح/1878.

المطلب الأول: الاستقامة في العقائد

إن المتأمل لمنظومة العقائد الإسلامية يجد أنها منظومة وسطية ، فالإسلام وسط بين الأديان السابقة وعقيدته السلفية وسط بين العقائد ، فبعض أهل الأديان السابقة قد غلوا وزادوا وتجاوزوا الحد، وأن البعض منهم قصروا وجفوا، فجاء بهذا الإسلام في وضع متوسط، لا إفراط فيه ولا تفريط، فقد توسّط الإسلام بين اليهودية والنصرانية .

فالناس انقسموا باعتبار العقيدة إلى ثلاثة أقسام: طرفين ووسط.

"الطرف الأول فرط وأهمل وتساهل، ولم يقيم بالواجب الذي تبرأ ذمته به، أو يمدحه به كل ذي عقل سليم؛ فهذا ملوم على تقصيره، وقد لا تجزئه عبادته.

والطرف الثاني: تشدد وبالع وكلف نفسه ما لم يؤمر به، وزاد على القدر الواجب ما أفسده أو فوت المقصود منه، ولا شك أن هذا مذموم حيث شق على نفسه وركب الصعوبات، وأنهك نفسه وشق عليها بفعل ما لم يأت به شرع ولا دليل، مما ينفّر عن العبادات، ويجعلها شبه عقوبات لا تطاق إلا بكافة ومشقة.

أما الوسط: فهو دين الله الذي هو يسر وسهولة، لا تفسد معه العبادة بفوت ركن أو واجب، ولا ينقص ثوابها بترك سنة أو فعل مكروه، ولا تشق على النفس ويحصل بها الملل والضجر. فإن دين الإسلام وتعاليمه وسط بين الإفراط والتفريط؛ ذلك أن الإسلام جاء منظماً لمصالح العباد، وأتمّه الله تعالى وجعله أكمل ما يرام، وضمنه فعل كل مصلحة، والنهي عن كل مفسدة، فلا جرم أن كان هذا الدين هو الدين الذي فطر الله العباد على استحسانه، والميل إليه.¹

فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة هي أمة الوسط {وَكَلَّاكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143]

1- عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْنٍ: الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط (1 / 2)

والوسطية هي عين الاستقامة. وقد بين الله لنا أن الصراط المستقيم هو منهج الوسط، حيث قال واصفا الصراط المستقيم { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } [الفاتحة: 7] ومنهج المغضوب عليهم يمثل التفريط، بينما يمثل منهج الضالين الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق"¹. وقد اختار الله تعالى لنا دين الإسلام فقال: { الْوَهْمُ أَكْمَلُ لَكُمْ دِينِكُمْ وَأَدْتُمُ غَيْرُكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } [سورة المائدة: 3]

"فكمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه والتمثيل بل يمشي على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل، ويستمر كذلك فاصلا بين الجبري والقدري، وبين الرجاء والقنوط، وفي الأعمال بين الغلو والتفريط."²

1. انظر: تفسير ابن كثير (29/1)

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير (51 / 25)

الفرع الأول: تعريف العقيدة

أ- العقيدة لغة:

"من العقد، وهو الربط والشدة بقوة، منه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراسة والإثبات والتوثق"¹.

ب- العقيدة في الاصطلاح:

كلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة، ولا في أمهات المعاجم، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري² سنة 437هـ في كتاب الرسالة وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول³.

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل⁴ فقال: "الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولسوله -صلى الله عليه وسلم- بالطاعة والتحكيم والإتباع"⁵.

1- انظر: لسان العرب، مادة عقد، فصل العين المهملة (295/3).

2- هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما، صحب أبا علي الدقاق وغيره، أخذ الفقه فأتقنه، وأخذ الأصول على ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق، ولد سنة 377هـ، وتوفي سنة 465هـ، انظر: تاريخ بغداد (83/11)، ترجمته رقم (5763).

3- انظر: معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (242).

4- هو ناصر عبد الكريم العقل من علماء العقائد بنجد تحصل على درجة الدكتوراه وأشرف على رسائل علمية في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن مسعود.

5-مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة (2/ 9)

والعقيدة في الإسلام ، هي أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها، فقد أخبر الله عز وجل بها عن طريق الوحي ، وأصول العقائد حددها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل المشهور بقوله: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره" ¹ ، وأمور العقيدة غيبية، وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: 3]

1- مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر (38/1)، رقم (8)، وأخرجه البخاري؛ باب سؤال جبريل النبي: بعن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة يا ابن النبي صلى الله عليه وسلم له. ثم قال جبريل عليه السلام: يا عبد الله صلى الله عليه وسلم ما علمكم دينكم؟ قال ذلك كله ديناً. وما بين النبي صلى الله عليه وسلم وفدع بالقياس من الإيمان. وقوله تعالى: {يَوْمَن تَخْغِبُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلْيَنْقَبْ لَ مِنْهُج} ح/50، ح/4777.

الفرع الثاني: وسطية العقيدة الإسلامية

أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فسئل عنها ، فقال: " من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي "1.

فالعقيدة أهل السنة والجماعة هي السيرة السلفية وهي العقيدة السنية، وهي الشريعة المحمدية، والملة الإبراهيمية، التي هدى الله إليها هذه الأمة، فهي وسط بين العقائد الأخرى، فلا إفراط ولا تفريط؛ وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة التي تدل على استقامة ووسطية العقيدة الإسلامية و أهل السنة بين الفرق الأخرى المختلفة في أمور العقيدة ، فمن ذلك :

أولاً: استقامة القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته

يقول الله - عز وجل- في كتابه العزيز: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ** **وَاجْتَنِبُوا الزُّبُرَ وَالطَّاغُوتَ فَهُمْ مِمَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرضِ فَانظُرُوا** **كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ** {النحل: 36} ، وفي آية أخرى يقول سبحانه: { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ** **مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لِلَّهِ** **إِلَآءَ أَنْفَاعُ نُونٍ** } [الأنبياء: 25].

إن المتأمل في كتاب الله تبارك وتعالى وما جاء فيه عن دعوات الرسل وما أنزل عليهم من الكتب يجد حقيقة واحدة، جاء بها جميع الرسل، وأنزلت بها جميع الكتب السماوية، هذه الحقيقة هي: الدعوة إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، فهي أساس الرسالات ، والعامل المشترك بينها، وإن اختلفت بعد ذلك الشرائع والمناهج فما من نبي أرسل ولا كتاب أنزل إلا وكان أول ما يدعو إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى.

1- أخرجه الترمذي برقم (2642)، (2643) في الإيمان، عن أبي هريرة وابن عمر.

فالأنبيا عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد، وهو الإسلام وشرائعهم مختلفة فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "أنا أولى الناس ببِيعسى ابنِ مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلهم أتت منهم شديديهم م واحد"¹.

قال الحافظ ابن حجر: (ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلف فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمئتهم مختلفة)².

و قال الحافظ ابن كثير في معنى الحديث: (أي: القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومنهاجهم)³ لقوله تعالى: {كُلٌّ جَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا آجًا} [المائدة: 48].

فكل الأنبياء استجابوا لأمر الله ودعوا أقوامهم للإسلام؛ فهو الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره.

قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَابِهِمْ مَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ سَويِعُ الْحَسْبُ} [آل عمران: 19]

وقال: {وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]

"وهذا يدل على أن دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام، ودعوتهم واحدة وهي الدعوة لتوحيد الله - عز وجل - وإفراده بالعبادة، على هذا مضى رسل الله والمسلمون من أممهم، ولكن قومهم غيروا وبدلوا بعدهم وحرفوا وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن به الله، وشمل التحريف والتبديل أساس دعوة الرسل، وهو التوحيد. وما يتعلق بذات الله - عز وجل - من الأسماء والصفات فتفرقت الأمم

1- أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب (وَأَنَّكَ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ) [478/6]. ومسلم، باب فضائل عيسى عليه السلام، ح/6280، ح/6281.

2- فتح الباري (489/6).

3- تفسير ابن كثير (183/7).

في ذلك ما بين مفرط، ومفرط، وغال ومقصر لإعراضهم عن هدى المرسلين واتباعهم غير سبيل المؤمنين.

ومن أعظم الأمم اختلافا وضلالا في هذا الباب، أمنا اليهود والنصارى، فاليهود غلب عليهم التقصير والتفريط والجفاء، وإن كان لديهم غلو وإفراط، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط وإن كان وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب، والمسلمون اتبعوا الرسل، فهدوا لأقوم السبل، فكان قولهم هدى بين ضلالتين، وحقا بين باطلين، فهو كلبن سائغ يخرج من بين فرث ودم.¹

فاتبعت الأمة المسلمة ما جاء به المرسلون ، فكانت عقيدتها سليمة ، مستقيمة ، حيث أنها وحدت الله تعالى وأفرده بالعبادة، فأمنت بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا إله غيره، ولا رب سواه هو رب العالمين وخالق الكون ومدبره: {لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} - [الأعراف: 54]، ووصفته سبحانه بصفات الكمال والجلال ونزهته عن الأنداد، واتخاذ الصاحبة والأولاد قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَتَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} [المؤمنون: 91] ، وقالت كما قال مؤمنو الجن: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} [الجن: 3] ، وقوله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ *... لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-4].

والمتمثل لسورة الإخلاص يجد بها صفات الكمال لله -سبحانه - ففي هذه السورة وصف الله سبحانه نفسه بأنه أحد صمد، هما وصفان يدلان على اتصاف الله بغاية الكمال المطلق.

1- علي محمد الصلابي : الوسطية في القرآن الكريم، دار المعرفة . بيروت - لبنان، (2 / 25).

وذكر أبو هريرة في معنى الصمد: (أنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد)¹.

"ومن خلال قول أبي هريرة في معنى الصمد يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه أي: يرجع إليه في كل أمر، وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء، والفعال لما يريد، والذي بيده الخلق والأمر والجزاء، وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه، إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها فالمرجع والمراد إليه سبحانه وأما التنزيه، فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده فإنه الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يطعم، ولا في أفعاله فلا شريك ولا ظهير"².

ثانيا: توسط أهل السنة في باب القضاء والقدر

هناك فرقتان زائعتان في باب القدر: إحداهما قد غلت وأفرطت وزادت، والأخرى قد فرطت

وجفت،

فالقدرية وهم المعتزلة قالوا : إن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله وليس لله قدرة على هداية العبد أو على إضلاله، فهؤلاء قد ضلوا عن الصواب.

والطائفة الأخرى وهم الجبرية: غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلا، وجعلوا الإنسان

مقسورا ومجبورا، وليس له اختيارات أبدا، وعزلته بذلك عن الأفعال الاختيارية.³

1- تفسير القرطبي (245/2).

2- علي محمد الصلابي : الوسطية في القرآن الكريم (2 / 40)

3- عَدِ اللّٰهَ بِنِ عَدِ الرَّحْمٰنِ بِنِ جَبْرِيْنِ : الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط (1 / 11)

فجاء أهل السنة فتوسطوا وجعلوا له اختياراً، ولكن اختياره مربوط بمشيئة الله : { وَمَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } [سورة الإنسان: 30] وقالوا : إن العباد فاعلون والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ} [سورة الصافات: 96] فقد استقامة أهل السنة واعتدلوا في اعتقادهم ، بين الإفراط والتفريط. هكذا كان توسطهم في باب القضاء والقدر.

ثالثاً: توسط أهل السنة في مسألة الإيمان والدين

وقد توسطوا في باب أسماء الإيمان والدين، فهنا أيضاً فرقتان منحرفتان، الأولى فرطت والثانية أفرطت.

"فالمرجئة قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وسموا بالمرجئة لأنهم قالوا إن الأعمال ليست من الإيمان، فأخروا الأعمال أي أرجئوها، فبذلك سموا. فعندهم أن من صتق بقلبه ولو لم يعمل فهو مؤمن كامل الإيمان، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار.

وأما الخوارج والحرورية والمعتزلة فقالوا: لا يستحق اسم الإيمان إلا من صتق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر، فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمناً باتفاق بين الفريقين، ولكنهم اختلفوا هل يسمى كافراً أو لا ؟

فالخوارج يسمونه كافراً ويستحلون دمه وماله، وأما المعتزلة فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين.¹

1-- عَدَالَةُ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ: الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط - (1 / 12)

فجاء أهل السنة والجماعة وأهل العقيدة المستقيمة فتوسطوا بين الإفراط و التفريط، فجعلوا الإنسان مستحقاً اسم الإيمان واسم الإسلام، ولو أذنب وأرتكب شيئاً من المعاصي، فمرتكب الكبيرة عندهم ناقص الإيمان، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصيته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً ولا يخرجونه من الإسلام بالكلية كالخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون بكل ذنب، فمن أذنب ذنباً أخرجوه من الإسلام، وأوجبوا له النار.

وكذلك لم يكونوا كالجهمية المرجئة؛ الذين يجعلونه كامل الإيمان، ويعتقدون أن معاصيه لا تضره.

"وهكذا، فلا إفراط ولا تفريط، فإن المعاصي لا تخرج العبد من الإيمان ولكن عليه منها ضرر، فإنها قد تجتمع على العبد فتهلكه، ولا يخلد في النار؛ ولكن يستحق دخولها، ويعذب بقدر سيئاته، إذا كان من أهل العقيدة السلفية الصحيحة، ومن أهل الإسلام، ولكن معه ذنب.

وهكذا توسط أهل العقيدة السلفية، فلم يكفروا بالذنوب كالخوارج، ولم يجعلوا المذنب كامل الإيمان كأهل الإرجاء، بل جعلوه مؤمناً ناقص الإيمان، أو قالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.¹

رابعاً: توسط أهل السنة في مسألة الصحابة -رضي الله عنهم

هناك طائفتان منحرفتان في تقييم الصحابة: إحداهما قد فرطت، والأخرى قد أفرطت! وأهل السنة بينهما.

ففي الصحابة، بل في علي وأهل بيته خاصة، فرقتان:

1--- عَدَلَاللهِ بْنِ عَدِّ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِينَ: الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط - (1 / 13).

"فرقة تكفرهم وتستبيح لعنهم لخروجهم بزعمهم من الإسلام، ويقال لهم: النواصب، لأنهم نصبوا العداوة للصحابة، ويقال لهم أيضا: الخوارج.

وفرقة تغلو فيهم وتجعل عليا هو الله أو هو الرسول، أو أنه أحق بالرسالة، وتعبد، وتعبد أولاده وذريته من دون الله، وهذه الفرقة هي الرافضة الذين يسمون أنفسهم شيعة علي، أي أنصاره، وهم في هذا كاذبون، فليسوا بشيعة علي بل هم أعداؤه وأعداء طريقته وسيرته."

وأما أهل السنة فقد استقاموا واعتدلوا ، والتزموا منهج الوسطية بلا إفراط ولا تفريط، فجعلوا لعلي كرم الله وجهه وأهل بيته حق الولاية والصحبة والإسلام والأسبقية والقرابة والنسب والصرح، ولكن لم يفضلوهم على الخلفاء الذين قبله ، ولم يغلوا فيهم ويمدحوهم بما ليس فيهم، بل أنصفوهم بالحكم عليهم .

" فأهل السنة لم يزيدوا ويغلو كغلو الرافضة، الذين جعلوا عليا إلها، حتى يقول بعضهم: أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين وحيدرة هو علي.

وبعضهم يدعي أنه أولى بالرسالة، ويزعم بأن جبريل عليه السلام خان الأمانة، وقد كان أرسل إلى علي، فصرف الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم لئله

ولم يفرطوا كالخوارج والنواصب الذين سؤا وكفروا أكثر الصحابة وأخرجوهم من الإسلام

فجفوا!

فكان أهل السنة وسطا بين الغلو والجفاء، بين الإفراط والتفريط.¹

1- عَدِ اللّٰهَ بِنِ عَدِ الرَّحْمٰنِ بِنِ جَبْرِئِ :الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط - (1 / 14)

خامسا: استقامة أهل السنة في مسألة أولياء الله

هناك طائفتان متطرفتان في حق الأولياء: طائفة قد أفرطت ، وطائفة قد فرطت .

إن الولي هو رجل صالح، قد حصل له من القرب إلى الله عز وجل ،ومن الصلاح في العمل محبة الله له ، فأجرى الله على يديه أو لسانه من خوارق العادات ما لم يُجره على لسان غيره، أو على يدي غيره.

فالطائفة الأولى لم تكن مستقيمة في حق هؤلاء الصالحين ، فقد أفرطت وغلّت حتى خصتهم بالعبادة فالولي عند هؤلاء يستحق التقديس! "صاروا في حياته يغلون فيه، فيتمسحون به وبثيابه، ويتبركون بما مسه من ماء، أو غيره!! وصاروا بعد موته يعكفون عند قبره، ويتمسحون به، ويصلون عنده! ويعتقدون أن للصلاة عنده مزية وفضيلة، وأنه يشفع لهم في تكفير سيئاتهم، وفي قبول صلواتهم، وفي مضاعفة حسناتهم! وهم أيضا يعملون عند قبره من الأعمال ما لا يصلح أن تكون إلا لله وحده!! فهؤلاء قد غلوا، وتجاوزوا حدّهم حتى وقعوا في الشرك."¹

أما الطائفة الثانية: فهم الذين لا يرون لعباد الله الصالحين قدرا، ولا يقيمون لهم وزنا، فلا يحبونهم، ولا يقتدون بهم، ولا يتبعون سيرتهم، بل يحقرون من شأنهم، ويحتقرونهم في أعمالهم، ويدعون أنهم -كما يقولون- أهل تشدد، أو أهل جمود، أو أهل رجعية وتفقهرة، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم السيئة له

فهؤلاء قد فرطوا، وأولئك قد أفرطوا له.

أما أهل السنة: فقد التزموا منهج الوسطية في باب أولياء الله من الصالحين والمؤمنين والأتقياء فكانوا من المستقيمين والمعتدلين ، لم يفرطوا ولم يفرطوا ، فأحبوهم؛ دون التطرف في المحبة التي توقع في الشرك ؛ وبحثوا في سيرهم وسننهم ، واقتدوا بهم في العبادة والطاعة .

1- عَدِ اللّٰهَ بِنِ عَدِ الرَّحْمٰنِ بِنِ جَبْرِيْنِ :الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط - (1 / 14) بتصرف.

"هكذا جاء دين الإسلام، فالذين غلوا وزادوا وقعوا في الشرك؛ وذلك لأنهم عظموا هؤلاء المخلوقين، وجعلوا لهم شيئاً مما لا يصلح إلا لله، فإن التعظيم عبادة، والعبادة لله وحده؛ لأن العبادة هي التذلل، فإذا كانوا يتذللون عند تلك الأضرحة، ويخضعون ويخشعون؛ فتلك عبادة. وإذا كانوا يتمسحون بهم، ويطوفون بقبورهم، ويطيلون الإقامة عندها؛ فذلك تعظيم، وتلك عبادة."¹

فأولئك الذين غلوا، وأشركوا الأولياء الصالحين مع الله في العبادة، دون رضاهم؛ فهم أبرياء مما فعله هؤلاء، فكل معبود من دون الله -وهو غير راض- بريء من شرك من أشرك به، ويوم القيامة يتبرعون منهم.

المطلب الثاني: الاستقامة في الشرائع

إن الإسلام يعتمد منهج الاستقامة والاعتدال في شرائعه، سواء أكان ذلك في العبادات المحضة أو في العادات أو في المعاملات، فيلتزم الوسطية، ويرفض التطرف الذي يقتضي الميل إلى جانب على حساب آخر.

1- عَدِ اللّٰهُ بِنِ عَدِ الرَّحْمٰنِ بِنِ جَبْرِئِ: الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط - (1 / 15)

إن الاستقامة في العبادات تكون بأداء الفرائض والمحافظة عليها، فأداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وصيام شهر رمضان، وأداء الزكاة ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، فهذه العبادات تقرب العبد من خالقه.

أما النوافل فمن شأنها أن ترفع من مكانته وتجعله من أحبة الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " قال الله عز وجل: من أتى لي وليا استحل محاربي ومات قريبا إلي عبي بمثل أداء الفرائض وما زال العبد يقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، إن سألتني أعطيته وإن دعاني أجبتُهُ ، ما تردت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت وأنا أكره مسلته "1

فالعبد المستقيم يستشعر مراقبة الله له، فيعبده ويخلص له النية، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: " إن الله كذب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملهما كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة "2

فالنية أساس العمل، ترفع العمل القليل ليكون من أقرب القربات إذا كانت صالحة، وتجعل العمل هباء منثورا إذا كانت سيئة، قال الله تعالى: { وَقَدْ نَمُنَّا إِلَى مَا عَلَوْا مِنْ عَلِيٍّ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا } [الفرقان : 23]

1- أخرجه أحمد في مسند عائشة رضي الله عنها ، ح/26236 ، والبخاري في مسنده ، ح/99.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ح/6491، وأخرجه مسلم في صحيحه . باب إذا هم العبد بحسنة كُتِبَ وَإِنَّمَا هُمْ بِسَيِّئَةٍ لَّمْ يَكُفُّوا حَتَّىٰ يَأْتُوا بِالْحَسَنَةِ ، ح/355، وأحمد في مسند عبد الله بن عباس ، ح/2828.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِنُفْسٍ صَبِيحٍ أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجَرْتَهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"¹. فأول خطوات الاستقامة تصحيح النية لكي تكون خالصة لله تعالى، والنية الحسنة لا تجعل المعصية خيرا.

فقد قيل أن "رجلا كان يسرق كل يوم درهما فيشتري به خبزا فيدفعه إلى فقير. فلما اكتشف أمره قال إنه يسرق فيكسب سيئة واحدة فيتصدق فيكسب عشر حسنات ، تمحو إحداهن السيئة فيبقى له تسعا . فهذا الجاهل قد اكتسب سيئة ولم تكتب له أية حسنة ، لأن الصدقة من الحرام غير مقبولة والنية الحسنة هنا لا تجدي نفعا .

لكن النية الحسنة في الأمر المباح تحيله عبادة . فالترويح عن النفس بغير نية إذا لم يكن فيه معصية لا إثم ولا ثواب فيه. أما إذا كانت النية في الترويح عن النفس الاستعداد لطاعة الله ، فعند ذلك يصبح الترويح عن النفس عبادة .

"والمسلم المستقيم يعبد الله كأنه يراه ، والعبادة هنا تشمل المعنيين: المعنى الاصطلاحي من صلاة وصيام وزكاة ... ، كما تشمل العبادة بمعناها العام وهي إخلاص النية لله في كل عمل من أعمال الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله تعالى .

فإذا استشعر المسلم أن الله يراقبه على الدوام كأنه يرى الله تعالى ، فإنه جعل في داخل نفسه ناصحا مراقبا له يسدده كلما أخطأ ، وينصحه كلما احتاج إلى نصيحة ، وهداه إلى الصراط المستقيم كلما أشكلت عليه الطرق ، والله تعالى أقرب للمرء من حبل الوريد وهو الهادي إلى سواء الصراط"².

1-أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ بَيْتِ الْوَجِيِّ، ح/1، وأبو داود في سننه، باب فِيمَا عَنِ يَدِ الْوَجِيِّ وَالنِّيَّاتُ، ح/2203.

2 - الدكتور محمد زكي محمد خضر: الاستقامة في مائة حديث نبوي - (1 / 68)

ومن الاستقامة في العبادات أن يؤدي العبد الصلاة ويحافظ عليها في وقتها، فهي قرينة الإيمان، وهي عماد الدين، فمن أقامها أقام الدين، ومن ضيعها لم يقبل له عمل صالح، فقد وصفها الله بقوله: **لَوِثَّةٌ كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** {البقرة: 45}

و قال صلى الله عليه و سلم : "من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته"¹.

وعن أبي الوليد هشام بن عبد الملك قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العزاري أخو أبي قال سمعت أبا عمرو التميمي يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى ناري عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العلى أحب إلى الله قال: "الصلاة عظمى فقد هـ ا قال ثم أي قال ثم بر الوالدين قال ثم أي قال الجهم أد في سبيل الله قال حدثني بهن وداست زنته لزاندي"².

"وللتوقيت حكمة بالغة في تطهير المؤمن وتذكرته مرة بعد أخرى خمس مرات كل يوم وليلة في الصلوات الخمس ومرة كل أسبوع في صلاة الجمعة ومرتين في السنة في صلاتي العيدين ومرات في كل حادث خاص كالجنازة والكسوف والاستسقاء. وقد تكررت آيات الأمر بإقام الصلاة عشرات المرات في القرآن الكريم. وإقام الصلاة هو ليس أداؤها قياما وقعودا بل هو تنفيذ أركانها من خشوع وتفكير وتدبر لآيات الله تعالى ثم انعكاس ذلك بعد أدائها على فعله وتركه خارجها من إتباع لأوامر الله تعالى وانتهاء عما نهى عنه. فلا عجب إذا كانت الصلاة وسيلة لتطهير العبد مما يعلق به بين الصلوات من شوائب الدنيا وغفلة وصغائر الذنوب. أما إذا ارتكبت الكبائر فتلك ذنوب كبيرة لا تكفي الصلوات الخمس لتطهيرها. والمؤمن الصادق أصلا مجتنب للكبائر فهو

1- رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس .

2- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، ح(85).

يرجو أن يمن الله عليه بالمغفرة مرة بعد أخرى كل صلاة من الصلوات المكتوبة . وذلك الدهر كله ، فهو طاهر من الذنوب مستعد للقاء ربه أية لحظة قَرَّ الله عليه الموت فيها"¹

والصلاة أعظم شعيرة دينية، وهي العبادة الوحيدة التي فرضها الله في السماء، وخصها بالوصية فقال على لسان عيسى بن مريم عليه السلام: { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا نُتُّ حَيًّا وَوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } [مريم : 31 ، 32].

وقال على لسان لقمان عليه السلام: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ غَوَمِ الْأَوْرَ } [لقمان : 17]

يقول الشيخ بيوض رحمه الله تعالى: "فهناك في ذلك المكان الأسمى الذي يعلمه الله تعالى، والذي لم يصله جبريل عليه السلام، فرض الله تعالى على نبيه الصلوات المكتوبة، وهذا وحده يدل على مقام الصلاة عند الله وشأنها العظيم، فخيرها كثير لمن حافظ عليها، وشرها كبير لمن ضيَّعها، فإما ربح لا يقدر، ولما خسارة لا توصف..."²

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "ما من امرئ مسلمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي حَسَنٍ وُضُوءِهَا وَخُشُوعِهَا وَرُكُوعِهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ"³

1- محمد زكي محمد خضر: الاستقامة في مائة حديث نبوي - (1 / 68)

2- بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن، نشر جمعية التراث القرارة غرداية، الجزائر ط: 1423 هـ 2002 م، ج 11، ص 278.

3. إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه البغوي في "شرح السنة" 153 من طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، عن مالك، بهذا الإسناد، وهو في "الموطأ" 51/1، 52 في الطهارة: باب جامع الوضوء، ومن طريقه أخرجه النسائي 91/1 في الطهارة: باب ثواب من توضأ كما أمر.

وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يأمر بالتوسط في القراءة في الصلاة الجهرية وهذا مصداقاً لقول الله تعالى : { وَلَا جَهْرٌ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْهَا وَأَتَعِ مِنْ ذَلِكَ سُبِيلاً } [الإسراء : 110] والسبيل هنا هو التوسط، الذي هو الوسطية والاعتدال .

وفي صحيح البخاري ؛ كان معاذ يصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤم بقومه ، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة ، فأنصرف رجل ، فكأن معاذاً تناول منه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " فتان ، فتان ، فتان أو قال فاتتاً ، وأمره بسورتين من أوسط المفصل "1، وفي ذلك أيضاً ما لا يخفى من الدعوة إلى التوسط والاعتدال في العبادة وقراءة القرآن .

والزكاة قرينة الصلاة في عشرات الآيات من القرآن الكريم ، قال تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَارْكُوعَ الرَّاكِعِينَ } [البقرة : 43]

وأخرجه عبد الرزاق "141" عن ابن جريج، والطيالسي 48/1 عن حماد بن سلمة، وأحمد 57/1 عن يحيى بن سعيد، مسلم "227" في الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، من طريق جرير، وابن خزيمة في "صحيحه" "2"، والبخاري في "شرح السنة" "152"، والشافعي كما في "بدائع المنن" 28/1، ومن طريقه البيهقي في "معرفة السنن والآثار" 225/1، من طريق سفيان، كلهم عن هشام بن عروة، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "160" في الوضوء: باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ومسلم "227" "61" في الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، من طريق إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن عروة، به.

وأخرجه أحمد 64/1 و 68، والبخاري "6433" في الرقاق: باب قوله تعالى: { لِلَّهِ مَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَلَاءُ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } من طريق محمد بن إبراهيم القرشي، عن معاذ بن عبد الرحمن، عن حمران، به.

وتقدم برقم "360" من طريق شقيق بن سلمة، عن حمران، به، فانظره.

وأخرجه أحمد 66/1 و 67، وأبو داود "107" في الطهارة: باب صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، وابن ماجه "285" من طرق أخرى، عن حمران، به

1- أخرجه البخاري في صحيحه، باب إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ أَنْ يُؤْمَ ثُمَّ جَاءَ فَفَرَّغَ مِنْهُ م.ح/701، وأخرجه أحمد في مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، 15003.

وقال صلى الله عليه و سلم : "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " ¹

وقد روى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (اتقوا الله ربكم وصلوا

خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم) ²

وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال : { وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ اللَّهَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهُ آ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَثُّهُمْ فِي بَغَابِ أَلِيمٍ } [التوبة : 34] ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة ،

1-إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي "2609" في الإيمان، عن أبي كريب، والآجري في "الشريعة" ص106 من طريق إسماعيل، كلاهما عن وكيع، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 143/2، والبخاري "8" في الإيمان: باب دعاؤكم إيمانكم، ومسلم "16" "22" في الإيمان: باب بيان أركان الإسلام، والنسائي 107/8 في الإيمان: باب على كم بني الإسلام، وأبو عبيد في "الإيمان" "4" ص59 وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" 146/1، والبيهقي في "السنن" 358/1، وابن منده "40" و"148" والبعوي في "شرح السنة" "6"، من طرق عن "حنظلة به، وصححه ابن خزيمة برقم "308".

ومن طرق عن ابن عمر أخرجه الحميدي "703"، وأحمد 26/2 و93 و120، ومسلم "16" في الإيمان، والترمذي "2609" في الإيمان، وأبو عبيد في كتاب "الإيمان" ص59، والآجري في "الشريعة" ص106، وابن منده في "الإيمان" "41" و"42" و"43" و"149" و"150"، والطبراني في "الكبير" "13203" و"13518"، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" 62/3، والبيهقي في "السنن" 367/3، وصححه ابن خزيمة برقم "309".

وأورده ابن حبان في صحيحه برقم "1446" في أول كتاب الصلاة.

1-أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، باب ذكر الدليل على أن لا واجب في المال غير الزكاة و فيه ما دل على أن الوعيد بالعذاب للمكنتز و لمن لا يؤدي زكاة ماله دون من يؤديها و إن كان المال مدفونا ، ح/2257.

قال أبو ذر: "انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال: "هم الأخسرون ورب الكعبة" فقلت: ومن هم؟ قال: "الأكثر من أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقرونها وتطوه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولها حتى يقضي بين الناس" ¹.

وقال أبو بكر الصديق حين امتنع الأعراب عن دفع الزكاة: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"².

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة... قال: "تعب لله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " ، قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا . فلما ولى ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " من سؤه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا "³

1- أخرجه البخاري في صحيحه، ح/6638، ومسلم في باب تَطْيِظُ عَوِيَّةَ مَنْ لَا يُوَدَى الزَّكَاةَ، ح/2347. والترمذي في سننه، باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في منع الزكاة من التشديد، ح/617. والنسائي في سننه، باب التعليل في حبس الزكاة، ح/2440.

2. أخرجه النسائي 5/6 في الجهاد: باب وجوب الجهاد و78/7 في تحريم الدم، من طريق عثمان بن سعيد، بهذا الإسناد وأخرجه البخاري "1399" في الزكاة: باب وجوب الزكاة، و"1456" في الزكاة: باب أخذ العناق في الصدقة، وابن منده في "الإيمان" "215"، والبيهقي في "السنن" 104/4، من طريق أبي اليمان، والنسائي 5/6 من طريق بقية، كلاهما عن شعيب بن أبي حمزة، به.

وأخرجه عبد الرزاق "18718" عن معمر، وأحمد 528/2 من طريق محمد بن أبي حفصة، و423/2، والنسائي 77/7 في تحريم الدم، من طريق سفيان بن حسين، والنسائي 5/6، وابن منده في "الإيمان" "216" من طريق محمد بن الوليد الزبيدي، أربعتهم بن الزهري، به.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، وقول الله تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } ح/1397.

وللزكاة أثر اجتماعي عظيم، فهي عنوان التكافل والتعاون والمحبة بين الفقراء والأغنياء ،
تجعل صاحبها مستقيماً في أخلاقه وصفاته ، تبعد عنه الشح والبخل وحب الدنيا، فيزداد إيمانه
وتقواه وتسمو روحه ويتقرب بذلك إلى الله عز وجل.

أما عبادة الصيام فهي الأخرى تجعل العبد مستقيماً، وهي عبادة خاصة يجازي الله
سبحانه وتعالى عليها جزاء خاصاً لأن فيها سرا بين العبد وربّه لا يعلمه إلا هو .

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " قال الله
عز وجل: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ
صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَفُتْ وَلَا يَصْبُ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُلِيْهُ إِنِّي صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ

ومسلم ، باب بيان الإيمان الذي يُكَلِّفُ بِهِ الْجَنَّةَ وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ نَحَلَ الْجَنَّةَ ، ح/116. وأجرجه في باب من فضائل
عبدالله بن سلام رضي الله عنه بهذا الإسناد : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّائِطِيُّ تَيْبَةَ - حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ
الْأَعَشِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُهَيْرٍ عَنْ خُرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا فِي حَقْفَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ - قَالَ وَفِيهِ أَسْخِيحُ حَسَنُ
الهِبَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - قَالَ - فَجِئْتُ حَدَّثَهُمْ حَيْثُ هُنَا - قَالَ - فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ مَنْ سَوَّاهُ أَنْ يَطْرُقَ إِلَيَّ رَجُلٍ مِنْ
أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَطْرُقُ إِلَيَّ هَذَا. قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ لَأَتَّبِعُهُ فَلَأَطْمِئَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ.

قَالَ قَدِيعَةُ بْنُ فَاطِقٍ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ثُمَّ نَحَلَ مَوْلَاهُ - قَالَ - فَاسْتَأْنَفْتُ عَلَيْهِ فَأَنْزَلَنِي لِي فَقَالَ مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي
قَالَ قُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ لَمَّا قُمْتَ مِنْ سَوَّاهُ أَنْ يَطْرُقَ إِلَيَّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَطْرُقُ إِلَيَّ هَذَا. فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ
مَعَهُ قَالَ اللَّهُ أَطْعَمَ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَسَلَّحْتُكَ مَعَهُ أَلَا وَذَلِكَ إِلَيَّ سَيِّمًا أَنَا نَادِمٌ لِنَدَانِي رَجُلًا قَالَ لِي قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ -
قَالَ - فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَنْ شِمَالِي - قَالَ - فَأَخَذْتُ لِأَخْفِيهِ أَفَقَلَّ لِي لَا تَأْخُفِيهِ أَفَقَلَّهَا طَرُقَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ - قَالَ - فَإِذَا
جَوَادٌ مِنْهُ جَعَلَ عَلَى بِيَدِي فَقَالَ لِي خُذْ هَذَا نَأ. فَأَتَى بِي جِلْدًا قَالَ لِي أَصْعَدُ - قَالَ - فَجِئْتُ إِذَا أَرَيْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرْتُ عَلَى
أَسْتِي - قَالَ - حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا - قَالَ - ثُمَّ أَنْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَوْدًا رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ فِي أَعْلَاهُ
حَقْفَةً فَقَالَ لِي. أَصْعَدُ فَوْقَ هَذَا. قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ - قَالَ - فَأَخَذَ بِيَدِي فَرَجَلِي بِي - قَالَ - فَإِذَا أَنَا
مَنْطَلِقٌ بِالْحَقْفَةِ - قَالَ - ثُمَّ ضَبَّ الْعُودَ فَخَرَّ - قَالَ - وَبَقِيَ مَطْلَقًا بِالْحَقْفَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ - قَالَ - فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَصْتُهَا أَعْلَى قَالَ « أَمَا الطُّرُقُ اللَّتِي رَأَيْتَ عَنْ سِيارِكَ فَهِيَ طَرُقُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ - قَالَ - وَأَمَا الطُّرُقُ اللَّتِي
رَأَيْتَ عَنْ بِيَدِكَ فَهِيَ طَرُقُ أَصْحَابِ الْبَيْتِ وَأَمَا الْحَقْفَةُ وَ مَوْلُ الشَّهْبِ نَاءٌ وَلَنْ تَنَالَهُ وَأَمَا الْعُودُ وَ عُودُ الْإِسْلَامِ وَأَمَا الْعُرْوَةُ
فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَلَنْ تَزَالَ مَتَسَّجَلًا حَتَّى تَمُوتَ ».

مُحَمَّدٌ بِدِهِ لَخَلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"¹

"الاستقامة سيطرة الإنسان على تصرفاته بما يوافق الشريعة الغراء ، وما الصيام سوى وسيلة لمساعدته في ذلك ، فإذا استطاع أن يسيطر على شهواته انقادت له نفسه ، فكانت مساعدة له في الاستقامة على النحو الذي يرضي ربه .

فالصيام عبادة خاصة يجازي الله سبحانه وتعالى عليها جزاء خاصا لأن فيها سرا بين العبد وربه لا يعلمه إلا هو ولهذا نص هذا الحديث الشريف على أن الصيام لله تعالى . وهي عبادة للمسلمين ولمن سبقهم من الأمم حتى التي لم يؤثر ان لها كتاب منزل من عند الله وهي علاج بدني وروحي فريد . فالصيام وقاية من المفساد ووسيلة لترويض الإنسان على الصبر وتحمل المشاق والشدائد وتحمل الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان وكبح جماح النفس لكي تكون منقادة لمكارم الأخلاق التي يرضى عنها الله سبحانه وتعالى"²

وليس لعبادة الصيام مظهر خارجي إذ هو سر بين العبد وربه يتمثل فيه عنصر المراقبة الصادقة فالصوم يربي في المؤمن مراقبة الله عز وجل يراه فيذعن لأمره ويكف من أجله ، والغاية هي التقوى التي تعني صيانة النفس من نوازعها وشهواتها وهي جماع الأمر كله ، يقول الحق تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ {البقرة: الآية 21}

يقول سيد قطب . رحمه الله . (... وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم إنها التقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة طاعة الله وإيثارا لرضاه ، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ولو تلك التي تهجس في البال . والمخاطبون

1- أخرجه ابن خزيمة في صحيحه "1896". وأخرجه أحمد 273/2، والبخاري "1904" في الصوم: باب هل يقول: إني صائم إذا شتم، ومسلم "1151" "163" في الصيام: باب فضل الصيام والنسائي 163/4-164 في الصيام: باب فضل الصوم، من طرق عن ابن جرير، بهذا الإسناد.

2- محمد زكي محمد خضر: الاستقامة في مائة حديث نبوي (1 / 73)

بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم. وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيقاً يتجهون إليه عن طريق الصيام [لعلكم تتقون]...¹

فالصيام مدرسة يتربى فيها المسلم فيستقيم في أخلاقه وسلوكاته فيقوم بما يصلح النفس ويسمو بها ويدفعها إلى اكتساب المحامد ويبعدها عن المفاصد ويقوي عزائمها ويقوم بإرادته ويصلح بدنه ويقربه من ربه، وبه تغفر الذنوب وتكفر السيئات وتزداد الحسنات وترفع الدرجات.

والصيام يعين النفس على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتركيز النفس وإيقافها عند حدود الله، فيمتنع لسان العبد عن اللغو والسباب والشتم والحديث في أعراض الناس والسعي بينهم بالغبية والنميمة كما يردعه عن الغش والخداع وارتكاب الفواحش وأخذ الربا والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، ويجعل المسلم يسارع في فعل الخيرات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويجتهد في بذل الصدقات.

وللصيام أسرار كثيرة منها :

أولاً : إن الصوم وسيلة إلى شكر النعمة، إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع، وهي من أجل النعم وأعلاها والامتاع عنها زماناً معتبراً يعرف قدرها، إذ النعم مجهولة فإذا فقدت عرفت فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر وشكر النعم فرض عقلاً وشرعاً وإليه أشار تبارك وتعالى بقوله في آية الصيام: [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] - [البقرة: الآية 185])

1-قطب: في ظلال القرآن ج 2 ص 75

ثانياً: ثم إن الصوم وسيلة على التقوى لأنه إذا انقادت نفسه للامتناع عن الحلال طمعاً في مرضاة الله تعالى وخوفاً من أليم عقابه فأولى أن تتقاد للامتناع عن الحرام فكان الصوم سبباً للاتقاء عن محارم الله تعالى وإنه فرض وإليه وقعت الإشارة بقوله تعالى في آخر آية الصيام: [عَلَّكُمْ تَقُونَ] [البقرة: الآية 183]

ثالثاً: إن في الصوم قهر وكسر الشهوة، لأن النفس إذا شبعت تمتت وإذا جاعت امتنعت عما تهوى ولذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "من خشي منكم الباءة فليصم فإن الصوم له وجاء"²¹

وقد ورد في فضل الصيام أحاديث كثيرة منها:

1- حديث صحيح، ولسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حكيم بن سيف الرقي، فقد روى له أبو داود، وهو صدوق وقد توبع.
وأخرجه ابن أبي شيبة 126/4، وأحمد 378/1 و 447، والدارمي 132/2.
والبخاري 1905 في الصوم: باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، و 5065 في النكاح: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج"، ومسلم 1400 و 1 و 2 في النكاح: باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ووجد مونة، وأبو داود 2046 في النكاح: باب التحريض على النكاح، والنسائي 57/6 و 58 في النكاح: باب الحث على النكاح، وابن ماجه 1845 في النكاح: باب ما جاء في فضل النكاح، والبيهقي 77/7 من طرق عن الأعمش، بهذا الإسناد.
وأخرجه النسائي 56/6-57 من طرق عن أبي معشر، عن إبراهيم النخعي، به.
وأخرجه الحميدي 115 وابن أبي شيبة 126/4-127، وأحمد 424/1 و 425، و 432، والدارمي 132/2، والبخاري 5066 باب من لم يستطع الباءة فليصم، ومسلم 1400 و 3 و 4، والترمذي 1081 في النكاح: باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، والنسائي 169/4-170 في الصيام: باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم، و 57/6-58، وابن الجارود 672، والبيهقي 296/4 و 77/7، والبيهقي 2236 من طرق عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود.
وأخرجه النسائي 57/6 من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود.
قال البيهقي في شرح السنة 4/9: والباءة كناية عن النكاح، ويقال للجماع ايضاً: الباءة، وأصلها: المكان، والذي يأوي إليه الإنسان، ومنه اشتق مباءة الغنم، وهي الموضع الذي تأوي إليه بالليل، سمي النكاح بها؛ لأن منتزج امرأة بؤها منزلاً.
والوجاء: دق الأنثيين، والخصاء: نزعهما، ومعناه: أنه يقطع النكاح، فإن الموجوء لا يضرب.
رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ج 3 ص 24، وصحيح مسلم ج 4 ص 128

2- عبد بن محمد بن أحمد الطيار: الصيام أحكام وآداب - (1 / 12)

. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شامتة فليقل إنني صائم مرتين. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به الحسنة بعشر أمثالها))¹. (

. ما رواه حذيفة . رضي الله عنه . قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة))²

ما رواه سهل . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد))³. (

1- رواه البخاري في صحيحه، باب فضل الصوم، ح/ 1894.

2- رواه البخاري في صحيحه ، باب الصلاة كفارة ح/. 525 وفي باب الصدقة تكفر الخطيئة ح/1435

وفي باب الصوم كفارة ح/1895 وفي باب الْقَدْنَةُ الَّتِي تَأْتِي تَوْجُوحُ الْبَحْرِ، ح/7096.

ومسلم باب آيِنَ أَنْ الْإِسْلَامَ بَاءً غَرِيْبًا وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا وَأَنَّهُ يُارْزَأُ بَيْنَ السُّجُنِيِّ ح/386 ، وفي باب الْقَدْنَةُ الَّتِي تَأْتِي تَوْجُوحُ الْبَحْرِ - الْبَحْرِ، ح/7450.

3- إسناده على شرط البخاري، محمد بن عثمان العجلي: هو ابن كرامة من رجال البخاري، ومن فوفه من رجال الشيخين، وخالد بن مخلد قد توبع عليه.

وأخرجه ابن أبي شيبة 5/3- 6، والبخاري "1896" في الصوم: باب الريان للصائمين، ومسلم "1152" في الصيام: باب فضل الصوم، من طريق خالد بن مخلد، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي 168/4 في الصيام: باب فضل الصيام، وابن خزيمة "1902"، والبخاري "1709" من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، عن أبي حازم، به.

وأخرجه البخاري "3257" في بدء الخلق: باب صفة أبواب الجنة، والبيهقي 305/4، والبخاري "1708" من طريق سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن مطرف، عن أبي حازم، به.

. ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة))¹.)

. ما رواه أبو هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين))².)

. ما رواه أبو هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))³

ومن الفوائد العظيمة للصوم أنه يعتبر منهجاً لتغيير حياة المسلم ، حيث يجعله قادراً على إحداث التغيير في نفسه، بامتناعه عن كل محبوب ومرغوب. وبذلك يحقق السيادة والاستعلاء على شهواته ومطامعه.

كما أنه أسلوب قهري يفرض على الصائم منهجاً خاصاً في حياته قوامه التقشف والحرمان والصبر على الجوع و الظمأ ومكابدة المتاعب في زجر النفس والتحكم في شهواتها. والحيلولة دون رغباتها.

وأخرجه الترمذي "765" في الصوم: باب ما جاء في فضل الصوم، وابن ماجه "1640" في الصوم: باب ما جاء في فضل الصيام، عن طريقين عن هشام بن سعد، عن أبي حازم، به.

1- صحيح البخاري، باب الريان للصائمين ، ح /1898، صحيح مسلم، باب فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ. ح/2547، سنن النسائي

باب ذكر الاختلاف على الزهري فيه ، ح/2100، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، ح/8669.

2-رواه مالك في الموطأ، باب صيام اليوم الذي يشك فيه ، 684، و البخاري في صحيحه ، ح/3277، ومسلم في صحيحه

باب فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، 2549، والنسائي في سننه ، باب فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، ح/2098.

3-رواه البخاري في صحيحه باب مَنْ صَلَّى رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا. ح/1901، و النسائي في سننه باب :ثواب من قام رمضان وصامه إيماناً واحتساباً، ح/2193، وأحمد في مسند أبي هريرة ، ح/8559، ح/9278، وابن خزيمة في صحيحه ،باب ذكر مغفرة الذنوب السالفة بصوم رمضان إيماناً و احتساباً ، ح/1894 ، والنسائي في السنن الكبرى، ثَوَابُ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، ح/2514.

- الصوم يقوي الإرادة ويشد العزيمة ويعلم الصبر ويساعد على صفاء الذهن ، وعندما يمتلك الفرد قوة الإرادة يستطيع يكون عضواً فعالاً في مجتمعه بيني ويعمر .

" وعندما تمتلك الشعوب قوة الإرادة فإنها لا تسمح لمغتصب أو محتل أن يدنس أرضها أو يتحكم في مصيرها وهي أيضاً تنتصر بهذه الإرادة في معارك الجهل والتخلف وصراع الشهوات والأهواء وتحطم بهذه الإرادة كل معوقات البناء والتطوير"¹

الصوم مدرسة يتربى فيها الصائم على الأخلاق الفاضلة التي تجعله مستقيماً في حياته.

يقول ابن القيم . رحمه الله .: ((وللصوم تأثير عظيم في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها... فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى...))²

وفي الصوم صحة عظيمة بدنية حسية، وروحية معنوية، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: ((وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة منها تطهير النفس وتهذيبها وتركيتها من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته، وضعفه وفقره لربه ويذكره بعظيم نعم الله عليه ويذكره أيضاً بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذلك شكراً لله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم ... ومن فوائد الصوم أيضاً أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة، اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيراً من الأمراض))³

ومن العبادات التي أمر الله عز وجل بالاستقامة فيها عبادة الحج ، قال الله عز و جل: { وَأَنَّ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } [الحج : 27]

1- عبد بن محمد بن أحمد الطيار: الصيام أحكام وآداب (1 / 23)

2- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)، زاد المعاد في هني خير العباد، 1 ص 320.

3- مع الرسول في رمضان : عطية محمد سالم (تقديم عبد العزيز بن باز ص 5).

وقال قتادة: لما أمر الله عز و جل إبراهيم صلى الله عليه و سلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى يا أيها الناس إن الله عز و جل بنى بيتا فحجوه، وقال تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ نُؤْمَانُ لَهُمْ مَّ وَنَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ مَطُومَاتٍ عَلَى مَلْزَقِهِمْ مِّنْ يَّهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطَعُوا الْبُدْنَ الْفَقِيرَ } [الحج : 28]

قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ، ولما سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله عز و جل: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُرَّ وَهُم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }-[الأعراف : 16] أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها، وقال صلى الله عليه و سلم : "من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"¹، وقال صلى الله عليه و سلم أيضا: " ما رئي الشيطان في يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة"²

1-أخرجه مسلم 1350 في الحج: باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، وابن ماجه 2889 في الحج: باب فضل الحج والعمرة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 484/2، والطبري في "جامع البيان" 3724 من طريق وكيع، عن سفيان، به.

وأخرجه البيهقي 261/5 من طريق أبي نعيم، عن مسعر، عن منصور، به.

وأخرجه علي بن الجعد في "مسنده" 926 من طريق شعبة، عن منصور، به.

وأخرجه الحميدي 1004 عن سفيان، والبخاري 1820 في المحصر: باب قول الله تعالى: {فَلَا رَفْثَ} [البقرة:197]، والترمذي 811 في الحج: باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، من طريقين عن سفيان، به.

وأخرجه عبد الرزاق 8800 عن سفيان به، إلا أنه زاد بين منصور وبين أبي حازم "عن جابر!"

وأخرجه الدارمي 31/2، والطيالسي 2519، وأحمد 494/2، والبخاري 1819، ومسلم 1350، والنسائي 114/5، في الحج: باب فضل الحج، وابن خزيمة 2514، والطبري 3721 و 3722 من طرق عن منصور، به.

وأخرجه الطيالسي 2519، وابن الجعد 926 و 1809 و 1810 والبخاري 1521، في الحج: باب فضل الحج المبرور، ومسلم 1350، والطبري 3718 و 3719 و 3720 و 3723 و 3725 و 3726 و 3727 و 3728، والدارقطني 284/2، والبغوي في "شرح السنة" 1841، وفي التفسير 173/1، والبيهقي 262/5 من طرق عن أبي حازم، به. أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة

2- أخرجه مالك عن إبراهيم بن أبي عيلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا .

"وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو نازل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال سهيل الخيل في سبيل الله عز و جل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن"¹

وقال صلى الله عليه و سلم: " حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة"² ، وقال صلى الله عليه و سلم :{الحجاج والعمار وفد الله عز و جل وزواره إن سألوهم أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفَعوا شفَعوا}³

فالاستقامة في العبادات تكون بآدائها بشروطها وأركانها في أوقاتها، ويشترط فيها المداومة، فعن

عائشة

رضي الله عنها : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : ((مَنْ

هَذِهِ ؟))

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، (1 / 240

2- وأخرجه أحمد 258/2 و 442 و 521. والطيالسي 2518 من طرق عن هشام الدستوائي، بهذا الإسناد، وفي الباب عن عبد الله بن حبشي عند أحمد 411/3-412، والنسائي 58/5 و 94/8، والدارمي 331 / 2 ، وعن معاذ التميمي عند أحمد 342/4، والطبراني في "الكبير" 809/20 و 810 و 811 ، وعن الشفاء بنت عبد الله عند الطبراني 791/24

والحج المبرور: هو الذي لا يخالطه شيء من المآثم، وقيل: هو المقبول العاقلي بالبر وهو الثواب. حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال إن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة.

3- حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن سألوهم أعطاهم وإن شفَعوا شفَعوا وله من حديث ابن عمر وسألوهم فأعطاهم ورواه ابن حبان .

قَالَتْ هَذِهِ فُلَانَةٌ تَنْكُرُ مِنْ صَلَاتِهِ ۱ . قَالَ : ((مه¹ ، عَلَيْكُمْ بِمَا تَطِيقُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَبِيُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا)) وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ² .

والاستقامة لا تكون بتكليف النفس ما لا تطيق ، ولا تكون بتحريم ما أحله الله عز وجل لعبده ، ولا تكون بالتشدد والتتبع ، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال : ((هَلَاكَ الْمُتَطَعُونَ))³ قالها ثلاثاً⁴ .

بل تكون بالالتزام ما فرضه الله تعالى من فرائض ، وبتطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم من النوافل والتطوع ، دون التشدد والتتبع في أداء العبادات ، ودون تحريم ما أحله الله تعالى ، فلنفس حق على صاحبها .

فعن أنس - رضي الله عنه - ، قَالَ جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَيَّ بِرِيَّتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَدْ أَخْبَرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا وَقَالُوا : أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ غَوَّاهُ مَا تَقَاتَمَ مِنْ نَبِيهِ وَمَا تَأَخَّرَ .

قَالَ أَحَدُهُمْ أَنَّمَا أَنَا فَأَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا . وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلَا أَفْطُرُ . وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

1- ((مه)) كلمة نهى عن زجر . ومعنى ((لا يبيُّ الله)) : لا يقطع ثوابه عكم وجزاء أعمالكم ويعلمكم معاملة المال حتى تملؤوا فذتركوا ، فيبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون النوام عليه ليوم ثوابه لكم وفضله عليكم

2- أخرجه البخاري في صحيحه ، باب أحب الدين إلى الله أومه ، ح/ 34 ، ومسلم - باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو التكر بأن وقد أوقعه حتى يذهب عنه بك ، ح/ 1870 .

3 - المتطعون ((المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد

4- تقدم تخريجه ص 149 .

إليهم ، فَقَالَ : ((أَتُمْ الدِّينَ قُتُّم كَمَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأُخْشَاكُمُ اللَّهَ ، وَأَتَقُكُمْ لَهُ ، لَكِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأُرْقُدُ ، وَأَتَزُوجُ النِّسَاءَ ، فَمِنْ رَغْبٍ¹ عَنِ سُنَّتِي قَدِيسٍ مَنِّي))²

فالدين الإسلامي دين يسر، وليس دين عسر فن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : ((إِنَّ الدِّينَ يَسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدُّوا وَقَارِدُوا وَأَبْشُرُوا ، وَاسْتَعِيدُوا بِالْخَوْفِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ التُّلْجَةِ))³

والاستقامة في الصلاة تكون بالتوسط في أدائها وفي خطبتها، فإذا أحس العبد بالتعب فعليه أن يستريح ، وإذا أحس بالنعاس فعليه أن ينام ، فعن أنس - رضي الله عنه - ، قَالَ :

1- قال النووي في شرح صحيح مسلم 147/5 (1401) : ((معناه من رغب عنها إعراضاً عنها غير معتقد لها على ما هي عليه .

2- إسناده صحيح، رجاله رجال مسلم عدا محمد بن أبي صفوان، وأخرجه أحمد 3/ 241 و259 و285، ومسلم "1401" في النكاح: باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد المؤنة، والنسائي 60/6 في النكاح: باب النهي عن التبتل، والبيهقي في "السنن" 77/7 من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "5063" في النكاح: باب الترغيب في النكاح، والبيهقي في "السنن" 77/7، والبغوي في "شرح السنة" "96" من طريق محمد بن جعفر، عن حميد الطويل، عن أنس بنحوه.

وقوله: "فمن رغب سنتي، فليس مني" قال الحافظ في "فتح الباري" 105 /9

المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس وتكثير النسل .

3- رواه البخاري وفي رواية له : ((سَدُّوا وَقَارِدُوا ، وَأَغُوا وَرَوْحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ التُّلْجَةِ ، الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا

قوله : ((الدِّينُ)) فهو مرفوع على ما لم يسم فاعله . وروي منصوباً وروي لن يشادَّ الدين أحد)) . وقوله - صلى الله عليه وسلم - إلا (غَلَبَهُ) ((: أي غَلَبَهُ الدِّينُ وَجَزَلِكِ الْمَا شَادَّ عَنْ قَاوِمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طَرِيقِهِ . و((الغَلَبَةُ)) : سير أول النهار . و((الرَّوْحَةُ)) : آخر النهار . و((التُّلْجَةُ)) : آخر الليل

وهذا استعارة وتمثيل ، وأمعنله نبتوا على طاعة الله - عز وجل - جلالاً له وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأون وتبلغون مقصودكم، كما أن الماسافر إذا سار لا يهتدي ببلد يريه هو وادته في غيرها فيصل الماقصود بغير تعب .

تَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَلَى مَعُودَ بَيْنِ السَّارِيَتَيْنِ ، فَقَالَ : ((مَا هَذَا الْحَلَى ؟)) قَالُوا : هَذَا حَلَى لَزَيْبٍ ، فَإِذَا فَتَرْتِ دُعَاةً بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((لَوْ هُوَ ، لِيُصَلَّ أَحْكَمُ شَأْطِطِهِ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيُوقِدْ))²

وعن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : ((إِذَا نَعَسَ أَحْكَمُ وَهُوَ صَلَّى فَلْيُوقِدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحْدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَرِي لَعْنَهُ يَذْهَبُ يَتَغَوَّرُ فِي سَبِّ نَفْسِهِ))³

وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما ، قَالَ : كُتِبَ أَصْلِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَسَلِمَ لِلصَّلَاةِ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا .⁴

1- فتريت : أي كسلت عن القيام في الصلاة .

2- أخرجه البخاري في صحيحه ، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْلِيدِ لِيَعْبُدَ بِنَاتِهِ ح/1150. ، وأخرجه النسائي في سننه، باب :الاختلاف على عائشة في أحياء الليل، ح/1643، وابن ماجه في سننه ، باب مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ إِذَا نَعَسَ ، ح/1371. وأبو داود ، بابلْتَعَسَ فِي الصَّلَاةِ . ح/1314.

3- أخرجه البخاري في صحيحه ، باب الْوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ ، وَمَنْ يَلْمُرُ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعْتَيْنِ ، أَوْ الْخَفَقَةُ ضَوْءًا ، ح/212، ومسلم ، باب أَمْرٍ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ أَوْ اسْتَعْجَلَهُ الْقُرْآنُ أَوِ الدُّكْرُ بِأَبِي رُقْدٍ يُوقِدُ حَتَّى يَذْهَبَ نَوْمُهُ لَيْلًا . ح/1871، أخرجه مالك في الموطأ ، باب ما جاء في صلاة الليل ، ح/257. وأبو داود في سننه ، بابلْتَعَسَ فِي الصَّلَاةِ . ح/1312. وابن ماجه في سننه ، باب مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ إِذَا نَعَسَ ، ح/1370.

4- أخرجه الترمذي "507" في الصلاة: باب ما جاء في قصد الخطبة، والنسائي "191/3" في العيدين: باب القصد في الخطبة. من طريق قتيبة بن سعيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم "866" في الجمعة: باب تحفيف الصلاة والخطبة، والدارمي "365/1"، والترمذي "507"، وأحمد "94/5"، من طرق عن أبي الأحوص، به

وأخرجه أحمد "106/5" من طريق سفيان، ومسلم "866" من طريق زكريا، كلاهما عن سماك، به.

وأخرجه أحمد "107/5" من طريق تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة. رواه مسلم، قوله : ((قَصْدًا)) : أي بين الطول والقصر

وتكون الاستقامة في الصيام، بأداء فريضة الصوم أي صوم شهر رمضان، وبصوم التطوع كصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام ستة أيام من شوال، وصوم يومي الإثنين والخميس.... ولا تكون بصيام الدهر كله.

فعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنني أقول: والله لأصومنَّ اللهَ أر، ولأقومنَّ الليلَ ما عشتُ فـقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : ((أنتَ الذّي قَولَ ذلكَ ؟)) فقلتُ له: قد قُلتُه بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله. قال: ((فإِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشُّهُورِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَنَّةَ بِعِشْرَتِهَا وَنَكَ مِثْلَ صِيَامِ الدَّهْرِ)) قُلتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ، قال: ((فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمينِ)) قُلتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ، قال: ((فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذلكَ صِيَامُ داودَ - صلى الله عليه وسلم -، وَهُوَ أَعْلَى الصِّيَامِ)).

وفي رواية: ((هُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ)) قُلتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ فَقالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ))، وَلأنَّ أَكُونَ قَبْلَ ثَلَاثَةِ الأَيَّامِ الَّتِي قالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلي وَمالي¹

1. أخرجه مسلم "1159" "181" في الصيام: باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.. عن حرمة بن يحيى، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم "1159" "181" أيضاً عن أبي الطاهر، والنسائي 211/4 في الصيام: باب صوم يوم وإفطار يوم، عن الربيع بن سليمان، كلاهما عن عبد الله بن وهب، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبد الرزاق "7862"، ومن طريقه أحمد 187/2، 188، وأبو داود "2427" في الصوم: باب في صوم الدهر تطوعاً، عن معمر، والبخاري "1976" في الصوم: باب صوم الدهر، من طريق شعيب، و"3418" في أحاديث الأنبياء: باب وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعون في السبت والطحاوي في "شرح معاني الآثار" 86/2، والبيهقي في "شرح السنة" "1808"، من طريق عقيل، والطحاوي 85/2 من طريق محمد بن أبي حفصة، كلهم عن الزهري، بهذا الإسناد. وسيورده المؤلف في آخر باب صوم التطوع من طريق شعيب، عن الزهري، به. = وأخرجه أحمد 201/2، والنسائي 212/4، والطحاوي 86/2، من طريق محمد بن إبراهيم، وأحمد 200/2 من طريق محمد بن عمرو، كلاهما عن أبي سلمة، به.

وأخرجه الطيالسي "2255"، والبخاري "1979" في الصوم: باب صوم داود، و"3419" في أحاديث الأنبياء، ومسلم "1159" "187"، والترمذي "770" في الصوم: باب ما جاء في سرد الصوم، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" 87/2، والبيهقي في

وفي رواية : ((أَلَمْ أُخِرْ أَنْتَ تَصُومُ لَهَا أَرَوْتَهُمُ اللَّيْلَ ؟)) قُلْتُ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ((فَلَا تَفُنِّي : صُمْ وَأَطِرْ ، وَنَمِّ وَقُمْ ؛ فَإِنَّ لِحْدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِحْدِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ¹ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ بِحَبْدِكَ أَنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرًا مِثْلًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ)) فَشَدَدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أجد قُوَّةً ، قَالَ : ((صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ)) قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامَ دَاوُدَ ؟ قَالَ : ((نِصْفُ الدَّهْرِ)) فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبُرَ : يَا لَيْتَنِي قَبَلْتُ رِخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية : ((أَلَمْ أُخِرْ أَنْتَ تَصُومَ الدَّهْرَ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟)) فَقُلْتُ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ، قَالَ : ((فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعَدَّ النَّاسَ

"السُّنَنُ" 299/4، والبغوي في "شرح السنة" 1807 من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن أبي العباس الشاعر السائب بن فروخ، عن عبد الله بن عمرو.

وأخرجه عبد الرزاق "7863"، والبخاري "1977" في الصوم: باب حق الأهل في الصوم، من طريق عطاء، وأحمد 195/2، والبخاري "1153" في التهجد: باب "20"، ومسلم "1159" "188"، والنسائي 212/4، والبيهقي 16/3 من طريق عمرو بن دينار، كلاهما عن أبي العباس الشاعر، عن عبد الله بن عمرو.

وأخرجه أحمد 158/2، والبخاري "1978" في الصوم: باب صوم يوم وإفطار يوم، و"5052" في فضائل القرآن: باب في كم يقرأ القرآن، والنسائي 209/4، 210 من طريق مغيرة، والنسائي 210/4 من طريق حصين، والطحاوي 87/2 من طريق حصين ومغيرة، كلاهما عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو.

وأخرجه أحمد 189/2 من طريق يزيد أخي مطرف، وأحمد 205/2، والطحاوي 86/2، من طريق هلال بن طلحة، وأحمد 216/2، والطحاوي 86/2 من طريق السائب، كلهم عن عبد الله بن عمرو.

وأورده ابن حبان في صحيحه برقم "2590" من طريق عمرو بن دينار، عن عمرو بن أسس الثقفي، عن عبد الله بن عمرو.

وبرقم "3573" في باب الصوم المنهي عنه، من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عبد الله بن عمرو. = وبرقم "3643" في: باب صوم التطوع، من طريق أبي قلابة، عن أبي المليح، عن عبد الله.

وبرقم "3636" و"3641" من طريق سعيد بن ميناء، عن عبد الله بن عمرو.

وبرقم "3661" من طريق زياد بن فياض، عن أبي عياض، عن عبد الله.

1. الزور : أي الزائر.

، وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ)) قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ)) قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ)) قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ)) فَشَدَّ عَلَيَّ وَقَالَ لِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَ لَكَ بِطَوْلِكَ عَمْرٍ)) قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدِنْتُ أَتَيْتُ كُتُبَ بِلْتِ رُخْصَةِ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية : ((وَإِنْ لَوْلَاكَ عَلَيَّ حَقًّا)) .

وفي رواية : ((لَا صَامَ مِنْ صَامِ الْأَبِّ)) ثلاثاً .

وفي رواية : ((أَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثَلَاثَةَ ، وَيَنَامُ سُدْسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَهْرُ إِذَا لَاقَى ،

وعن أبي ربيعٍ حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب أحد كتّاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ : "لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : كَيْفَ أَنتَ يَا حَنْظَلَةَ ؟ قُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةَ ! قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَقُولٌ ؟! قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْكُرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنًا¹ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَلْتَقِي مِثْلَ هَذَا ، فَأُظْلَمْتُ أَلْوَابُؤُ وَبَكَرْتُ حَتَّى نَخْلُصَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَقُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((وَمَا ذَلِكَ ؟)) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَكُونُ عِنْدَكَ تَنْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنًا فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا² الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ³ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

1 - قال النووي في شرح صحيح مسلم 59/9 (2750) : ((أي نراها رأي عين .

2- ((عَافَسْنَا)) هُوَ بِالْعَيْنِ وَالسِّينِ الْمَهْمَلَتَيْنِ أَي : عَالَجْنَا وَلاَعَبْنَا

3 - و ((الضَّيْعَاتُ)) : الْمَعَايِشُ

وسلم - : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَوَمَّوْنَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي التَّكْرِ ، لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، لَكِنْ يَا حَظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً)) ثَلَاثَ مَوَاتٍ¹ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخُطِبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : أَبُو إِسْرَائِيلَ نَحْنُ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدُ ، وَلَا يَبْتَظِلُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَيَصُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((مَوَهُ ، فَلَيْتَ كَلَّمَ ، وَلَيْتَ ظَلَّ ، وَلَيْتَ وَلِيَتْ تَمَّ صَوْمَهُ))²

1 - أخرجه : مسلم في صحيحه ، باب فَضْلِ نَوَامِ التَّكْرِ وَالْفَكْرِ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ وَالْمَرَاقِبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَالِاسْتِغْثَالِ بِالنُّتْيَا ، ح/7142 ، وابن ماجة في سننه ، بَابُ الْمَوَامَّةِ عَلَى الْعَلِي ، ح/4239 .

2- أخرجه الطحاوي في "مشكل الآثار" 44/3 عن جعفر بن محمد الفريابي ، عن إبراهيم بن الحجاج ، بهذا الإسناد . وقد تحرف فيه وهيب إلى : وهب .

وأخرجه البخاري 6704 في الأيمان والنذور : باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ، وأبو داود 3300 في الأيمان والنذور : باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية ، وابن ماجة بعد الحديث 2136 في الكفارات : باب من خلط في نذره طاعة بمعصية ، وابن الجارود 938 ، والدارقطني 161/4-162 ، والبيهقي 75/10 ، والبخاري 2443 من طرق عن وهيب وقد تحرف في المطبوع من ابن ماجة إلى : وهب به .

وأخرجه الطبراني 11871 من طريق مجاعة بن الزبير ، والطحاوي في "مشكل الآثار" 44/3 ، والخطيب في "الأسماء المبهمة" ص 274 من طريق جرير بن حازم ، كلاهما عن أيوب ، به ، وفي رواية جرير في أولها قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة ، فنظر إلى رجل من قريش من بني عامر بن لؤي يقال له : أبو إسرائيل ...

وأخرجه ابن ماجة 2136 ، والدارقطني 160/4 و 161 من طرق عن ابن عباس بنحوه ، ولا يخلو إسناد منها من ضعف .

وأخرجه عبد الرزاق 15821 عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلًا .

وأخرجه عبد الرزاق 15817 و 15818 ، والشافعي 75/2 ، والبيهقي 75/10 من طريقين عن طاووس ، به مرسلًا ، وفي آخر رواية الشافعي ولم يأمره بكفارة .

وأخرجه أحمد 168/4 من طريقين عن ابن جريج ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أبي إسرائيل ...

كما جاء الإسلام بالاستقامة في أمور الحياة الدنيا كاللباس ، الذي يعتبر نعمة من نعم الله على الناس ، وزينة لهم ، قال تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أُوتِئْنَا عَلَيْهِمْ لِبَاسًا يُرِي سَوَاتِكُمْ وَرِيثًا } - [سورة الأعراف، الآية: 26].

وقد اختلف الناس في استعمال هذه النعمة، فمنهم من بذخ وأسرف وأفسد ، وأنفق المال الكثير فيه، ومنهم من قصر على نفسه وبخل عليها، فقد روي: " أنه -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلاً عليه ثياب رثة وممزقة، في ذلّة وهوان! فسأله الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: أليس قد رزقك الله مالاً؟ قال: بلى، قال: من أي أنواع المال؟ قال: من كل أنواع المال، من الإبل والخيل والغنم، والرقيق، فقال: إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى عليه آثار نعمته".¹

وأخرجه البيهقي 75/10 من طريق محمد بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال أبو إسرائيل... فذكره، وقال في آخره: وكفر، قال البيهقي: كذا وجدته وكفّر وعندي أن ذلك تصحيف، إنما هو وصم كما هو في سائر الروايات والله أعلم. قلت: ومحمد بن كريب ضعيف .

وأخرجه مالك في "الموطأ" 475/2 في النذور والأيمان: باب ما لا يجوز من النذور في معصية، ومن طريقه أخرجه الخطيب في "الأسماء المبهمة" ص273 عن حميد بن قيس وثور بن زيد أنهما أخبراه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم... فذكره، ولم يسم الرجل، وقال مالك: ولم أسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بكفارة، وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتم ما كان لله طاعة، ويترك ما كان لله معصية.

وفي هذا الحديث أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافياً، والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر، فإنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا إسرائيل بإتمام الصوم دون غيره، وهو محمول على أنه علم أنه لا يشق عليه، وأمره أن يعقد ويتكلم ويستظل.

قال القرطبي: في قصة أبي إسرائيل هذه أوضح الحجج للجمهور في عدم وجوب الكفارة على من نذر معصية أو ما لا طاعة فيه، فقد قال مالك لما ذكره: ولم أسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالكفارة.

1- أخرجه أحمد 473/3 عن بهز بن أسد، عن حماد بن سلمة، به. الطبراني 624/19 من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، وعبد الملك بن عمير، به. وابن حبان برقم 3410 و5416. هو بمعناه عند أبي داود برقم (4063) والنسائي (8 196) ، وروي عند الترمذي برقم (2983)، كما في التحفة (8 106) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بنحوه .

وخير الأمور أوسطها، فلا يسرف الإنسان في اللباس، ولا يقصر فيه، بل الواجب هو الاستقامة والاعتدال بين ذلك؛ فلا إفراط ولا تفريط.

كما أن الاستقامة مطلوبة أيضا في المأكل والمشرب والإنفاق، فتجد فكثيرا من الناس يسرفون، فيحشدون أنواعا من الأطعمة، ولا يؤكل منها إلا القليل. وآخرون يقترون على أنفسهم رغم أن الله رزقهم الخير الكثير.

والمطلوب هو الاستقامة والاعتدال والتوسط، فلا تقتير ولا إسراف، كما في قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسِفُوا وَلَمْ يَقْدُرُوا وَكَانَ مِن ذَٰلِكَ قَوَامًا } - [سورة الفرقان، الآية: 67].

أما بالنسبة لأمر الدنيا، فمن الناس من عظموا شأنها، وركنوا إليها وأحبوها، وجعلوا دنياهم أكبر همهم ومبلغ علمهم، فشغلوا بها أوقاتهم كلها! و نسوا الآخرة. ومنهم من زهدوا فتركوا مصالحهم، وانعزلوا عن الناس، وأضاعوا مسؤولياتهم.

* والأمر الوسط هو خير الأمور، وهو عين الاستقامة و هو أن يطلب الإنسان من الدنيا الكفاف والقوت، كما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : " اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا".¹

لا إفراط ولا تفريط، حيث ينقطع الإنسان عن الدنيا انقطاعا كليا فيضيع نفسه وأهله. ولا يجعل الدنيا أكبر همه، فيصرف فيها حياته، و أوقاته، وناسيا الحياة الآخروية.

وقد جاءت الاستقامة في باب المعاملات، حيث أن الإسلام أحل بعض المعاملات التي يحتاجها الناس حتى تستقر حياتهم، وتستقيم، وحرّم بعضها، لما فيها من غرر وخذاع وضرر، فقد أحل البيع، وحرّم الغش والربا، والرشوة، والاحتكار... وأحل النكاح، وحرّم زواج السر، وزواج المتعة....

1- أخرجه مسلم في صحيحه، باب في الكفافِ وَالْقَنَاعَةِ برقم (2474) والترمذي في سننه- باب ما جاء في معشية النبي صلى الله عليه وسلم وأهله، ح/6321، وابن ماجة في سننه، باب الْقَنَاعَةِ، ح/4139.

المطلب الثالث: الاستقامة في الأخلاق

كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من الشرائع السماوية السابقة ولكنهم ضلوا بالكفر عن الكثير منها وبقيت عندهم أثارة من هذه الفضائل ، فجاء الإسلام ليتبنى كل الفضائل ، ويقلدها المكانة اللائقة بها ضمن رسالته الكاملة والمصلحة للحياة البشرية ويوسع مجال تطبيقها لكي يغطي كل نواحي الحياة : الفردية والجماعية للبشر كافة .

فكانت رسالته - صلى الله عليه وسلم - تأكيداً على أهمية الأخلاق فقد قال عليه الصلاة والسلام " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "1

"وإذا كان الإسلام قد جاء ليقوم ما هو معروف من أخلاق ، فإنه أيضاً جاء بمجموعة من الفضائل تتميز بأنها أخلاق معللة مفهومة ، ليست تحكيمية مجردة من أي تفسير ... أخلاق وسطية متوازنة جامعة بين الدنيا والآخرة ، والروح والمادة ، والعقل والقلب ، والحق والواجب ... أخلاق واقعية تراعي حالة الإنسان أخلاق تمتاز بالشمولية في مجال تطبيقها أخلاق لها أهمية بالغة في ارتقاء السلوك الفردي وارتقاء القدرة المعنوية للأمم والشعوب كما أن لها الأهمية البالغة كونها ميزان للأفعال والتروك والتفاضل.

ولأهمية الأخلاق فقد عدها الدين ركن من أركانه لا يقوم إلا به ولذلك نجد أن أهمية ما يميزها أن مصدرها " الوحي " فهي قيم ثابتة ومثل عليا تصلح لكل إنسان ، وأنها أخلاق عملية هدفها التطبيق الواقعي وأن مصدر الإلزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى ولذلك قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : " تقوى الله وحسن الخلق "2

1- أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً . وقال ابن عبد البر : متصل الإسناد من طرق صحاح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم

2- وأخرجه الترمذي "2004" في البر والصلة: باب ما جاء في حسن الخلق، عن أبي كريب محمد بن العلاء، والحاكم 324/4 من طريق سهل بن عثمان، كلاهما عن عبد الله بن إدريس، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن ماجة "4246" في الزهد: باب ذكر الذنوب، من طريق هارون بن إسحاق وعبد الله بن سعيد، والبغوي في "شرح السئة" "3498" من طريق أحمد بن عبد الله بن حكيم، ثلاثتهم عن ابن إدريس قال: سمعت أبي وعمي يذكران عن جدي ... بهذا الإسناد. وعم ابن إدريس هو داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي أبو يزيد، ضعفه الحافظ في "التقريب" لكنه متابِع بأخيه إدريس.

وأخرجه أحمد 291/2 و 392 من طريق المسعودي، و 442/2 عن محمد بن عبيد، والبغوي في "شرح السئة" "3497" من طريق أبي نعيم، ثلاثتهم عن داود بن يزيد عم عبد الله بن إدريس، عن أبيه يزيد جد ابن إدريس، بهذا الإسناد. ولفظ "عن أبيه" سقط من إسناد أحمد 291/2، فوقع فيه: عن داود بن يزيد، عن أبي هريرة.

ولقد جاءت أحكام الأخلاق وتكالييفها على أقسام ثلاثة : حقوق إلهية تتمثل بما يجب علينا من الإيمان بالله وطاعة أوامره ، وحقوق شخصية تتمثل بحقوق التملك والتصرف ضمن حدود الأخلاق ، وحقوق جماعية تتمثل بحقوق التعاون والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"¹...

فما مفهوم الأخلاق الإسلامية و ما طبيعتها؟

ما ميزتها وهل لها أركان؟

ما حقيقة حسن الخلق؟ وكيف تكون الأخلاق مستقيمة؟

ما هي أهم مجالات حسن الخلق؟

ما هي مصادرها ما هي أهم الأسس الإسلامية فى تقويم الأخلاق؟

منهج الإسلام فى تنمية الأخلاق؟ ما

الفرع الأول: تعريف الأخلاق

أولا: تعريف الأخلاق لغة

الأخلاق فى اللغة جمع خلق ، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التى خلق عليها ، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التى تدل على تقدير الشيء.

1- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 2)

يقول ابن فارس : "ومن هذا المعنى . أي تقدير الشيء . الخلق : هو السجية لأن صاحبه قد قُتِر عليه . يقال : فلان خليق بكذا : أي قادر عليه وجدير به ، وأخلق بكذا أي ما أخلقه ، والمعنى هو ممن يقدر فيه ذلك ، والخلق : النصيب لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه"¹

ويقول ابن منظور : "الْخُقُّ : السجية .. فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية"²

ثم يفسر ذلك بقوله : "وحقيقته ، أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة"³

وقال الراغب الأصفهاني : "الْخُقُّ وَالْخُقُّ فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ لَكِنْ خَصَّ الْخُقُّ بِالْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالصُّورِ الْمَدْرَكَةِ بِالْبَصْرِ ، وَخَصَّ الْخُقُّ بِالْقُوَى وَالسَّجَايَا الْمَدْرَكَةِ بِالْبَصِيرَةِ"⁴

"والخلق : ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه"⁵ قال تعالى : { مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

خَلْقٍ } [البقرة: 102].

1- مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس (214/2) ، دار الجيل ، بيروت ط1 بدون (ت).

2- لسان العرب : ابن منظور (244/2) ، دار صادر ، بيروت.

3- لسان العرب (245/2).

4- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص164 ، المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ).

5- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ص 164.

والخلاق أيضاً قيل : النصيب ، وقيل : الدين ، وقيل : القوام ، وقيل الخلاص ، وقيل
القدر"¹

قال سبحانه : { وَأَتَى لَعَلَى خُلقٍ عَظِيمٍ } [القلم: 4.] والخلق هنا . كما يقول الطبري .
الأدب العظيم ، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به وهو الإسلام . وعن مجاهد في قوله " خلق
عظيم " قال : الدين . وعن عائشة رضي الله عنها : عندما سئلت عن خلق رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قالت : كان خلقه القرآن " ² ، قال قتادة : تقول : كما هو في القرآن . ³

وقال الماوردي : "في الخلق العظيم ثلاثة أوجه : أحدها : أدب القرآن ، والثاني : دين
الإسلام ، والثالث : الطبع الكريم وهو الظاهر . قال : وحقيقته الخُلق ما يأخذ به الإنسان نفسه
من الآداب ، سمي بذلك لأنه يصير كالخُلقة فيه "⁴

ومن خلال المفهوم اللغوي للخلق يمكن استنتاج ما يلي :

1. الخلق يدل على الصفات الطبيعية الفطرية في خلقه الإنسان و هي على هيئة مستقيمة
متناسقة .
2. كما تدل الأخلاق على الصفات المكتسبة ، حيث أصبحت جزءا من طبع الإنسان وكأنها
خلقت فيه .

1- ابن حيان: تفسير البحر المحيط ، (503/1) ، عالم الكتب للطباعة ط: 1989 م .

2- أخرجه مسلم مطولاً ح (746) . و أحمد بن حنبل في مسند عائشة رضي الله عنها ، ح/24645، و25341،
وح/25855.

3- الطبري: تفسير الطبري، (13/28) ، دار إحياء التراث بدون (ت).

4- أبو الحسن البصري الماوردي :تفسير الماوردي (النكت والعيون) (62.61/6) ، دار الكتب العلمية .

3. تختص الأخلاق بجانبين في حياة الإنسان : جانب نفسي باطني ، وجانب سلوكي

ظاهري

ثانياً : الأخلاق اصطلاحاً

- عرف الجرجاني الخلق فقال : " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة : خُلُقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه " ¹

أما الماوردي فقال : الأخلاق " غرائز كامنة ، تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة فهما ضربان لا تتفك النفس منهما أخلاق الذات وأفعال الإرادة " ²

أما الإمام ابن تيمية فقد ربط تعريف الأخلاق بمفهوم الإيمان حيث بين أن مفهوم الأخلاق يقوم على عدة عناصر هي :

"1. الإيمان بالله وحده خالقاً ، ورازقاً بيده الملك (توحيد الربوبية) .

2. معرفة الله سبحانه وتعالى ، معرفة تقوم على أنه وحده . سبحانه . المستحق للعبادة (

توحيد الألوهية) .

1- الجرجاني: التعريفات ص104.

2- الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق رضوان السيد ، ص5 ، دار العلوم العربية للنشر ط1 1987 م .

3. حب الله سبحانه حباً يستولى على مشاعر الإنسان ، بحيث لا يكون ثمة محبوب مراد
سواه سبحانه .

4. وهذا الحب يستلزم أن يتجه الإنسان المسلم نحو هدف واحد هو تحقيق رضا الله سبحانه
، والالتزام بتحقيق هذا الرضا في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة .

5. وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سمواً عن الأنانية وعن الأهواء ، وعن المآرب الدنيا ،
الأمر الذي يتيح له تحقيق أو الاقتراب من الرؤية الموضوعية والمباشرة لحقائق الأشياء ، وهذه
جوهرية في الحكم الخلفي .

6. وعندما تتحقق الرؤية المباشرة والموضوعية للأشياء والحقائق ، يكون السلوك والعمل خُلقاً
من الدرجة الأولى .

7. وعندما يكون العمل خُلقاً من الدرجة الأولى ، نكون ماضين في طريق تحقيق أو بلوغ
الكمال الإنساني¹

وقد عرفها بعض الباحثين المحدثين بأنها : "عبارة عن مجموعة من المبادئ والقواعد
المنظمة للسلوك الإنساني"²

كما عرف أبو أحمد بن محمد بن مسكويه الخلق بأنه " حال للنفس داعية لها إلى أفعالها
من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج
كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجبن من
أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك
ضحكا مفرطاً من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون

1- محمد عبد الله عفيفي: النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ص59.58 ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ط1 1408هـ /
1988م .

2- جمال محمد الزكي :إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق،المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة ، مؤسسة أحمد شوقي إبراهيم
العلمية (1 / 10)

مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقاً¹

الفرع الثاني: أقسام الأخلاق

قسم العلماء الأخلاق باعتبار الحسن والقبح إلى قسمين: أخلاق حسنة محمودة، وأخلاق قبيحة مذمومة.

كما قسموها باعتبار الفطرة والاكْتساب إلى نوعين: أخلاق فطرية ، وأخلاق مكتسبة .

التقسيم الأول: باعتبار الحسن والقبح

قسم الدكتور عبد الرحمن الميداني الأخلاق إلى قسمين: خلق محمود ، وخلق مذموم.

وذهب إلى أن الخلق المحمود هو كل صفة ثابتة في نفس الإنسان تدفعه إلى سلوك محمود، سواء كان فرديا أو جماعيا، اجتمعت البشرية على استحسانه واستقامته ، أما الخلق المذموم فهو كل صفة ثابتة في نفس الإنسان تدفعه إلى سلوك مذموم ، فرديا كان أو جماعيا ، اجتمعت البشرية على استهجانها ن قال رحمه الله تعالى : " الخلق المحمود : صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء . كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة.

ويمكن تمييز الأخلاق الحميدة عن غيرها بأنها كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استحسانه ، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها . ويلحق به ما كان أثراً من آثاره أو فرعاً من فروعه .

1- أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه ، تهذيب الأخلاق، ج 1 ص 10.

والخلق المذموم : صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء . كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح ، وترك الحق أو الخير أو الجمال ، اتباعاً للهوى أو الشهوة .

ويمكن تمييز الأخلاق الذميمة عن غيرها بأنها كل سلوك فردي واجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استقباحه واستنكاره ، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها ، ويلحق به ما كان أثراً من آثاره ، أو فرعاً من فروعها¹

والقرآن الكريم كتاب تربية على أكمل الأخلاق، وأحسن الآداب، حث على الاتصاف بأسمى الأخلاق ، وزجر عن أرذل الأوصاف ، هذه الأخلاق الكاملة والآداب السامية التي دعا إليها تجعل صاحبها مستقيم الظاهر والباطن، معتدل الأحوال، مكتمل الأوصاف ، طاهر القلب ، محموداً عند الله وعند خلقه، قد حاز الشرف والاعتبار الحقيقي، وسلم من كل دنس وآفة، قد تواطأ ظاهره وباطنه على الاستقامة، وسلوك طريق الفلاح، وعدو مكانة المتخلق بأخلاق القرآن وآدابه لا يمتري فيه من له أدنى مسكة من عقل.

والخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين "والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة ، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد، ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية ، فالعناية بضبط قوانين العلاج للأمراض

1- عبد الرحمن حسن حنبكة الميدان: الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ص (16/1) ، دار الفلم ، دمشق ط1 1399هـ / 1979م

القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: {وَدَّ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس : 9] وإهمالها

هو المراد بقوله: {وَوَدَّ خَابَ مَنْ سَاءَهَا} [الشمس : 10] " 1

التقسيم الثاني: باعتبار الفطرية والاكْتساب

تختلف حظوظ الناس من الطبائع الفطرية وتفاوت، فهم ليسوا على درجة واحدة من الذكاء الفطري ، كما تتفاوت حظوظهم الجسدية قوة وضعفاً وطولاً وقصراً تتفاوت فكذلك طبائعهم النفسية الخلقية وغير الخلقية وهو ما عبر عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الترمذي : " إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفئ ، والسريع الغضب سريع الفئ ، والبطيء الغضب بطيء الفئ ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفئ " 2

وعن أبي موسى قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب " 3

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين (3 / 49)

2 - أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ح (2192) وقال : حسن صحيح.

3 - أخرجه أبو داود ح (4693) ، والترمذي ح (2955) وقال : حسن صحيح ، وأحمد في المسند.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " ¹

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " الناس معادن " دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية ، وهو يكشف عن أصلين جوهريين من أصول التكوين العام للناس ، ما يتعلق بتكوينهم النفسي ، وما يتعلق بتكوينهم الروحي .

"الأصل الأول : ما يتعلق بالتكوين النفسي للناس : فيكشف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن الناس ليسوا جميعاً كخليطة واحدة متماثلة من كل الوجوه ولكن بينهم فروق كبيرة من وجوه شتى وكل فرد منهم خليطة فذة لا تماثلها من كل الوجوه خليطة فرد آخر ولكن قد تقاربها وتتشرك معها في صفات كثيرة . ثم إن جميع الخلائط الفردية لأفراد الناس تشترك في الصفات العامة الأساسية رغم الاختلاف بينها في بعض العناصر على نظير ما نشاهده في المعادن . ولذلك فإن خيارهم في الجاهلية هم خيارهم في الإسلام إذا استنوا في فهم الدين والفقه عن الله ، إذ التفاضل في أصل التكوين سيظل ملازماً لهم .)

الأصل الثاني : يتعلق بالتكوين الروحي : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " . فالأرواح في أصل تكوينها مختلفة أيضاً فيما بينها فهي أصناف

1- أخرجه من طرق كثيرة عن أبي هريرة الحميدي "1045"، وأحمد في "المسند" 257/2 و 260 و 391 و 438 و 485 و 498 و 525 و 539، وفي "فضائل الصحابة" "1518" و"1519" و"1673" .

والبخاري "3353" في الأنبياء: باب قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} و"3374" باب {أَمْ كُنتُمْ شُرَكَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ} و"3383" باب قوله تعالى: لَوْ دَكَانَ فِي يَسْفَ وَخَوْتِهِ أَيْلَسَاءَ لَيْنِ} و"3493" و"3496" في أول المناقب، و"3588" في المناقب أيضاً : باب علامات النبوة في الإسلام، و"4689" في التفسير: باب لَوْ دَكَانَ فِي يَسْفَ وَخَوْتِهِ أَيْلَسَاءَ لَيْنِ} .

ومسلم 02378 و"2526" في الفضائل، و"2638" و"160" في البر والصلة، والطحاوي في "مشكل الآثار" 315/4، والنسائي في التفسير كما في "التحفة" 479/9 و 303/10، والبيهقي في "شرح السنة" "3844" و"3845"، والقضاعي في "مسند الشهاب" "606" .

شتى وليست صنفاً واحداً وإن كانت تشترك في صفات عامة تدخل تحت مسمى واحد أو نوع واحد¹

فالناس مختلفون في طبائعهم الخلقية فالبعض منهم أخلاقه فطرية تظهر فيهم في بداية حياتهم ومنذ نشأتهم ومنهم من يكون لديه استعداد فطري لاكتساب الأخلاق، وعلى ذلك يمكن تقسيم الأخلاق باعتبار الفطرة والاكْتساب إلى قسمين: أخلاق فطرية، وأخلاق مكتسبة.:

الأول : الأخلاق الفطرية الأصل

وهي مكارم جبليّة جبل عليها الإنسان تكون سجية وطبيعية له فلا يحتاج في ممارسته إلى تكلف ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأشج عبد القيس : " إن فيك لخلقين يحبهما الله : الحلم والأناة " قال : يا رسول الله : أهما خلقان تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما ؟ قال : " بل جبلك الله عليهما " فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما ورسوله²

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " قيل يا رسول الله : من أكرم الناس ؟ قال : أنقاهم فقالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله

1- عبد الرحمن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها (1 / 180 . 182 .

2- إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أحمد بن المقدم العجلي وهو ثقة من رجال البخاري. سعيد: هو ابن أبي عروبة، وخالد بن الحارث ممن سمع منه قبل اختلاطه.

وأخرجه الخطيب في "الأسماء المبهمة" ص442-443 من طريق الحسين بن يحيى بن عياش القطان، عن أحمد بن القطان، عن أحمد بن المقدم العجلي، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم 18 26 في الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين...، من طريق إسماعيل ابن علية، و 27 من طريق ابن أبي عدي، وابن مندة في "الإيمان" 155 من طريق عبد الوهاب بن عطاء، ثلاثتهم عن سعيد بن أبي عروبة، به.

وأخرجه مختصراً مسلم أيضاً 18 28 من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن أبي قزعة، عن أبي نصر، به. وقد تقدم تخريجه من حديث ابن عباس وأبي هريرة برقم 157.

ابن خليل الله " قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : " فعن معادن العرب تسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " ¹

يقول المودودي : " إن الحاسة الخلقية فطرية في الإنسان وقد استخدمت على امتداد العصور بوصفها معيار السلوك الأخلاقي فزُكَّت بعض الصفات وأدانت غيرها . وإذا كانت أحكام هذه الملكة الفطرية يمكن أن تتباين وتختلف من شخص إلى آخر ، فإن الضمير الإنساني أصدر حكمه الثابت الذي لا يختلف لصالح بعض الصفات الأخلاقية واعتبرها خيرة ، وأدان صفات أخرى وأعلن أنها سيئة أو شريرة . فمن ناحية الفضائل الأخلاقية ، نالت الثناء دائماً فضائل العدالة والشجاعة والصدق ولم يسجل التاريخ عهداً جديراً بالذكر نال فيه الكذب والظلم والخيانة ونكث العهد تأييد الضمير الإنساني ورضاه" ²

1- إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشام: هو ابن حسان، ومحمد: هو ابن سيرين، وأخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" 196" من طريق يحيى بن يمان، عن هشام، بن حسان، بهذا الإسناد.

وأخرجه من طرق كثيرة عن أبي هريرة الحميدي "1045"، وأحمد في "المسند" 257/2 و260 و391 و438 و485 و498 و525 و539، وفي "فضائل الصحابة" "1518" و"1519" و"1673" .

والبخاري "3353" في الأنبياء: باب قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى الْخَلَائِقَ يُوقَظْنَ خَشْيَهُ إِذْ جَاءَهُمْ حَسْرَتُهُمْ ذَلِكَ يَوْمُ يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى الْقَدَمِ الْمَوْتُ} و"3383" باب قوله تعالى: لَوْ دَكَانَ فِي يَوْمِ وَيُفَ وَخَوْتِهِ أَيَانِلْسَائِلِينَ} و"3493" و"3496" في أول المناقب، و"3588" في المناقب أيضاً : باب علامات النبوة في الإسلام، و"4689" في التفسير: باب لَوْ دَكَانَ فِي يَوْمِ وَيُفَ وَخَوْتِهِ أَيَانِلْسَائِلِينَ} .

ومسلم 02378 و"2526" في الفضائل، و"2638" "160" في البر والصلة، والطحاوي في "مشكل الآثار" 315/4، والنسائي في التفسير كما في "التحفة" 479/9 و303/10.

والبغوي في "شرح السنة" "3844" و"3845"، والقضاعي في "مسند الشهاب" "606".

2- أبو الأعلى المودودي : منهج الحياة الإسلامية ، ص 27 .

الأصل الثاني : الأخلاق المكتسبة

بإمكان الإنسان اكتساب بعض الأخلاق الفاضلة ، كما أنه بإمكانه اكتساب رذائل الأخلاق ، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل، أو تدهورهم في سلم الرذائل . وهذا التفاوت يدل على وجود استعداد لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية ، ووفق هذا الاستعداد جاءت التكاليف الشرعية بالتزام فضائل الأخلاق ، واجتناب الرذائل..

فقد جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " يا رسول الله أوصني قال : " لا تغضب"¹ وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ليس الشديد بالصرعة ؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"²

وروى الخطيب عن أبي هريرة مرفوعاً : " إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرَّ الخير يعطه ، ومن يتوقَّ الشر يوقه "³

وروى الحاكم عن أبي أيوب مرفوعاً : " اللهم اغفر ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم واجبرني

،

1-إسناده حسن، وأخرجه أحمد 175/2 عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة، عن دراج، بهذا الإسناد.

وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" 69/8، ونسبه إلى أحمد، وقال: وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث، وبقية رجاله ثقات.

وفي الباب عن جارية عند أحمد 484/3 و34/5 و370، وأبي يعلى 395/2، والطبراني "2093" و"2097"، وأحمد 362/2 و466.

والترمذي "2020"، وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند أحمد 373/5، وعن ابن عمر عند أبي يعلى، وعن أبي الدرداء عند الطبراني في "الكبير" و"الأوسط". أخرجه البخاري في كتاب الأدب ح (6116) .

2- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، ح /6114 ، ومسلم في كتاب البر والصلة ح /107، ومالك في الموطأ ، باب ما جاء في الغضب، ح/1613.

3- أخرجه الخطيب في تاريخه (127/9) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - والطبراني في الكبير (395/19) عن معاوية - رضي الله عنه - وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2328/1)

اللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدى لصالحها ولا يصرف عن سيئها إلا أنت " 1

يقول القاضي عياض . رحمه الله . : "وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة ، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلفين بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق ، وهو الاعتدال فى قوى النفس وأوصافها ، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها ، فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على الانتهاء فى كمالها والاعتدال إلى غايتها ."²

الفرع الثالث : طبيعة الأخلاق الإسلامية

1 - أخرجه الحاكم فى المستدرک ح (5942) عن أبى أيوب مرفوعاً

2 - القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، (89/1) ، المكتبة التوفيقية بدون (ت،ط)

تعد الأخلاق " روح الإسلام " حيث قال صلى الله عليه وسلم - : " الدين حسن الخلق " ¹
وقد جعلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - الهدف من بعثته وحددها تحديداً واضحاً في قوله " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ²

و الأخلاق الإسلامية هي أفضل طريقة للتعامل الإنساني ، حيث يكون السلوك بمقتضاها له مضمون يستهدف غايات خيرة . التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده على أكمل وجه .

" وللنظام الأخلاقي في الإسلام طابعان مميزان :

الأول : طابع إلهي من حيث أنه مراد الله ، إذ أنه يجب أن يتبع الإنسان في هذه الحياة رغبة الله في خلقه ، ولذلك جاء الوحي بصورة هذا النظام .

الثاني : طابع إنساني من حيث إن هذا النظام عام في بعض نواحيه يتضمن المبادئ العامة ، وللإنسان دوره في تحديد واجباته الخاصة والتعرف على طبيعة مظاهر السلوك الإنساني المعبرة عن القيم " ³

ولذلك نجد أن أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية :

1- أن مصدرها " الوحي " : ولذلك فهي قيم ثابتة ومثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه . يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً " ¹ .

1- أخرجه مسلم (110/16)

2- أخرجه احمد بن حنبل، مسند أبو هريرة ، ح/8939.

3- مقداد بالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية ، ص75 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط1 1977 م .

2. أن الأخلاق الإسلامية أخلاق عملية : هدفها التطبيق الواقعي ، وبيان طرق التحلي بها .
يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : " أربع إذ كن فيك
فما عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة " ²

3. مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى . فقد سئل
الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : " تقوى الله وحسن الخلق

» 3

وروى الحاكم عن سهل بن سعد مرفوعاً : " إن الله يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره
سفاسفها " ⁴

4. لا تحكم على الأفعال بظاهرها فقط ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التي تحرك
هذه الأفعال الظاهرة يقول - صلى الله عليه وسلم - : " إنما الأعمال بالنيات " ⁵

5 . مبادئها تقنع العقل وترضى القلب والوجدان ، فما من نهي شرعي إلا معه مسوغات
ودوافع تحريمه يقول سبحانه : { وَلَا تَقْرُؤْ وَالرَّزِي إِيَّه كَانَفَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً } [الإسراء: 32]
يَلِيهِمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا الْخُورُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ اجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

1- أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ح 6029 ، ومسلم في كتاب الفضائل ح 2321 واللفظ له .

2- أخرجه أحمد في المسند بسند جيد (177/2) ، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني (301/1) رقم 886 .

3- أخرجه الترمذي (363/4) برقم 2005 وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (194/2) ، وانظر جامع الأصول
(694/11) .

4- أخرجه الحاكم (48 /1) وقال صحيح الإسناد واللفظ له ، والطبراني في الكبير (181/6) رقم 5928 .

5- أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ح 1 ، ومسلم في كتاب الإمارة (155 /1907).

تُفْحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ لِيُزْوِعَ بَيْنَكُمْ الْعَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ { [المائدة 90 .
[91] وكذلك الأخلاق الإسلامية تقبلها الفطرة السليمة ولا يرفضها العقل .¹

فالأخلاق الإسلامية شاملة لكل نواحي الحياة : حيث أن لها علاقة بالعقيدة ، كما لها علاقة بالشريعة ، و بالسلوك ، وبالضمير .

أولاً : العقيدة والأخلاق

" الأخلاق في الإسلام تعتمد على أهداف العقيدة الإسلامية باعتبار أن العقيدة الإيمانية معيار توزن عليه الأعمال والأقوال وكافة التصرفات ، لحفظ كرامة الإنسان وصيانتها وتحقيق سعادته في حياته الدنيا والآخرة "²

"والأخلاق الإسلامية لا تصدر عن مصلحة مؤقتة ذاتية ، ولما كانت الأخلاق تعتمد على أصل الشعور بها عند الإنسان ، بحيث يترجم عنها في صورة أفعال أو انفعال أو لفظ ، فإن الإسلام يجعل الإنسان الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق ، وهذه الأخلاق تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته ، وقدراته ، وما سخر له في السموات والأرض ، وبما أنزل عليه من كتب وما أرسل إليه من رسل ، وبذا تتحقق كرامة الإنسان ، ويتهيأ بها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة "³

1- جمال محمد زكي : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 12 ، 13)

-المؤلف فريق من المختصين بإشراف صالح بن حميد ، عبد الرحمن بن ملوح ، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، الناشر دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى : 1418 هـ 1998م (92/1)

3 - محمد فتحي عثمان: القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، ص42 ، الدار السعودية ط1 1402 / 1403 هـ

فقد انحصرت مقاصد الشريعة الإسلامية في الكليات الخمس حفظاً لحياة الإنسان وهي :
المحافظة على الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .¹ وجاءت الشريعة بوسائل للحفاظ
عليها حسب أهميتها وتتمثل في الحفاظ على الضروريات² والحاجيات³ والتحسينات⁴ .

و للأخلاق الإسلامية علاقة وطيدة بالعقيدة، فقد ربط الله تعالى الإيمان بحسن الخلق فقال
سبحانه : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولِدُوا بُرًّا أَوْ تُؤَدِّبُوا بُرًّا وَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } - [البقرة : 177]

وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أي المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : " أحسنهم

خلقاً

5»

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " البر حسن الخلق " ¹ فالبر اسم جامع لأنواع الخير . كما
جعل صلى الله عليه وسلم - الحياء شعبة من الإيمان وهو من مكارم الأخلاق

1- أبو اسحق الشاطبي الموافقات في أصول الشريعة ، (6/2) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة بدون (ت)

2- الضروري: ما تقوم عليه مصالح الناس ولا بد منه لاستقامة مصالحهم وإذا فقد اختل نظام حياتهم . وهي ترجع إلى حفظ
خمسة أشياء : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

3- الحاجيات : الأمور التي تحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم وإذا فانت لا يختل نظام الحياة ولكن يلحق الناس
المشقة والضيق .

4- التحسينات : الأمور التي تجعل أحوال الناس تجرى على مقتضى الأداب العالية والخلق القويم أي تجمل حياتهم وإذا
فانت لا يختل نظام الحياة ولا يلحق بالناس المشقة والضيق .

5- أخرجه الترمذي ح 1162 ، وأحمد في المسند (250/2 ، 472) ، وابن حبان (1311) ، والحاكم (3/1) وسنده حسن

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " ²

1- إسناده صحيح على شرط الصحيح .

وأخرجه أحمد 182/4 عن زيد بن الحباب، بهذا الإسناد.

وأخرجه الترمذي "2389" في الزهد: باب ما جاء في البر والإثم، عن موسى بن عبد الرحمن الكندي، والبيهقي في "السُنن" 192/10، والبغوي في "شرح السنة" "3494" من طريق الحسن بن علي بن عفان، كلاهما عن زيد بن الحباب، به.

وأخرجه أحمد 182/4، ومسلم "2553" "14" في البر والصلة: باب تفسير البر والإثم، والترمذي "3389" أيضاً، من طريق ابن مهدي، ومسلم "2553" "15" من طريق عبد الله بن وهب، والبخاري في "الأدب المفرد" "295" و"302" من طريق معن، ثلاثتهم عن معاوية بن صالح، به. بلفظ "والإثم ما حاك" بدل "ما حك".

وأخرجه أحمد 182/4، والدارمي 322/2 من طريق عبد القدوس أبي المغيرة الخولاني، عن صفوان بن عمرو، عن يحيى بن جابر القاضي، عن النواس بن سمعان.

وفي الباب عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً بلفظ: "البر ما سكنت == إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب" أخرجه أحمد 194/4، والطبراني في "الكبير" 219/22، وأبو نعيم في "الحلية" 30/2.

وعن وابصة بن معبد عند أحمد 227/4 و 228، والطبراني 147/22 - 149 أخرجه الترمذي ح (2004) وقال صحيح غريب وقال محقق جامع الأصول (694/11) صحيح بشواهده .

2- إسناده صحيح على مسلم، وأخرجه ابن منده في "الإيمان" "147" من طريق حسين بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، بهذا الإسناد..

وأخرجه مسلم "35" "58" في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان، وابن ماجه "57" في المقدمة: باب في الإيمان، وابن منده في "الإيمان" "147"، والبغوي في "شرح السنة" "17"، والآجري في "الشريعة" 110 من طرق عن جرير - هو ابن عبد الحميد -، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 414/2 عن عفان، وأبو داود "4676" في السنة: باب في رد الإرجاء، عن موسى بن إسماعيل، والبغوي في "شرح السنة" "18"، من طريق حجاج الأنماطي، كلهم عن حماد بن سلمة، عن سهيل بن أبي صالح، بهذا الإسناد.

وأورده ابن حبان برقم "191" من طريق سفيان الثوري، عن سهيل بن أبي صالح، به.

والقاعدة الإيمانية في الإسلام تدفع المؤمنين إلى أن يتحلوا بالفضائل الخلقية وأن يتخلوا عن الرذائل وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق ، فقد قال - صلى الله عليه وسلم -

: " إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيارهم خيارهم لنسائهم " ¹

ثانياً : الشريعة الإسلامية والأخلاق

وأخرجه ابن أبي شيبة 40/11، والنسائي 110/8 في الإيمان: باب ذكر شعب الإيمان، وابن ماجه "57"، وابن منده في "الإيمان" "147"، و"171" و"172" من طرق عن محمد بن عجلان، عن عبد الله دينار، به.

وأخرجه ابن منده "146" من طريق أحمد بن حنبل، عن أبي النضر، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، به.

وسيورده بعده "167" و"190" من طريق سليمان بن بلال، عن ابن دينار، به. وبرقم "181" من طريق بن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن ابن دينار، به، ويرد تخريج كل طريق في موضعه.

وأخرجه الطيالسي "2402" من طريق وهيب، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبي هريرة.

وأخرجه أحمد 379/2، من طريق قتيبة، عن بكر بن مضر، عن عمارة بن غزية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ح: 9 .

1- أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان (11/5) رقم 2612 .

تنقسم أحكام الشريعة وتكاليفها إلى أقسام ثلاثة هي :

1. حقوق إلهية محضة : وتتمثل بما يجب علينا من الإيمان بالله ، والخضوع لجلاله وعبادته على ما يرضيه وطاعته في أوامره ونواهيه .

2. حقوق شخصية : وتتمثل بحقوق التملك ، والتصرف ضمن حدود الخير ، وإدارة مملكة النفس وفق مصالحها العاجلة والآجلة وبالحقوق التي توجب على الإنسان أن يعمل لنفسه ما يكسب به السعادة الخالدة لها .

3. حقوق جماعية : وتتمثل بحقوق التعاون والدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعدل ، وإقامة السلطان الصالح العادل ، وضبط المعاملات وحق الزكاة والصدقة¹

أما علاقة هذه الأحكام بالأخلاق فهو أن :

1. "الحقوق الإلهية وهي الأحكام الاعتقادية والتعبدية ، فإن طاعة الله تعالى هي ظاهرة خلقية يدفع إليها أساس أولى من الأسس الأخلاقية ، وهو حب الحق وإيثاره ، لأن من تجب طاعته فحقه أن يطاع ومن يتمتع بخلق حب الحق وإيثاره فإن خلقه هذا يدفعه إلى تأدية هذا الحق لمستحقه ، فهو إذن يؤدي حق الطاعة لمستحقها فيعبد الله تبارك وتعالى حسب أمره ، وعلى ما يرضيه . وكذلك شكر المنعم ظاهرة خلقية يدفع إليها حب الحق وإيثاره وكذلك عدم الاستكفاف عن عبادة الله من فضائل الأخلاق . ولذلك وصف الله ملائكته بأنهم لا يستكبرون عن عبادته فقال : (إِنَّ الَّذِينَ عَدَّ رَبُّكَ لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) [الأعراف: 206]

1- عبد الرحمن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها ، (1/26.27)

2. ارتباط أحكام المعاملات المالية بالأخلاق : فالمعاملات المالية قائمة على أساس الحق والعدل ومن كان يتمتع بالحق والعدل يجد نفسه مدفوعاً بعامل خلقي للالتزام بأحكام المعاملات المالية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية .

3- ارتباط أحكام المعاملات الاجتماعية بالأخلاق : فنظام الأسرة وحقوق أفرادها وواجباتهم قائمة على مبدأ التعاون بين أفرادها وتوزيع المسؤوليات وفق مصلحة الجماعة كل بحسب وظيفته واستحقاقه . والتعاون مبدأ أخلاقي يدفع إليه الشعور بالحب تجاه الآخرين وكذلك الدافع الجماعي الذي يخفف من غلاء الأنانية الشخصية وكلا الأمرين من الأسس الأخلاقية العامة .

4. ارتباط أحكام الأحوال الشخصية بالأخلاق : وأحكام الأحوال الشخصية هي التي تنظم أحوال الزواج والطلاق والنفقة والميراث ، ... وهذه الأحوال ترجع إلى فئات : فمنها تنظيمات اجتماعية ، ومنها تنظيمات لضبط الحقوق المادية ، ومنها أمور تعبدية من قبيل تأدية حق الله على عباده ، ومنها ما يرجع إلى حق الإنسان على نفسه ، ومنها ما يرجع إلى حق الجماعة على الفرد .. وهذه كلها ذات دوافع أخلاقية ظاهرة .

5. ارتباط أحكام تنظيم العقود بالأخلاق : فالأصل في تنظيم شكليات العقود والمعاملات أنه يهدف إلى ضمان الحقوق لأهلها ، وعدم تسرب الظلم والجور إليها وهي دوافع أخلاقية بالإضافة إلى كونها تنظيمات شرعية وتعليمات ربانية فكل تنظيم شكلي من شأنه أن يخدم غاية لا بد أن نجده مرتبطاً بالأسس الأخلاقية .

6. ارتباط أحكام الآداب بالأخلاق : إن الآداب الأخلاقية . بالإضافة لكونها لوناً من ألوان الحكمة في السلوك الشخصي الذي يمنح الإنسان بما فيه من جمال وذوق رفيع . فيها احترام وتقدير للآخرين وحسن تعامل معهم ، وفيها ابتعاد عن كل ما يجرح مشاعرهم التي تألف الجمال وتميل إليه . وهذا كله نابع من حب العطاء بوصفه أحد الأسس الأخلاقية العامة وكذلك خلق

الشعور بالمحبة للآخرين ، وخلق الخير والحق وإيثاره . وكلها أخلاقيات ذات ارتباط وثيق بالأحكام الآداب"¹

ثالثاً : السلوك والأخلاق

تمتاز الأخلاق الإسلامية بشمولها لكل قطاعات الإنسانية المختلفة ومنها " السلوك الظاهر ."

والأخلاق تتناول السلوك سواء من جانبها الفردي أو الاجتماعي :

فمن الأخلاق التي تتناول جانب السلوك الفردي : الزهد ، التفاؤل ، النظام ،

ومن الأخلاق التي تتناول جانب السلوك الاجتماعي : الصدق ، والحلم ، والأمانة ، والصبر ، والعفة.....

"وهذه القاعدة . الأخلاق والسلوك الاجتماعي . تتبني على : أن يعامل الإنسان الناس بما يحب أن يعامل"². ولقد أبان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه القاعدة بقوله - صلى الله عليه وسلم - : " فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه "³

1- جمال محمد زكي : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 18)

2- جمال محمد زكي : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 19)

3- أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء ح 1884 .

رابعاً : الضمير والأخلاق

خلق الله تعالى النفس الإنسانية وأودع ما تدرك به فضائل الأخلاق ورذائلها ، فقد ألهمت منذ تسويتها وتكوينها طريق الخير ، وطريق الشر . يقول سبحانه وتعالى : { وَفَسِّ وَوَمَا سَوَّاهَا * فَآلِهَ مَهَّ ا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَّاهَا } [الشمس 7 . 10] ويقول : (لِي الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعْنِيَهُ) [القيامة 14 . 15]

فلقد أودع الله تعالى الإنسان بصيرة يحاسب بها نفسه محاسبة أخلاقية على أعماله .

ويقول سبحانه : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَسْبُ أَنْ لَنْ يَقَرَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَسْبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَوَلَدْنَا وَشَفَقْنَا فِي * وَهَيَّأْنَا لَهُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ * قَلِيلًا مِمَّا نَحْسَبُ لَهُ الْوَهْدَ الْعَيْنَ * لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الجن 4 . 10]

"فالإنسان كما لديه أدوات الحس الظاهر لديه حس باطن يدرك به طريقي الخير والشر ، وهما النجدين الممتدان في أرض حياته الدنيا ، يختار منهما لسلوكه ما يشاء وهذا الحس الباطن يشمل ما تدركه الأفكار السليمة بموازينها التي فطرها الله عليها ، ويشمل ما تحس به الضمائر بمشاعرها الوجدانية التي فطرها الله عليها ومن ذلك يتكون في الإنسان حسه الأخلاقي"¹

يقول المودودي : "وقد عرفت الإنسانية هذه المعايير . معايير الخير والشر . على امتداد العصور معرفة جيدة . فالخير والشر ليسا أشباحاً يطاردهما الإنسان ويتخبط في مطاردهما . إنهما حقيقتان واقعتان معروفتان ومفهومتان فهماً حسناً لكل إنسان . والحاسة الخلقية ملكة فطرية في طبيعة الإنسان ذاتها ولهذا سميت الفضيلة في المصطلح القرآني بـ " المعروف " والمعروف هو :
المعلوم جيداً وعلى العكس من هذا

1- عبد الرحمن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها (74 / 1)

شيء غير معروف . ومعنى هذا أن البشر جميعاً يعرفون الفضيلة معرفة تمكنهم من الرغبة فيها، ... ثم يقول : لذلك لا يستطيع أن يملئ نفسه بأية طريقة من الطرق . هذه الحقيقة المذكورة في القرآن في قوله تعالى فَالَّذِينَ هُمْ أَفْجُرُهُمْ وَتَوَّاهَا { [الشمس: 8] }¹

لذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تعريفه للبر وتعريفه للإثم : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس "²

و عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " جئت تسأل عن البر ؟ قلت نعم . فقال : " استفت قلبك " ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حال في نفسك وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك "³

فقد جمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فضائل الأخلاق باسم " البر " ، وجمع رذائل الأخلاق باسم " الإثم " فالبر يفعلُه الإنسان السوي وهو مطمئن القلب ، والنفس ، أما الإثم فإن الإنسان السوي لا يقدم عليه إلا وفي نفسه قلق وتردد واضطراب.

ولذلك كان تأكيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يدع الإنسان ما يريبه إلى ما لا يريبه، ويدل عليه ما رواه الترمذي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :

حفظت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ⁴

1- أبو الأعلى المودودي : مفهوم الحياة الإسلامية ص 29 . 30

2- تقدم تخريجه ص 207

3- صحيح : أخرجه الدارمي، كتاب البيوع ح (2523) ، وأحمد في مسنده (228/4) ح (17924)

"فحس النفس الإنسانية الخلقى بالإثم يكره فاعل الإثم أن يطلع عليه الناس لأنه يعلم أنهم يشعرون بمثل ما يشعر بحس خلقى فى أعماق نفوسهم أيضاً . وهذا الحس الأخلاقى هو ما أسماه المحدثين بـ : "الضمير " ¹

الفرع الرابع: أركان الأخلاق الإسلامية وميزتها

استنبط العلماء الأخلاق الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وجعلوها أركاناً لازمة لحسن الخلق، وبينوا أن منشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأركان، الصبر ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل، يقول ابن قيم -رحمه الله-: "وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء، وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

4-القسم الأول وهو قوله: "دع ما يريبك إلى ما يريبك فإن الصدق طمأنينة والشر ريبة" أخرجه الطيالسي "1178"، والترمذي "2518" فى صفة القيامة، والحاكم فى "المستدرک" 13/2 و 99/4 من طريق شعبة، به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى.

وقوله "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" دون تتمته أخرجه النسائي 327/8 فى الأشربة: باب الحث على ترك الشبهات، والدارمي 245/2، والبغوي فى "شرح السنة" "2032"، من طريق شعبة، به

وفى الباب عن ابن عمر عند الطبراني فى "الصغير" 102/1، وأبى الشيخ فى "الأمثال" "40"، وأبى نعيم فى "أخبار أصبهان" "243/2"، وفى "الحلية" 352/6، والخطيب فى "تاريخ بغداد" 220/2 و 387 و 386/6، والقضاعي فى "مسند الشهاب" "645".

وقوله "الصدق طمأنينة والشر ريبة" أخرجه القضاعي فى "مسند الشهاب" "275" من طريق شعبة، به. بلفظ "والكذب" بدل "والشر".

1-جمال محمد الزكى: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق(21/1)

والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزع والبطش، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"¹.

وهو حقيقة الشجاعة وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة"².

ذهب ابن قيم -رحمه الله إلى أن حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، وجعل التوسط أحد هذه الأركان الأربعة، وهي الصبر، والعفة، والشجاعة، والتوسط، والتوسط عبر عنه بلفظ العدل الذي يحمل الإنسان على اعتدال أخلاقه واستقامتها، "وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، وإنما كان للتوسط هذه المكانة الجليلة، لأن كل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين، وهو وسط بينهما، وطرفاه خلقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خلقا البخل والتبذير. والتواضع: الذي يكتنفه خلقا الذل والمهانة، والكبر والعلو فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين ولا بد، فإذا انحرفت عن خلق التواضع انحرفت إما إلى قحة وجرأة، وإما إلى عجز وخور ومهانة، بحيث يطمع في نفسه عدوه، ويفوته كثير من مصالحه، ويزعم أن الحامل له على ذلك الحياء، وإنما هو المهانة والعجز وموت النفس.

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (129/7، رقم 6114).

2 ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (308/2)

وإذا انحرفت عن خلق اللحم انحرفت إما إلى الطيش والتزف والحدة والخفة، ولما إلى الذلة والمهانة والحقارة ففرق بين من حلمه حلم ذل ومهانة وحقرة وعجز، وبين من حلمه حلم اقتدار وعزة وشرف، كما قيل:

حجة لاجي إليه اللئام ... كل حلم أتى بغير اقتدار

وإذا انحرفت عن خلق الشجاعة انحرفت إما إلى تهور وإقدام غير محمود، ولما إلى جبن وتأخر مذموم، وإذا انحرفت عن خلق المنافسة في المراتب العالية والغبطة، انحرفت إما إلى حسد، ولما إلى مهانة، وعجز وذل ورضا بالدون. وإذا انحرفت عن القناعة انحرفت إما إلى حرص وكلب ولما إلى خسة ومهانة وإضاعة، وإذا انحرفت عن خلق الرحمة انحرفت إما إلى قسوة، ولما إلى ضعف قلب وجبن نفس، كمن لا يقدم على ذبح شاة، ولا إقامة حد، وتأديب ولد، ويزعم أن الرحمة تحمله على ذلك، وقد ذبح أرحم الخلق -صلى الله عليه وسلم- بيده في موضع واحد ثلاثا وستين بدنة، وقطع الأيدي من الرجال والنساء، وضرب الأعناق، وأقام الحدود ورجم بالحجارة حتى مات المرجوم، وكان أرحم خلق الله على الإطلاق وأرافهم.

وكذلك طلاقة الوجه والبشر المحمود، فإنه وسط بين التعبيس والتقطيب وتصغير الخد، وطبي البشر عن البشر، وبين الاسترسال بذلك مع كل أحد، بحيث يذهب الهيبة، ويزيل الوقار، ويطمع في الجانب، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة والبغضة، والنفرة في قلوب الخلق.¹

فميزة الأخلاق التي حث القرآن الكريم على الالتزام بها الوسطية والاعتدال والاستقامة، فكل خلق محمود منها هو فضيلة بين رذيلتين، وهو وسط بينهما، وطرفاه خلقان ذميّمان، فإذا انحرف الإنسان مثلا عن خلق الصبر إما أن يقع في جزع وهلع وجشع وتسخط، ولما أن يقع في غلظة كبد، وقسوة قلب، وتحجر طبع، وإذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت إما إلى عجلة وطيش

1-علي محمد الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم - (3 / 115/116)

وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهما، وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة ، وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ ، والاستشاشة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشه والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك

والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظنا سيئا بالبريء وإن قصرت عنه كانت تغافلا ومبادئ ديانة وللتوضيح حد إذا جاوزه كان ذلا ومهانة ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر وللغز حد إذا جاوزه كان كبرا وخلقا مذموما وإن قصر عنه انحرف إلى الذل و المهانة.

وضابط هذا كله العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط .

وصاحب الخلق الوسط: مستقيم ، معتدل مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاؤه وفي صفة نبينا -صلى الله عليه وسلم- " من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبه"¹.

ومن أوضح الأمثلة على استقامة الإسلام في السلوك والأخلاق دعوته المتكررة إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق والتحذير من التطرف في الإسراف أو التقتير ، ومصدق ذلك في قول الله تعالى يصف عباده : "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [الفرقان : 67] والقوام هو الاستقامة .

1- رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- (559/5)، رقم (3638)

الفرع الخامس : بيان حقيقة حسن الخلق وأركانه

اختلف العلماء في بيان حقيقة حسن الخلق، فذهب الحسن إلى أن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى.

وقال الواسطي: هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى.

وقال شاه الكرمانى: هو كف الأذى واحتمال المؤمن .

وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا.

وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء .

وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى. وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. وقال مرة أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس .

وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال .وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق .

وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى ، وقد بين الغزالي رحمه الله تعالى أن ما ذهبوا إليه إنما هي ثماره وليست حقيقته ، يقول رحمه الله تعالى: " فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا . وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة"¹

وقد بين الإمام الغزالي رحمه الله تعالى حقيقة حسن الخلق وذهب إلى أن الأصل عبارتان ، فأحدى هاتين العبارتين يراد بها الصورة الظاهرة أما العبارة الثانية فيراد بها الصورة الباطنة ، فأصل الإنسان أنه مركب من جسد وروح ، أما الجسد فهو مدرك بالبصر ، في حين يكون إدراك النفس بالبصيرة ، ولكل من الجسد والروح صورتان ، إما قبيحة ولما جميلة، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس أو الروح تصدر الأفعال فإن كانت الأفعال التي تصدر عنها جميلة محمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا.

يقول رحمه الله تعالى: " فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق ؛ أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة ولما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِنَّا لَنُؤَيِّدُهُ ۖ وَفَخَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } [ص : 71 ، 72]

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين - (3 / 53)

فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم¹

فقد بين الإمام الغزالي أربعة أمور بها يكون الحكم على الخلق إما بالحسن أو القبح، أحدها فعل الجميل والقبيح ، والثاني القدرة عليهما ، والثالث المعرفة بهما ، والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين

ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح . فالخلق ليس الفعل وحسب، ولا هو القوة وحدها ، ولا هو المعرفة وحدها ، وإنما هو اجتماع هذه الأمور الأربعة .

يقول رحمه الله تعالى: " وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء، وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد ، وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة ، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل ، فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين - (3 / 53)

الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث " ¹

كما اشترط ليتم حسن الخلق أربعة شروط في الباطن هي : قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل فإذا استقامت واعتدلت حصل حسن الخلق عند صاحبها. فقوة العلم تتحقق إذا استطاع الإنسان إدراك الفرق بين المتضادات من الأخلاق كالصدق والكذب، والحق والباطل...والنتيجة من تحقق هذا الشرط هو أن يوتي الله صاحبها الحكمة، التي بها يتحكم في قوة الغضب وقوة الشهوة ، وفق العقل والشرع ، وبالتالي تكون قوة العدل قد تحققت لديه، يقول رحم الله تعالى: " أما قوة العلم فحسنها

وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَكْفُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [البقرة : 269] وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة ، أعني إشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع " ²

وضبط القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة ، فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا.

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين - (3 / 53)

2- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: نفسه ص 54

وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، فإذا مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا . والعدل إذا مال إلى طرف النقصان والضعف سمي جورا.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجريزة ويسمى تفريطها بلها.

" فأمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية .

ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها. ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء ، والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا "1

1- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين - (3 / 54).

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
والباقي فروعها .

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين ، قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لِيُمَّرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }
[الحجرات : 15] .

الفرع السادس: مجالات حسن الخلق

إن مجالات حسن الخلق باعتبار علاقاتها تنقسم إلى أربعة أقسام:

أولاً- حسن الخلق في الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى: إن الفضيلة الخلقية في هذه الصلة تفرض على الإنسان كثيراً من السلوكات الأخلاقية تجاه خالقه منها:

- "تلقى أخبار الله بالتصديق، بحيث لا يقع عند الإنسان شك ، أو تردد في تصديق خبر الله تعالى ، لأن خبر الله تعالى صادر عن علم ، وهو سبحانه أصدق القائلين : { وَمَنْ أَصَقُّ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } [-النساء:87].

- تلقى أحكام الله تعالى بالقبول والتفويض والتطبيق : فلا يرد شيئاً من أحكام الله ، فإذا رد شيئاً من أحكام الله فهذا سوء خلق مع الله عز وجل سواء ردها منكراً حكماً ، أو مستكبراً عن العمل بها ، أو متهاوناً بالعمل بها.

- الرضا بأقدار الله والصبر عليها : فأقدار الله تعالى منها ما يوافق رغبات الخلق ومنها ما لا يوافقهم ، ولذلك فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره ، هو أن يرضى الإنسان ويستسلم ويطمئن ، ولهذا امتدح الله الصابرين بقوله : { وَشَرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: 155، 156].

- فكل هذه السلوكات أمور تدعو إليها الفضيلة الخلقية ، أما دواعي المعصية والكفر بالله تعالى فهي تستند إلى مجموعة من رذائل الأخلاق ، منها الكبر ومنها ابتغاء الخروج على طاعة من تجب طاعته، استجابة لأهواء الأنفس وشهواتها ، ومنها نكران الجميل وجحود الحق ولذلك قال الله عنهم :

{إِنَّهُمْ كُفِرُوا لَهُمْ وَاحِدًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ هُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُتَكَبِّرُونَ }- [النحل: 22]

11

ثانيا - حسن الخلق في الصلة القائمة بين الإنسان وغيره من الناس:

: عرف الحسن البصري . رحمه الله . حسن الخلق مع المخلوق بقوله : كف الأذى، وبذل الندى ، وطلاقة الوجه" فقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - حرمة أذية المسلم بأي نوع من أنواع الأذى فقال - صلى الله عليه وسلم - : " إن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا " ¹

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " ²

أما بذل الندى فهو الكرم والجود ، . وهو خلق أصيل من أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعن جابر بن عبد الله قال : " ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط فقال " لا " ¹

1- أخرجه البخاري في كتاب العلم ح (67) ومسلم في كتاب القسامة ح (29 ، 30 ، 31

2- إسناده قوي. ابن عجلان - واسمه محمد: صدوق. أخرج له مسلم في "صحيحه" متابعة، وباقي السند على شرط مسلم. وأخرجه الترمذي "2627" في الإيمان: باب ما جاء أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والنسائي 104/8، 105 في الإيمان: باب صفة المؤمن عن قتيبة بن سعيد، والحاكم 10/1 من طريق يحيى بن بكير، كلاهما عن الليث، بهذا الإسناد قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: قد اتفقا على إخراج طرف حديث "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ولم يخرجها هذه الزيادة، وهي صحيحة على شرط مسلم، ووافقه الذهبي

"وأورده ابن حبان عن عبد الله بن عمرو برقم "196"، وعن جابر برقم "197"، وعن أنس بن مالك برقم "510".

وعن فضالة بن عبيد عند أحمد 21/6 و22، وابن ماجه "3934" في الفتن: باب حرمة دم المؤمن وماله، وابن منده في "الإيمان" "315". قال البوصيري في "الزوائد": إسناده صحيح، وصححه الحاكم 10/1، 11 على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

و عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري ، في عنقه السيف ، وهو يقول : " لم تراعوا ، لم تراعوا "2)

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فالرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود بالخير من الريح المرسلة

3»

أما طلاقة الوجه : فهو إشراقته في وجوه الخلق وهو ضد العبوس .فقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق "4

3- أخرجه البخاري في كتاب الأدب ح 6034 ، ومسلم في كتاب الفضائل ح 2311 ، واللفظ له . وأحمد في المسند (307/3)

2 - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ح: (2820) ، ومسلم في كتاب الفضائل ح 2307 واللفظ له

3 . - أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ح 6 واللفظ له ، ومسلم كتاب الفضائل ح 2308

4- حديث صحيح، أبو عامر الخزاز مع كونه من رجال مسلم مختلف فيه، وقد وصفه الحافظ في "التقريب" بكثرة الخطأ، وباقي رجاله ثقات، أبو عمران الجوني: هو عبد الملك بن حبيب الأزدي.

وأخرجه أحمد 173/5 عن روح، والترمذي "1833" في الأظعمة: باب ما جاء في إكثار ماء المرقعة، من طريق إسرائيل، كلاهما عن أبي عامر الخزاز، بهذا الإسناد

أورده ابن حبان برقم "523" من طريق عثمان بن عمر، عن الخزاز، به

"و عن أبي جري الهجيمي برقم "521" و"522

وعن أبي ذر بمعناه برقم "474".

ثالثاً : حسن الخلق في الصلة بين الإنسان ونفسه:

وصور السلوك الأخلاقي في هذا القسم كثيرة ، منها : الصبر على المصائب ، والأناة في الأمور ، وإتقان العمل ، وعدم استعجال الأمور قبل أوانها ، هذا كل يدخل في حسن إدارة الإنسان لنفسه وحكمته في تسيير الأمور المتعلقة بشخصه .

رابعاً : حسن الخلق في الصلة بين الإنسان وغيره من المخلوقات

إن حسن الخلق يمتد ليشمل باقي المخلوقات الحية ، فقد أوجب الإسلام الاستقامة في معاملتها ، عن طريق الرحمة والرفق بها ، وتأدية حقوقها الواجبة ، فقد غفر الله لبغى سقت كلبا ، ودخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

بِمَا كَلَبَ يَطِيفُ بَرَكِيَّةٌ¹ كَادِقِدْلُهُ الْعَطَشُ إِذْرَاتُهُ بُغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَوَعَتْهُ مَوْقَهُ أَقْسَمْتَهُ فَعَلَّوْهُ أَبِيهِ " ³

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : -

عَبَتْ أُمَوَةٌ فِي هَرَمَجَجَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَذَخَّتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَهَا ، وَلَا قَتَّهَا إِذْ حَبَّتْهَا ، وَلَا هِيَ رَكَّتْهَا أَتَأْكُلُ مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ .¹

1- الركيبة : البئر

2- الموق : الخف

3- أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ح 3467 ، ومسلم في كتاب السلام ح (2245)

ولقد جمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - قواعد السلوك الكبرى التي ترشد إلى المنهج الخلقى العام والشامل لعلاقات الإنسان : علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بالناس في الحديث الذي رواه الترمذي بإسناد حسن عن أبي ذر وعن معاذ بن جبل رضي الله عنهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " ²

"القاعدة الأولى : " اتق الله حيثما كنت " وهي تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان بربه . هو تقوى الله في كل مكان : ظاهر أو خفي ، أي في العلن والسر ، وفيها تكمن الروح الأخلاقية السامية البعيدة عن النفاق والرياء والسمعة وطلب المدح والثناء .
....

القاعدة الثانية : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " وهي تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان مع نفسه ، ففيها منهج إصلاح وتقويم للنفس البشرية بعد سقوطها بارتكاب رذائل الأخلاق بالعودة إلى محاسن الأخلاق وهذا يدل على أن لمحاسن الأخلاق . الحسنات . قوة سبق على رذائل الأخلاق . السيئة . بعد أن أصاب النفس ما أصابها من أدناس ..

1- أخرجه البخاري "3318" في بدء الخلق: باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ومسلم "2242" في السلام: باب تحريم قتل الهرة، و2022/4 في البر والصلة: باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، كلاهما عن نصر بن علي الجهضمي، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "2336" في المساقاة: باب فضل سقي الماء، وفي "الأدب المفرد" "379"،

ومسلم "2242" أيضاً، والدارمي 330/2، 331، والبيهقي في "السُّنن" 214/5 و13/8 من طريق مالك، والبخاري "3482" في أحاديث الأنبياء: باب 54، ومسلم "2242" في السلام، و2022/4 في البر والصلة، من طريق جويرية بن أسماء، كلاهما عن نافع، بهذا الإسناد.

وخشاش الأرض: هوأمها وحشراتهما، الواحدة: خشاشة. وفي رواية: "من خشيشها" وهي بمعناه، قاله ابن الأثير في "النهاية".

2 - أخرجه الترمذى ح (1987) وقال : هذا حديث حسن صحيح

القاعدة الثالثة : " وخالق الناس بخلق حسن " وهى تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان وسلوكه مع الناس ، أن يكون بالخلق الحسن.¹

الفرع السابع : مصادر الأخلاق الإسلامية

إن الأخلاق الإسلامية آداب ربانية، فمصدر الأساسي الأول لها هو الوحي الإلهي ، قرآنا وسنة ، فهو من وضع أصولها وحدد أساسياتها ، فقد جاء القرآن بآيات تدعو إلى الالتزام بمكارم الأخلاق، كما جاء بآيات أخرى تدمر ذائلها، فالقرآن هو المصدر الأساسي للإلزام الأخلاقي فهو " يعتني ويهتم بتوضيح السمات الأساسية لخلق المسلم ، من الإحسان بالوالدين ، وبذوي القربى ورعاية اليتيم وإكرام الجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ، والخدم والعناية بالفقراء والمساكين وتحرير الرقاب والصدق في القول والإخلاص في العمل وغض البصر وحفظ الفرج والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالرحمة والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأداء الأمانات إلى أهلها واجتناب الموبقات من الشرك والسحر والقتل والزنى والسكر والربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات المؤمنات والتولي يوم الزحف وغيرها من كبائر الإثم وفواحشه إلى غير ذلك من الأخلاق الإيجابية والسلبية الفردية والاجتماعية"²

يقول أبو الأعلى المودودي: النظام الأخلاقي في الإسلام يجعل الوحي المصدر الأوّل للمعرفة الأخلاقية ضمن الإسلام للمعايير الأخلاقية الثبات والخلود . هذه المعايير تفسح مجالاً معقولاً للتكيف والتجديد ، لكنها لا تدع فرصة للتحريفات والاختلافات الواسعة المدى ولا للنسبية ولا للتلقت الأخلاقي ، ولا للتنافر بين عناصر الأخلاق"³.

1- جمال محمد الزكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، ص26.

2 يوسف القضاوي: انظر الخصائص العامة في الإسلام ، ص43 ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط3 1415هـ / 1985 م

3 - أبو الأعلى المودودي : منهج الحياة الإسلامية ، ص38

"و غاية الأمر فإن القرآن يحتوى على النسق القيمي الإسلامي بأبعاده المتعددة ، فهذا المصدر الأول للإلزام الخلقى ، وهو جامع لكل ما تحتاج إليه البشر من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة والحكم البالغة لإصلاح خبايا النفوس وشفاء أمراضها الباطنة وهداية واضحة للصرط المستقيم ، الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وهذا مقتضى

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّوْرِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57] "1

كما جاءت السنة مكمله للقرآن ، فكانت زاخرة بمكارم الأخلاق والآداب التي تمس جميع جوانب حياة الإنسان كأداب الأكل والشرب واللباس والتجمل والنوم والتغطية والدخول والخروج والسفر والعودة والتحية والاستئذان والعطاس والتثاؤب وقضاء الحاجة.... فالسنة مصدر تشريعي لحياة الأفراد والمجتمعات .

كما يعتبر العقل المصدر الثاني للأخلاق الحسنة ، فالعقل السليم يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة السليمة واجتناب الرذائل، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من البراهين العقلية التي تحتاج إلى تدبر وتفكر وإعمال كل ملكات العقل لمعرفة الحكمة في كثير من العبادات والمعاملات كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ اجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ } [المائدة: 90]

كما خاطب الله عز وجل في كثير من الآيات القرآنية أصحاب العقول بقوله " يا أولي الألباب " ومع هذا يظل العقل ناقصاً ، وغير قادر على تحقيق الكمال الإنساني المنشود ومن

1- موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (1/ 101)

ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة ويقوم العقل ، ويرشد أحكامه ، وبذلك تصبح معالم الشرع وتوجيهاته مع صحة النظر العقلي ركائز تتظافر في بناء الكمال الخلقى للإنسان .¹

إن الفضائل الخلقية التي جاء بها الإسلام تميزت بجملة من الخصائص أهمها:

أنها جاءت معللة للأوامر التي أمر بها الله عز وجل كقوله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ } [التوبة:103]

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَحِمُوا أَمْوَالَهُمْ لِيَصَلِّوا إِلَيْكُمُ لَا يَكُنْ أَمْوَالُهُمْ بِالرِّهَابِ وَالرَّهْبَانِ كَالَّذِينَ أَمْوَالُهُمْ مَرْكُومَةٌ لَا يُصَلُّوا إِلَيْكُمُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِلَّا بِأَسْمَاءٍ سَمِيَّةٍ كَثِيرَةٍ لَطَمَتِ الْأُذُنَ الْيَشْرِبُونَ مِنْهَا وَأُولَئِكَ هُمُ الرِّهَابِيُّونَ وَالرَّهْبَانِيُّونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الرِّهَابِيُّونَ وَالرَّهْبَانِيُّونَ) [لقمان:17]

وقوله تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَخُشَوْنَ اللَّهَ عَظِيمًا وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ عَصَى الْيَهُودِ عَصَى كَنْعَانَ كَفَرُوا بِالنَّبِيِّينَ وَالرَّهْبَانِيُّونَ كَفَرُوا بِاللَّهِ عَصَى الْيَهُودِ عَصَى كَنْعَانَ كَفَرُوا بِاللَّهِ عَصَى الْيَهُودِ عَصَى كَنْعَانَ } [النور: 30].

أنها أخلاق وسطية متوازنة²: فالإسلام جاء بالتوازن الأخلاقي جامعاً بين الدنيا والآخرة ، والروح والمادة ، والعقل والقلب ، والحق والواجب بعيداً عن الشهوانية المادية المجردة والرهبانية السلبية المصادمة للفطرة السليمة التي وقعت دائماً بين امتداد فاحش مدمر . الشهوانية . أو تقلص متلف مهلك . الرهبانية . فالقرآن أنكر الشهوانية المادية المجردة فقال سبحانه : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيُلْكَوْنَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَذْطُوبَةٌ } [محمد: 12]

1--جمال محمد الزكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 28)

2- على محمد الصلابي: الوسطية في القرآن الكريم ص432

كما أنكر الرهبانية : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّاهِلَاتِ أَنْ تَخْرُجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلدِّينِ أَمْذُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً هُمْ الْقَائِمَةُ كَذَلِكَ فَصَّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 32]

يقول المودودي : "والإسلام لا يدعو الناس لممارسة الفضيلة فحسب ، وإنما يدعوهم أيضاً ليقوموا الفضيلة ويمحو الرذيلة ، ويدعوهم أيضاً إلى الدعوة إلى الخير ومنع الشر إنه يريد لحكم الضمير أن يسود ، وبوجب على المسلمين ألا يجعلوا دور الفضيلة ثانوياً ودور الشر أولياً في حياتهم والغاية الوحيدة التي تتأسس هذه الأمة من أجل بلوغها هي تحقيق الخيرات وتعزيزها واجتثاث الشرور ومحوها"¹

. كما أنها تمتاز بالواقعية : حيث أنها تراعي بشرية الإنسان فحين يخطئ، تفتح له أبواب التوبة قال تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: 53].

"ولما كان كل ذلك كانت عناية الإسلام موجهة بالدرجة الأولى لتزكية النفس وتهذيبها بتنمية فطرة الخير لغرس فضائل الأخلاق فيها وتهذيب طبائع النفس حتى يتهيأ المناخ النفسي الصالح لتفجير منابع الخير فالإسلام لا يستثنى مجالاً من مجالات الحياة من تطبيق مبادئه الأخلاقية المطلقة الشاملة فيجعل السلطة العليا للأخلاق ، ويؤكد أن المعايير الأخلاقية يجب أن تنظم شؤون الحياة بدلاً من تحكم الشهوات والأنانية والمصالح الضيقة"²

ومن مميزاتها الشمولية : حيث أن الإسلام وسع مجال تطبيق الأخلاق ليحتضن حياة الإنسان من مولده إلى مماته في كل قطاعات الإنسانية المختلفة الداخلية والخارجية أخلاق ،

1- أبو الأعلى المودودي: منهج الحياة الإسلامية ص 39، 40.

2- جمال محمد الزكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ص 35.

للفكر أخلاق ، وللاعتماد أخلاق ، وللقاب أخلاق ، وللنفس أخلاق وللسلوك الظاهر أخلاق
.....

فالأخلاق الإسلامية أخلاق وسطية مستقيمة ، معلة الأوامر ، تمتاز بالواقعية والشمولية.

الفرع الثامن : منهج الإسلام في تكوين القيم الخلقية¹

أولاً : عرض المواقف الخلقية لجذب الانتباه

من أجل جذب انتباه الإنسان وإيقاظ أحاسيسه نحو القيم الأخلاقية ليلزمها في حياته ،
ويهجر الرذائل ويبتعد عنها عرض القرآن الكريم مواقف خلقية كثيرة .

وفي سبيل تحقيق الغرض نفسه ، شرع الله تعالى العبادة، التي تعتبر الأسلوب العلمي

الأمثل، والوسيلة الناجعة للتربية الخلقية

فعبادة الصلاة : تربط الإنسان بالله تعالى و تربيته سلوكياً وعقلياً ، كما أنها تعلمه النظام
والدقة في المحافظة على المواعيد، يقول سبحانه وتعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ نَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ } [العنكبوت :45] وكان من دعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - في افتتاح
الصلاة : " اللهم أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سوء
الأخلاق لا يصرف سيئها إلا أنت "²

1- جمال محمد الزكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (1 / 36).

2- أخرجه مسلم ح (771) عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب، ح/803.

أما عبادة الصوم : فهي تقوي إرادة الإنسان، وتجعله قادرا على ضبط نفسه، ومكافحة الشهوات { لِيُتَّبِعَ الْإِنْسَانَ أَمْرًا وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 183] وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم " ¹

في حين عبادة الزكاة : تربية روحية وارتقاء بالنفس إلى أنفس القيم الأخلاقية كالكرم والسخاء والعطاء... وإبعادها عن الرذائل كالشح والبخل والإفراط ن يقول سبحانه وتعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة : 103]

وعبادة الحج: تعود النفس على بذل الجهد والمال في سبيل الله ، كما تعودها على معان ، وقيم جلية كالاستسلام والتسليم .

1- حديث صحيح، خالد بن مخلد فيه ضعف، وقد توبع، وباقي رجاله على شرطهما، غير المطلب وهو صدوق، إلا أن في سماعه من عائشة خلافاً، قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في "المراسيل" ص128: وروايته عن عائشة مرسله لم يدركها. وقال أبو زرعة: نرجو أن يكون سمع منها.

وأخرجه أحمد 94/6 و90 من طريق عبد الله بن أسامة، و133/6، وأبو داود "4798" في الأدب: باب في حسن الخلق، والبخاري في "شرح السنة" "3501" من طريق يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندري، وأحمد 187/6 من طريق زهير، والحاكم 60م1، والبخاري "3500" من طريق ابن الهاد، كلهم عن عمرو بن أبي عمرو، بهذا الإسناد.

وله شاهد حسن من حديث أبي هريرة عند البخاري في "الأدب المفرد" برقم "284"، وصححه الحاكم 60/1 من طريق آخر عنه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وآخر من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد 220/2 من طريق عبد الله بن المبارك، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ابن حجرية الأكبر، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوم القوام بآيات الله عز وجل لكرم ضريته، وحسن خلقه". وهذا سند صحيح، لأن عبد الله بن المبارك سماعه من ابن لهيعة قدم قبل أن يسوء حفظه. وهو في "المسند" 117/2، و"مكارم الأخلاق" ص: 9 و60 من طريق ابن الهيعة.

وثالث من حديث أبي أمامة عند البخاري في "شرح السنة" "3499" وفي سنده عفير بن معدان، وهو ضعيف، وباقي رجاله ثقات، فهو حسن في الشواهد.

يقول سبحانه: { فَنُفِضَ فِيهِمُ الْحَجَّ فَلَارَافَتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْتُمِ اللَّهُ وَتَزَوُّوا فَايْنَ خَيْرَ الرَّادِ النَّتْقِيِّ وَانْتَقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ { [البقرة: 197].

ويقول سبحانه: { وَمَنْ عَظَّمَ شَعْدَرِ اللَّفْهِائِهِ أَمْ مِنْ تَقْوَى الطُّوبِ { - [الحج: 22]

ثانياً : تمجيد الإسلام لحسن الخلق والحث على

يوجه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة اهتماما كبيرا وتمجيدا عظيما، ويحث على التحلي بمكارم الأخلاق ، ويذم وينهى عن رذائلها .

فمن القرآن الكريم : قوله سبحانه : { وَفِي لَعَلِّي يَقُولُوا لَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ بَيِّنٌ مِّنْهُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَوًّا مَّبِينًا } - [الإسراء: 53]

وقوله سبحانه : { انْفِجَالَاتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْظَمُ بِمَا يَصِفُونَ } [المؤمنون :

[96

وقوله سبحانه : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ انْفِجَالَاتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَوَاةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْإِنْسَانُ صَوًّا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُوْحًا عَظِيمًا } [فصلت: 33، 35]

وقوله سبحانه : { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تَصْعُرْ خَنُوكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي سَبْكِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } - [لقمان 17، 19]

ومن الأحاديث الواردة في حسن الخلق:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائكم خلقاً " ¹

1- إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة الليثي، فإنه صدوق له أوهام، وباقي رجاله على شرط الشيخين.

وأخرجه الآجري في "الشریعة" ص 115 عن الفريابي، عن إسحاق بن إبراهيم، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 250/2 عن عبد الله بن إدريس، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" 515/8، وفي "الإيمان" 17" عن حفص بن غياث، وفي "المصنف" 27/11، وفي "الإيمان" 18" عن محمد بن بشر، وأحمد 472/2، ومن طريقه أبو داود 4682

= في السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، عن يحيى بن سعيد، والترمذي "1162" في الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، من طريق عبدة بن سليمان، والبغوي في "شرح السنة" 3495"، وأبو نعيم في "الحلية" 248 /9، من طريق يعلى بن عبيد، والحاكم في "المستدرک" 3/1 من طريق عبد الوهاب، والقضاعى في "مسند الشهاب" 1291" من طريق حفص بن عياث، كلهم عن محمد بن عمرو، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" 516/8 و27/11، 28، وفي "الإيمان" 20"، وأحمد 527/2، والدارمي 323/2، والحاكم 3/1 من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ، عن سعيد بن أبي أيوب، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في "الصحيحين" وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " أنا زعيم ببیت في ریح الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً وببیت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببیت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه " ¹

ولقد تجلی حسن الخلق في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فعن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : السام عليكم . الموت فَوَقَّالَتِ عَائِشَةُ السَّامَ طَيْمًا وَلَعَنَ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ

وأخرجه البيهقي في "السُّنن" 192/10 من طريق سعيد بن أبي مريم، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، بالإسناد السابق.

وأورده ابن حبان في باب معاشره الزوجين بزيادة: "وخياركم خياركم لنسائهم".

وفي الباب عن عائشة عند ابن أبي شيبة 515/8 و27/11، وأحمد 47/6 و99، والترمذي "2612" في الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، والحاكم في "المستدرک" 53/1، وقال: رواه ثقات على شرط الشيخين، قال الذهبي: فيه انقطاع.

وعن جابر عند ابن أبي شيبة في "الإيمان" "8".

وعن عمرو بن عبسة عند أحمد 385/4.

وعن عبادة بن الصامت عند أحمد 318/5، 319.

1-إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عمرو بن مالك الجنبی فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة. أبو هانئ الخولاني: هو حميد بن هانئ.

وأخرجه النسائي 21/6 في الجهاد: باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، عن الحارث بن مسكين، والطبراني 801/18 عن أحمد بن صالح، والبيهقي 72/6 عن بحر بن نصر الخولاني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكيم، أربعتهم عن ابن وهب، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم على شرط مسلم 61/2 و71 من طريقين عن ابن وهب به، ووافقه الذهبي، مع أن عمرو بن مالك الجنبی لم يخرج له مسلم.

عَلَيْكَ بِالرَّقِيقِ وَإِيَّاكَ وَالْعَفَّ ، أَوْ الْفُحْشَ قَالَتْ أَوْلَمَ تَسْمَعُ مَا قَالُوا قَالَ أَوْلَمَ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ
رَبَّتْ عَلَيْهِمْ سَدَّ جَابِلِي فِيهِمْ ، وَلَا يَسُدُّ جَابِلُهُمْ فِيَّ .. " ¹

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : " خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحسن الناس خلقاً ، ولا مسست خزاً . ثوب من وبر دابة . قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ²

1- أخرجه البخارى صحيح البخاري ،باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ، ولا متفحشاً . ح 6030 ، وفي باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سُدَّ جَابِلُ لَنَا فِي الْيَوْمِ ، وَلَا يَسُدُّ جَابِلُهُمْ فِيَّ . ح / 6401.

2- إسناده صحيح، وشبهان: ثقة من رجال مسلم، ومن فوقه على شرط الشيخين.

وأخرجه مسلم "2309" في الفضائل: باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، من طريق شبينان، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد "255/3"، والبخاري "06038" في الأدب: باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، من طريقين عن سلام بن مسكين، به.

وأخرجه مسلم "2309" والدارمي "31/1" وقد تحرف فيه "حماد بن زيد" إلى "حماد بن يزيد"، والبخاري في "الأدب المفرد" "277"، وأحمد "174/3"، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي" ص32 من طريق حماد بن زيد، وعبد الرزاق "17946" من طريق معمر، وأحمد "195/3"، وأبو داود "4774" في الأدب: باب في اللحم وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والبعوي "3665"، وابن المبارك في "الزهد" "616"، والبخاري في "الأدب المفرد" "277" من طريق سليمان بن المغيرة، والترمذي "201" في البر والصلة: باب ما جاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وفي "الشمائل" "338"، والبعوي "3664" من طريق جعفر بن سليمان الضبعي، وأحمد "265/3" "265/3" من طريق عمارة، خمستهم عن ثابت، به.

وأخرجه أحمد "101/3"، والبخاري "2768" في الوصايا: باب استخدام اليتيم في السفر والحضر، و"6911" في الديات: باب من استعان عبداً أو صبيهاً، ومسلم "2309"، من طريق عبد العزيز بن صهيب، عن أنس.

وأخرجه مسلم "2309"، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي" ص22 من طريق سعيد بن أبي بردة، عن أنس بلفظ: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين..."

قال ابن قيم . رحمه الله . : " جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - بين تقوى الله وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه ، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه ، فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته " ¹

ثالثاً : العلم

ذهب ابن قيم رحمه الله تعالى إلى أن اكتساب الأخلاق يكون في العلم والجود والصبر ، يقول

في مدارج السالكين : " وإنما يدرك إمكان ذلك . أي اكتساب الأخلاق . في ثلاثة أشياء : في العلم ، والجود ، والصبر .

فالعلم : يرشده إلى مواضع بذل المعروف ، والفرق بينه وبين المنكر ، وترتيبه في وضعه مواضعه فلا يضع الغضب موضع الحلم ، ولا بالعكس ، ولا الإمساك موضع البذل ، ولا بالعكس . بل يعرف مواقع الخير والشر ومراتبها وموضع كل خلق أين يضعه وأين يحسن استعماله .

والجود : يبعثه على المسامحة بحقوق نفسه ، والاستقصاء منها بحقوق غيره فالجود هو قائد جيوش الخير .

والصبر : يحفظ عليه استدامة ذلك . ويحمله على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، وعدم المقابلة ، وعلى كل خير " ¹

وأخرجه أحمد "265/3" من طريق عبد العزيز بن صهيب، و"231/3" من طريق عمران البصري، و"124/3" و"256"، والطبراني في "المعجم الصغير" "1100" من طريق حميد، وأبو داود "4773" من طريق إسحاق بن عبد الله أبي طلحة عن أنس.

وأخرجه مختصراً من طرق أخرى: الطبراني "705" و"706" و"707" و"708" و"709".

1 - ابن قيم الجوزية: الفوائد ص75 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . لبنان بدون تاريخ

فالعلم وسيلة لمعرفة أنواع الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام، والتمييز بينها وبين الأخلاق الرذيلة التي نهى عنها، فيتخلق ويلتزم بمكارمها من جود وصبر....، ويتجرد من غيرها .

رابعاً : ضرب الأمثال

يلعب ضرب الأمثال في القرآن الكريم دوراً فعالاً في التأثير على السلوكيات البشرية، وغرس القيم الخلقية والفضائل السامية في الناس . يقول سبحانه : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت: 43]

ويقول سبحانه : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } - [الحشر: 21]

كما تؤكد السنة ذلك. ففي الحديث الشريف ، عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمر طعمها طيب ولا ريح لها ،

1. - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ، (244/2) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة 1419هـ / 1999 م

ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها¹

وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَدِيدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَدِيدِ السَّهَرِ وَالْحُمَى² »

خامساً : الموعظة الحسنة والنصح

الموعظة الحسنة والنصيحة من أهم الوسائل في غرس القيم الإسلامية ، فالإنسان قد يصغى ويرغب في سماع النصح من محبيه وناصحيه . فالنصح والوعظ يصبح في هذه الحالة ذا تأثير بليغ في نفس المخاطب³، يقول سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّلُوبِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس : 57]

1. - أخرجه البخارى ح 5020 ، ومسلم ح 797 ، والترمذى ح 2869 ، وأبو داود ح 4830 وغيرهم

2-أخرجه مسلم (ح 6751)باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج 8، ص20.وأحمد في مسنده (ح 18398).

3-جمال محمد زكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 41)

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من
يخالل " ¹

سادساً : الأسوة الحسنة

يتطلع الإنسان على أن يكون الأفضل، ومن أجل تحقيق هدفه لابد له من نموذج يقتدي
به في أفعاله وتصرفاته، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير نموذج يقتدي به الإنسان
في سلوكاته ومعاملاته. قال سبحانه وتعالى : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} -
[الأحزاب: 21]

1- ذكره الألباني في الصحيحة (927) وعزاه إلى صحيح الترمذي (2497) ، وأحمد (303/2 ، 334) وأخرجه أبو داود
والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه

وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"¹

فإذا نظرت إلى سيرته صلى الله عليه وسلم فتراه كالبحر الخضم تصب فيه أنهار، فخصال الكمال التي توزعت على الأنبياء قبله، التقت أطرافها في شخصه الكريم .

" فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم"²

" ولقد استطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بفضل تلك القدوة أن يحمل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه ، لا بالأقوال فقط وإنما بالسلوك الواقعي الحي ، وقد حرص المسلمون على تتبع صفاته وحركاته ورصدها والعمل بها ، وما ذلك إلا حرصاً منهم على تمثيل أفعاله - صلى الله عليه وسلم -"³ .

1- أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (127,126/4), وأبو داود في (السنة, باب في لزوم السنة/13-15), والترمذي في (العلم, باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدعة, 319/7) - وقال: "حسن صحيح", وابن ماجه في "المقدمة" (15/1), والدارمي (196), وابن حبان في (الموارد-102), وأبو نعيم في "الضعفاء" (ص46) - وقال: "حديث جيد صحيح من حديث الشاميين -"

2- محمد الغزالي ، عقيدة المسلم. دار نهضة مصر الطبعة : الأولى، ج1، ص:196.

3جمال محمد زكي : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 42

الفصل الثالث: أبعاد الاستقامة وآثارها على الفرد والمجتمع

المبحث الأول : أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد

المطلب الأول :إصلاح العقائد

المطلب الثاني:إصلاح نفسي وعقلي

المطلب الثالث: إصلاح تربوي وروحي

المبحث الأول: أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد

توطئة:

إن الهدف الرئيس للاستقامة في القرآن هو إصلاح حال الفرد ، وحتى يصلح حاله لابد من صلاح عقيدته ودينه وأخلاقه وعلاقاته مع غيره .

"قلما كان هو المهيم على هذا العالم كان في صلاحه صلاح العالم وأحواله، ولذلك نرى أن الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراد الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعته وهو النوع كله. فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم، ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه، لأن الباطن محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة، كما ورد في الحديث: "ألا ولن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب"¹، وقد قال الحكماء : الإنسان عقل تخدمه الأعضاء.

ثم عالج بعد ذلك إصلاح العمل وذلك بتقنين التشريعات كلها فاستعداد الإنسان للكمال وسعيه إليه يحصل بالتدرج في مدارج تزكية النفس.

ولنا من تطور التشريع من ابتداء البعثة إلى ما بعد الهجرة هاد يهدينا إلى مقصد الشريعة من الوصول إلى الإصلاح المطلوب إلى ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي عمرة الثقفي أنه قال : "قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال : "قل آمنت بالله ثم استقم"² .

1-إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرج القسمين الأول والثاني: أحمد 270/4 عن يحيى بن سعيد، عن زكريا عن الشعبي، به.

وأخرج القسم الأول منه: أحمد 268/4 و270 و273، والبخاري "2493" في الشركة: باب هل يقرع في القسمة، و"2686" في الشهادات: باب القرعة في المشكلات، والترمذي "2173" في الفتن، والرامهرمزي في "الأمثال" ص104، والبيهقي في "السنن" 91/10 و288، والبعثي "4151"، من طرق عن الشعبي، به

وأخرج القسم الثاني: الطيالسي "788"، وأحمد 274/4، والبخاري "52" في الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم "1599" في المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات، وابن ماجه "3984" في الفتن: الوقوف عند الشبهات، والدارمي 245/2. في البيوع: باب الحلال بين والحرام بين، من طرق عن الشعبي، به

2-حديث صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن أبي السويد، فقد ذكره ابن حبان في "الثقات" 363/5، وقال: يروي عن جده سفيان بن عبد الله الثقفي، روى عن الزهري.

المطلب الأول : إصلاح العقائد

وأخرجه أحمد 413/3 و384/4 . 385 ، والدارمي 296/2، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" 20/4، والطبراني "6398"،

وابن أبي الدنيا في "الصمت" 1، والخطيب في "تاريخه" 370/2 و234/9 و454 من طريق شعبة وهشيم، عن يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن سفيان عن أبيه، وقد تحرف في "الصمت" هشيم إلى: نعيم. وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه أحمد 413/3، ومسلم "38" في الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام، والبخاري "15" من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يارسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم".

حديث صحيح، عبد الرحمن بن ماعز - ويقال: ماعز بن عبد الرحمن ، ويقال: محمد بن عبد الرحمن بن ماعز، كما سيأتي برقم "5700" و"5702" - ذكره المؤلف في "الثقات" 109/5، ورى عنه جمع، أخرج له الترمذي والنسائي، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. عبد الله: هو ابن المبارك.

وأخرجه أحمد 413/3، والترمذي "2410" في الزهد: باب ماجاء في حفظ اللسان، وابن أبي الدنيا في "الصمت" "6" من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه الدارمي 298/2 عن أبي نعيم، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن ابن شهاب، الزهري، بهذا الإسناد. وقد تحرف فيه "ماز" إلى "معاذ"

حديث صحيح، وهو مكرر "5699". أحمد بن إبان : ذكره ابن حبان في "الثقات" 32/8، فقال: أحمد بن أبان القرشي من ولد خالد بن أسيد، من أهل البصرة، يروي عن سفيان بن عيينة، حدثنا عنه ابن قحطبة وغيره ، مات سنة خمسين ومئة، وقد توبع، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن بن معاز ، فقد وثقه ابن حبان وروى عنه.

وأخرجه الطيالسي "1231"، وأحمد 413/3، والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" 20/4، وابن ماجه "3972" في الفتن: باب كف اللسان في الفتنة، والطبراني "6396"، والحاكم 313/4، والبيهقي في "الأدب" "394"0 من طرق عن إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي .

وأخرجه الطبراني "6397"، والخطيب 78/11 من طريقين عن الزهري، به.

1- محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 64.

تعرفنا في الفصل الأول على تعريفات العلماء وتفسيرات السلف الصالح لمصطلح الاستقامة ، وعرفنا أنها توحيد الله عز وجل والتزام أوامره ، واجتناب معصيته ، وعدم الإشراك به ، وإخلاص العمل له .

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: "روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : { تُمُّ اسْتَقَامُوا } لم يشركوا بالله شيئاً .

وروى عنه الأسود بن هلال أنه قال لأصحابه : ما تقولون في هاتين الآيتين { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [فصلت : 30] و { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } - [الأنعام : 82]

فقالوا : استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ؛ فقال أبو بكر : لقد حملتموها على غير المحمل { قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } فلم يلتفتوا إلى إله غيره { وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } { بَشْرِكُوا } { أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ } وهم مهتئون { - [الأنعام : 82]

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر وهو يخطب : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } فقال : استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغبوا روغان الثعالب .

وقال عثمان رضي الله عنه : ثم أخلصوا العمل لله . وقال علي رضي الله عنه : ثم أدوا الفرائض . وأقوال التابعين بمعناها .

قال ابن زيد وقتادة : استقاموا على الطاعة لله . الحسن : استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته .

وقال مجاهد وعكرمة : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى ماتوا . وقال سفيان الثوري : عملوا على وفاق ما قالوا . وقال الربيع : اعرضوا عما سوى الله . وقال الفضيل بن عياض :

زهدوا في الفانية ورجبوا في الباقية. وقيل : استقاموا إسرارا كما استقاموا إقرارا. وقيل : استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً.¹

وقال البيضاوي: " إن الذين قالوا ربنا الله (اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته) ثم استقاموا (في العمل)"²

أما ابن عاشور فقال رحمة الله عليه: " أساس الأعمال الصالحة هو الاستقامة على الحق، على أن تكون وسطا غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط. قال تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} [سورة الفاتحة: 6] وقال: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة: 143] على أن كمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى جانب التشبيه والتمثيل، بل يمشي على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل"³.

فأعظم هدف ترمي إليه الاستقامة هو تحقيق التوحيد والعبودية لله تعالى، فبصرف العبادة لله تعالى وحده تتحقق العبودية، وبالعبودية يتحقق التوحيد، وهي أشرف المقامات بعد التوحيد، قال الله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ إِلَهٌ إِلَّا لَأَعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِنُكْرِي} [طه: 14]

قال الرازي: " أمره بعد التوحيد بالعبودية لأن التوحيد أصل والعبودية فرع والتوحيد شجرة والعبودية ثمرة ولا قوام لأحدهما إلا بالآخر فهذه الآيات دالة على شرف العبودية، وأما المعقول فظاهر وذلك لأن العبد محدث ممكن الوجود لذاته فلولا تأثير قدرة الحق فيه ل بقي في ظلمة العدم

1-القرطبي: تفسير القرطبي (15 / 358)

2- البيضاوي: تفسير البيضاوي (5 / 114)

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير ج24 ص282.

وفي فناء الفناء ولم يحصل له الوجود فضلا عن كمالات الوجود فلما تعلق قدرة الحق به وفاضت عليه آثار جوده وإيجاده حصل له الوجود وكمالات الوجود ولا معنى لكونه مقدور قدرة الحق ولكونه متعلق بإيجاد الحق إلا العبودية فكل شرف وكمال وبهجة وفضيلة ومسرة ومنقبة حصلت للعبد وإنما حصلت بسبب العبودية فثبت أن العبودية مفتاح الخيرات وعنوان السعادات ومطلع الدرجات وينبوع الكرامات.... فالمقامات محصورة في مقامين معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل العهد المذكور في قوله: {وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم}- [البقرة: 40] 1"

والعبادة هي الطاعة، وهي الخضوع للأوامر والنواهي، وهي دعوة الله تعالى إلى الناس جميعا، قال سبحانه وتعالى: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ لِأَيِّ مَا عِبُدُونَ } [العنكبوت : 56]

وقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّيِّنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } - [البقرة : 21]

وقال: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } - [الذاريات : 56]

وهي دعوة الرسل جميعا، قال تعالى: { وَاللَّهُ مَنَّ عَلَى الْبَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَضَعْنَا عَنُقُودَ الْوَدانِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا وَلِيُقَدِّمَ لَكُمْ الْبُرْجَانَ وَمَا يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِنَا وَلِيُقَدِّمَ لَكُمْ الْبُرْجَانَ وَمَا يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِنَا }
لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا تَفْسُقُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ صِلَاحِهَا إِنَّكُمْ خَيْرُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } - [الأعراف : 85]

1- الرازي : مفاتيح الغيب (1 / 203)

وقال: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّيَاطِرَ أَسْرَارًا يَنْشُرُونَ فِيهَا الرِّجَالَ السَّمَرَةَ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا وَمِنَ اللِّبْنِ وَمِنَ النَّخْلِ وَمِنَ التَّمَرِ وَمِنَ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ عَذَابَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف : 73]

وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَلَوْ نَزَّلْنَاهَا بِالسَّمَوَاتِ لَوَجَدُنَّ فِيهَا كُفْرًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف : 65]

وقال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنًا لِلنَّاسِ لِيَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٍ وَلِيُنذِرَ أُمَّمَاتَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف : 59]

وهي دعوة الرسالة الخاتمة، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُي} [الرعد : 36]

وقال: {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الكهف : 110]

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغاية من بعثته، والمقصد من رسالته، هو إرشاد الناس إلى عبادة الله وحده، فقال: " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك

له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم" ¹

فبالعبادة والتوحيد يقوم الدين ، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : 40]

يقول سيد قطب رحمه الله : " لقد رسم يوسف - عليه السلام - بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين ، وكل مقومات هذه العقيدة كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا ..

إن الطاغوت لا يقوم في الأرض إلا مدعيا أخص خصائص الألوهية ، وهو الربوبية. أي حق تعبيد الناس لأمره وشرعه ، ودينونتهم لفكره وقانونه. وهو إذ يزاول هذا في عالم الواقع يدعيه - ولو لم يقله بلسانه - فالعمل دليل أقوى من القول.

وإن الطاغوت لا يقوم إلا في غيبة الدين القيم والعقيدة الخالصة عن قلوب الناس. فما يمكن أن يقوم وقد استقر في اعتقاد الناس فعلا أن الحكم لله وحده ، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده ، والخضوع للحكم عبادة. بل هي أصلا مدلول العبادة. ²

وهي تعتبر جزءا أساسيا لا بد منه لقيام الدين ، وكماله، والمحافظة عليه ، لأنه يشمل باطن الإنسان وظاهره .وهو يوجد بالتصديق، والاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى. خالق الإنسان، والكون، وهذا خضوع باطني، والعبادة خضوع ظاهري يلي ذلك الاعتراف، ويكون أمانة تدل على حصوله في القلب، وهذا الخضوع الظاهري ينقل العقيدة من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب

1-رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عبد الله بن عمر ،ح:5115.وقال أحمد شاكر :إسناده صحيح.

2- قطب : في ظلال القرآن (4 / 1991)

الذي يحس، ويشعر، فتصير العقيدة قوة دافعة لها حرارتها، ولها نورها. فالعبادة هي وسيلة تنقل الإنسان من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية، وهي حال الإحساس والشعور، فتوقد جذوة العقيدة، وتغذيها، وتتغذى بها، وتحببها وتحيا بها.¹

فيكون الإيمان والتوحيد، مقدما على الأمر بالعبادة الظاهرية، قال تعالى في حق موسى عليه السلام: { وَأَنَاخَذُوكَ فَاذْمَعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لِلَّهِ إِلَّا أَطَاعَ نَذِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِنُكْرِي } - [طه : 13 ، 14]

وقال في حق عيسى عليه السلام: { وَاللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ أَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } - [مريم : 36]

وفي حق الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { لَا تَجْمَعَنَّ اللَّائِيهَاتِ آخِرَفَاتُ قَدْ مَنُومًا مَخْنُولًا وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلُغَنَّ عَنكَ الْكُرْهُ أَحْمَاهُ أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقْلُبهَا مَا أُفِّ وَلَاتَنْهَرْهَاهَا وَقَلْبُهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } - [الإسراء : 22 ، 23]

وهذا الترتيب بين الإيمان والعبادة منطقي، لأن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود، واستحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وهذا يقتضي معرفة المعبود أولاً، ثم الانتقال إلى تلك المرحلة التي يمتلئ فيها قلبه بنور الإيمان، وتلبي جوارحه ما في الوجدان طاعة، واستحضارا لجلال الرحمن.²

فالعبادة تابعة للتوحيد، وهي مكملة للإيمان بالله، وأصولها مشتركة بين جميع الأنبياء كاشتراكهم في التوحيد، قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ ذُو حَا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ تَوَلَّادًا فَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الشُّرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ

1- يوسف حامد العالم : المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، دار الحديث بالقاهرة، الدار السودانية بالخرطوم، ص:234،235.

2- يوسف حامد العالم : المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص235، 236.

إِلَيْهِ اللَّهُ يُجْتَبَى إِلَيْهِ مِنْ شَاءَ وَيَهَيَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَيْبٍ وَفَافَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا
 بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ فَلَنْذِكِ فَادَعِ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاهُمْ وَقُلْ أَمْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
 كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْلَلِ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ
 بَيْنَنَا وَاللَّهُ الْعَصِيرُ [الشورى : 13 - 15]

يقول محمد رشيد رضا: "وَأَمَّا الْعِبَادَةُ فَبَعْدَ أَنْ تَكُنْتَ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]

أَوْضَحَ مَعَهَا بَعْضَ الْإِيضَاحِ فِي بَيَانِ الْأُمُورِ الرَّابِعِ الَّذِي شَمَلَهُ أَوْ شَمِلَ أَحْكَامَ الْمُعَامَلَاتِ
 وَسِيَاسَةِ الْأُمَّتِ قَوْلُهُ تَعَالَى : { أَهَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ } [الفاتحة : 6] أَي إِنَّهُ قَدْ وَضَعَ لَنَا صِرَاطًا
 سَيُؤَيِّدُهُ وَيُدْحِذُهُ وَتَكُونُ السُّعَادَةُ فِي الْإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ ، وَالشَّقَاوَةُ فِي الْإِنْحِرَافِ عَنْهُ ، وَهَذِهِ الْإِسْتِقَامَةُ
 عَلَيْهِ هِيَ رُوحُ الْعِبَادَةِ¹

والعبادة هي التي تذكر الإنسان بموقعه الحقيقي في هذا العالم، فقد جبل على الإقبال على
 العاجل من الملهيات والقريب من المنافع، أما غير ذلك فيحتاج فيه إلى تذكير وتنبية، حتى يدرك
 الفرق بين القريب الزائل والبعيد الدائم، فإذا تحقق فيه ذلك، صار أبعد عن الحيوانية، وكان أرقى
 روحا وعقلا.

كما أنها تربط الإنسان بخالقه، وتجعله يتجاوز روابطه الأخرى ، قال تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ
 آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

1- محمد رشيد رضا: تفسير المنار - (1 / 31)

تَرْضَوْنَ مَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَادِّ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة : 24]

فللعادة أصول تقوم عليها، فالأصل الأول هو الصلاة، التي لم تخل منها شريعة من الشرائع السماوية، فهي تقوي نور الإيمان في القلب، وتصونه من الفواحش، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: { اِنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ نَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يُعْطِمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت : 45]

"والصلاة من أعظم شعائر الإسلام التي يطلب أداؤها جماعة، وهي أول ركن من أركان الإسلام، وهي عماد الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن ضيعها فهو لسواها أضيع، وقد أفاض القرآن والسنة بفضلها، ويكفي أن تأتي بعد الإيمان مباشرة، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين، والصلاة من أهم الوسائل للمحافظة على الدين"¹

أما الأصل الثاني فهو الزكاة، وهي عبادة مالية، تلي الصلاة في الترتيب والأهمية، وهي تؤدي بأحد نوعي النعمة وهو المال، فالنعم الدنيوية نعمتان: نعمة البدن، ونعمة المال، والعبادات مشروعة لظهور شكر النعمة بها في الدنيا ونيل الثواب في الآخرة، فكما أن شكر نعمة البدن، بعبادة تؤدي بجميع البدن وهي الصلاة، فشكر نعمة المال بعبادة مؤداة بجنس تلك النعمة، وإنما صار الأداء قرية بواسطة المصرف إليه وهو المحتاج، على معنى أن المؤدي يجعل ذلك المال خالصا لله تعالى في ضمن صرفه إلى المحتاج ليكون كفاية له من الله تعالى، لهذا كان دون

1- يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص238.

الصلاة بدرجة، فإنها قرينة بواسطة البيت الذي ليس من أهل الاستحقاق بذاته، وهذا قرينة بواسطة الفقير الذي هو من أهل أن يكون مستحقاً بنفسه لحاجته.¹

وقد شرعت الزكاة لتطهير نفوس الأغنياء من البخل والجشع والشح، وقلوب الفقراء من الحقد والحسد والغل الذي يتولد بسبب الحرمان والحاجة، وبهذه الفريضة سلمت نفوس المؤمنين من تلك الأمراض النفسية، وسلامة القلوب والنفوس أمر ضروري لحياة المجتمعات والأمم.

قال ابن عبد السلام : وقد تستوي مصلحة الفعلين من كل وجه فيوجب الرب تحصيل إحدى المصلحتين نظراً لمن أوجبها له أو عليه، ويجعل أجرها أتم من أجر التي لم يوجبها. فإن درهم النفل مساوٍ لدرهم الزكاة لكنه أوجب له لأنه لو لم يوجب له لتقاعد الأغنياء عن بر الفقراء فيهلك الفقراء، وجعل الأجر عليه أكثر من الأجر على غيره، ترغيباً في التزامه والقيام به، فإنه قد يؤجر على أحد العاملين المتماثلين ما لا يؤجر على نظيره، مع أنه لا تفاوت بينهما إلا بتحمل مشقة الإيجاب ووجوب العقاب على الترك ولذلك أمثلة: أحدها: أن حج الفرض وعمرته متساويان بحج النفل وعمرته من كل وجه. الثاني: أن صوم رمضان مساوٍ لصوم شعبان من كل وجه، مع أن صوم رمضان أفضل من صوم شعبان، بل لو وقع صوم رمضان في أقصر الأيام وصوم غيره في أطولها لكان صوم رمضان أفضل مع خفته وقصره من صوم سائر الأيام مع ثقلها وطولها.

المثال الثالث: أن الذكر الواجب والمندوب متساويان من كل وجه فإن تكبيرة الإحرام مماثلة لسائر التكبيرات وهي أفضل منها بلا خلاف²

1- أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: أصول السرخسي ، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان ، ط1: 1414هـ/1993م ج (2 / 291).

2-: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي السلام بن أبي القاسم الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت، لبنان، ج- (1 / 24)،

والزكاة تقوي الرابطة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وهي مصلحة ضرورية لحياة الناس، وهي ركن أساسي من أركان الدين، فالدين وضعه الله عز وجل لتحقيق مصالح الدنيا والآخرة .

الأصل الثالث هو الصيام: الذي هو من جنس المشروع شكرا لنعمة البدن، ولكنه دون الصلاة من حيث إنه لا يشتمل على أعمال متفرقة على أعضاء البدن، بل يتأدى بركن واحد وهو الكف عن اقتضاء الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، فإنما صارت قربة بواسطة النفس المحتاجة إلى نيل اللذات والشهوات، فهي أمانة بالسوء كما وصفها الله تعالى به، ففي قهرها بالكف عن اقتضاء شهواتها لابتغاء مرضاة الله تعالى معنى القربة.¹

فيعتبر الصيام تدريبا للإرادة الإنسانية، وضبطا للنفس، فنترفع عن الملذات والشهوات، وتتقرب إلى الله بالتقوى والطاعة، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } - [البقرة : 183]

فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور.²

الأصل الرابع الحج : وهو ركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره العظمى، شرعه الله تعالى بقوله: { إِنَّ أَوَّلَ مَن يَتَوَضَعُ لِلنَّاسِ لِلدَّيْبِ بَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن نَّظَّهُ كَانَ مِن تَوَلَّاهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَلْبُتًا طَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } - [آل عمران : 96 ، 97]

وقد ذكر العلماء بعض الحكم لعبادة الحج ، وفيه من الحكم والفوائد ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن هذه الحكم :

الحكمة الأولى : أنه عبادة لله عز وجل :

1- أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: أصول السرخسي - (2 / 291)

2- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين - (1 / 235)

وكل عبادة لها مقصد عام ، هذا المقصد هو الخضوع والتذلل لله وهذا في جميع العبادات أنها من حكمها العظيمة الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى ، ومتى حصل هذا القصد للعبد وكان خاضعاً متذلاً لربه تبارك وتعالى فإنه حينئذ يعنى بهذه العبادة لأنه يريد أن يحقق هذا القصد فأنت حين تصلي تستشعر هذه الغاية وهو إظهار الخضوع والتذلل لله عز وجل ، وحين تحج وحين تعتمر وحين تطوف بالبيت ...

فإذا كل عبادة مقصدها العام الخضوع والتذلل حتى يظهر فقر العبد لله عز وجل أنه عبد لله كلفه بما شاء سبحانه فليس له أن يعترض على الله عز وجل .¹

الحكمة الثانية : إقامة ذكر الله عز وجل :

إن المتأمل للآيات المتعلقة بالحج ، يجد فيها أهمية الذكر قال - عز وجل - :

{ الْحُجَّاشُهُرَّ مَطُومَاتٍ فَمِنْ فَرَضٍ فِيهِنَّ الْحَجُّ فَلَارَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جَبَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَطْمَعُ اللَّهُ وَتَزَوُّوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لِيَسَّ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَآكُم وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قِبَلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ نِكْرًا } - [البقرة : 197 -

[200

وقال : { وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ لَمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنْتُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } - [البقرة : 203]

وقال : { وَأَنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

لِيَبْهَرُوا أَنْ يُبَدَّلُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَيَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ عَلَى مَنَازِقِهِمْ مِنْ يَوْمَيْ عَرَفَاتٍ وَيَقْرَأُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي بُرُجٍّ مُرْتَفَعَةٍ وَأُذِّنُوا فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ وَاللَّهُ يَخْتَارُ } - [البقرة : 203]

1- محمد سعد اليبوي: شرح كتاب الحج من عمدة الفقه - (1 / 2)

وَأَطَعُوا الْبُدَّسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لِيَقْتَفُوا نَهْجَهُمْ حَوْلِي وَفُوا نُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} - [الحج : 27 -

[29

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله))¹

فهذه الحكمة وهذا المقصد العظيم الذي شرع من أجله الحج كثير من الناس في غفلة عنه ، فهم يرتكبون أفعالا مخالفة لهذا الهدف الجليل . وهو الذكر .

الحكمة الثالثة: أن يستشعر الإنسان ما هو قادم عليه من المصير :

فحين يتجرد من ثيابه التي كان يلبسها يذكره ذلك بالآخرة ، ففي الحج تذكير بالآخرة ، فكأنه يُقال للإنسان إنك في يوم من الأيام ستجرد من ملابسك وستودع هذه الدنيا .²

الحكمة الرابعة : في الحج اجتماع المسلمين :

في الحج وحدة صفوف المسلمين، وجمع كلمتهم ، وهو مقصد عظيم ، كان ظاهراً في فريضة الصلاة ، وفي هذا الاجتماع منافع كثيرة كما قال الله عز وجل : لِيُرِيَهُمْ نِوَاءَ مَنَافِعِهِمْ م وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْهُمَاتٍ { - [الحج : 28]

فقوله عز وجل : منافع) كلمة مطلقة تشمل : المنافع الأخلاقية والدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، ... ، وقد ذكر العلماء - رحمهم الله تعالى - كثيراً من المنافع التي تترتب على الاجتماع في الحج فمنها : تعارف المسلمين على بعضهم ، وعلى أحوالهم ، بالإضافة إلى أن هذا

1- أخرجه أبو داود في سننه، باب في الرُّبَى، ح/1890، وأحمد بن حنبل في مسند، السيدة عائشة رضي الله عنها ح/24396.

2- محمد سعد اليوبي: شرح كتاب الحج من عمدة الفقه - (3 / 1)

الاجتماع مظهرٌ من مظاهر وحدة المسلمين ، لأنهم يظهرّون بلباس واحد ويجتمعون في مكان واحد يدعون رباً واحداً ويقومون بأعمال واحدة ولا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، فهذا مظهر أيضاً من مظاهر اجتماعهم ووحدة كلمتهم¹.

الحكمة الخامسة : في الحج مغفرة الذنوب وابتغاء الثواب :

وهذا أعظم ما يسعى إليه الإنسان فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))²:

1- - محمد سعد اليوبي: شرح كتاب الحج من عمدة الفقه ، بتصرف.(4/1)

2-إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو مكرر ما قبله، عبيد الله بن عمر: هو ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري.

وهو في "الموطأ" 346/1 في الحج: باب جامع ما جاء في العمرة، ومن طريقه أخرجه أحمد 462/2، والبخاري 1773 في العمرة: باب العمرة، ومسلم 1349 في الحج: باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، والنسائي 115/5 في الحج: باب فضل العمرة، وابن ماجه 2888 في الحج: باب فضل الحج والعمرة، والبيهقي 261/5، والبغوي 1843

وأخرجه عبد الرزاق 8799، ومسلم 1349، وابن خزيمة 2513 و 3072 من طرق عن عبيد الله، عن سمي، به.

والحج المبرور: قال ابن عبد البر: قيل: هو الذي لا رياء فيه ولا سُمة، ولا رفث ولا فسوق، ويكون بمال حلال، وقال الباجي: هو الذي أوقعه صاحبه على البرّ، وقيل: هو المقبول، وعلامته: أن يرجع خيراً مما كان ولا يُعاود المعاصي، وقيل: الذي لا يخالط شيء من الإثم، ورجحه النووي، وقال القرطبي المحدث: الأقوال المذكورة في تفسيره متقاربة، وهي أنه الحج الذي وفيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل.

والحج المبرور، يمتثل العبد فيه لأوامر الله ويجتنب نواهيه العامة والخاصة ، و يكون خالصاً لله عز وجل ، متبعاً سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أداء المناسك.

فجزء الحج بينه صلى الله عليه وسلم في قوله: ((من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) فهذا أيضاً مقصد عظيم يسعى إليه المسلمون .

الحكمة السادسة : إحياء سنة الخليل إبراهيم عليه السلام .

يعتبر الحج إحياء لسنة سيدنا إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } وَمَعَهُ السُّعْيُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنبُؤُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَمَا أَصْلَمْتُ لَهُ لُجْبِينَ وَوَلَّيْتَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِإِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا

نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَوَلَّيْتَهُ بُنْيَجٍ عَظِيمٍ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ }- [الصفات : 102 - 111]

وهذه العبادات بالرغم من أنها حق لله تعالى إلا أن مصالحها تعود على الأفراد والجماعة في الدنيا والآخرة، فهي تبث فيهم روح الخير، والفلاح، وتملأ قلوبهم بروح الإيمان، وخشية الله، وتباعد بينهم وبين دنس الفواحش والمنكرات، وتطهر نفوسهم وقلوبهم من الأحقاد والشح والحسد، وتنزع الغل منها وتملؤها بالمحبة والمودة والرحمة، حتى يصيروا كالجسد الواحد كل يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وتقوي فيهم إرادة الأفراد التي يتم الانتصار بها على العدو الأكبر، وهو النفس الأمارة بالسوء ، وتخلق فيهم روح التعارف والتعاون بين مشارق الأرض ومغاريها.¹

1- يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 245.

والعبادات وسيلة للمحافظة على المصلحة العليا وهي مصلحة الدين ، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: " فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك"¹

وبذلك صارت تلك العبادات أركاناً يقوم عليها حفظ الدين، وتعتبر دعائم له، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "ذِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَسِّ شَهْ أَدَّةٍ أَنْ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ."²

وهذه الدعائم بعضها مرتبط ببعض.

وللعبادات آثار كثيرة، فهي تجعل قلب العابد دائم الاتصال بخالقه مما يعطيه قوة وثباتاً وتعلقاً بالله عز وجل وتوكلاً عليه ومن ثم يكفيه الله سبحانه وتعالى ما أهمه، كما قال جل وعلا : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } - [الطلاق: 3].

كما تكون نفسه بعيدة عن الغفلة، مروضة على لزوم الخيرات، لا تتفك عنها رغبة فيها. فتكسبه محبة الله تعالى، وولايته كما قال عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى قال: "من

1- الشاطبي: الموافقات - (2 / 18)

2- إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي "2609" في الإيمان، عن أبي كريب، والآجري في "الشرعية" ص 106 من طريق إسماعيل، كلاهما عن وكيع، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 143/2، والبخاري "8" في الإيمان: باب دعاؤكم إيمانكم، ومسلم "16" "22" في الإيمان: باب بيان أركان الإسلام، والنسائي 107/8 في الإيمان: باب على كم بني الإسلام، وأبو عبيد في "الإيمان" "4" ص 59 وأبو نعيم في أخبار أصبهان "146/1"، والبيهقي في "السنن" 358/1، وابن منده "40" و"148" والبخاري في "شرح السنة" "6"، من طرق عن حنظلة به، وصححه ابن خزيمة برقم "308".

ومن طرق عن ابن عمر أخرجه الحميدي "703"، وأحمد 26/2 و 93 و 120، ومسلم "16" في الإيمان، والترمذي "2609" في الإيمان، وأبو عبيد في كتاب "الإيمان" ص 59، والآجري في "الشرعية" ص 106، وابن منده في "الإيمان" "41" و"42" و"43" و"149" و"150"، والطبراني في "الكبير" "13203" و"13518"، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" 62/3، والبيهقي في "السنن" 367/3، وصححه ابن خزيمة برقم "309". وأورده ابن حبان في صحيحه برقم "1446" في أول كتاب الصلاة.

عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"¹ .
وتكون سبباً في النجاة من الشدائد ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي عليه الصلاة والسلام فقال: "يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟" فقلت: بلى . قال:
"احفظ الله يحفظ ، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة"¹

1- ساق الإمام الذهبي في ترجمة خالد بن مخلد من "الميزان" - بعد أن ذكر قول أحمد فيه: له مناكير، وقول أبي حاتم: لا يحتج به، وأخرج ابن عدي عشرة أحاديث من حديثه استنكرها - هذا الحديث من طريق محمد بن مخلد، عن محمد بن عثمان بن كرامة شيخ البخاري فيه، وقال: هذا حديث غريب جداً لو لا هيبته الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابية لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ، ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد، ولا خرج من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد، وقد اختلف في عطاء، فقيل: هو ابن أبي رباح، والصحيح أنه عطاء بن يسار، ونقل الحافظ في "الفتح" 341/11 كلام الذهبي، وعلق عليه بقوله: قلت: ليس هو في مسند أحمد جزءاً، ولطلاق أنه لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد مردود، ومع ذلك، فشريك شيخ خالد فيه مقال أيضاً، وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدم وأخر، وتقرد فيه بأشياء لم تُتابع عليها،.. ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أنه له أصلاً..

منها عن عائشة أخرجه أحمد في "الزهد"، والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون، عن عروة، عنها، وذكر ابن حبان وابن عدي، أنه تفرد به، وقد قال البخاري: إنه منكر الحديث، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد، عن عروة، وقال: لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد.

ومنها عن أبي أمامة، أخرجه الطبراني والبيهقي في الزهد بسند ضعيف.

ومنها عن علي عند الإسماعيلي في مسند علي.

وعن أنس أخرجه أبو يعلى، والبخاري، وفي سنده ضعيف أيضاً.

وعن حذيفة أخرجه الطبراني مختصراً وسنده حسن غريب.

وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن ماجه "3989" وأبو نعيم في "الحلية" 5/1 مختصراً وسنده ضعيف أيضاً.

والحديث الذي أورده ابن حبان أخرجه البخاري "6502" في الرقاق: باب التواضع، عن محمد بن عثمان بن كرامة، بهذا الإسناد.

كما أنها تكسبه حسن الخاتمة وذلك لأن المؤمن يصبر على أداء الطاعات كما يصير عن المعاصي والسيئات محتسباً الأجر عند الله عز وجل فيقوى قلبه على هذا وتشتد عزيمته ، فلا يزال يجاهد نفسه فيها يُوقِّه اللهُ عز وجل لحسن الخاتمة كما قال جل وعلا: ﴿ثَبَّتْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾- [إبراهيم: 27].

وفي نهاية هذا المطلب نستنتج أن فالاستقامة تؤدي إلى إصلاح العقائد، فقد جاءت داعية إلى توحيد الله تعالى وأمرت بطاعته ، قال الله تعالى: {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَوْ هَيَّأَ لِي سُبُلَ الْإِسْلَامِ وَفِي الْآخِرَةِ} [الأنعام: 161].

وقال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ نَلِكُمْ وَصَّأَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} - [الأنعام: 153]

1- أخرجه الترمذي في سننه، ح/2516، وأحمد بن حنبل في مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ح/ 2669

ح/2763. ح/2804،

المطلب الثاني : إصلاح نفسي وعقلي .

إن الله عز وجل كرم الإنسان وأنزله منزلة رفيعة بما حباه من طاقات عقلية ونفسية، وبما أعطاه من قوام جميل، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} - [غافر : 64] وقال: {خَقَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} - [التغابن : 3]

" اعلم أن الإنسان جوهر مركب من النفس ، والبدن ، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي ، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي .

وتقرير هذه الفضيلة في النفس الإنسانية هي أن النفس الإنسانية قواها الأصلية ثلاث. وهي الاغتذاء والنمو والتوليد ، والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة أو باطنة ، والحركة بالاختيار ، فهذه القوى الخمسة أعني الاغتذاء والنمو والتوليد والحس والحركة حاصلة للنفس الإنسانية ، ثم إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي. وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي

يطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي وهذه القوة من تلقيح الجواهر القدسية والأرواح المجردة الإلهية ، فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل إلى تلك القوى النباتية والحيوانية ، وإذا كان الأمر كذلك ظهر أن النفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم¹

فلم تقتصر عناية الله تعالى على خلق الإنسان بالمظهر القويم، بل تعدت ذلك إلى تزويده بالقدرات اللازمة النفسية والعقلية ودعا إلى استقامتها .

قال الله تعالى: {لِنَّ الدَّيْنِ قَالُوا : رَبَّنَا اللّٰهُ . ثُمَّ اسْتَقَامُوا . فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [فصلت : 30]

يقول سيد قطب رحمه الله "ثُمَّ اسْتَقَامُوا" ... فالاستقامة والاطراد والثبات على هذا المنهج درجة بعد اتخاذ المنهج : استقامة النفس وطمأنينة القلب . استقامة المشاعر والخواجج ، فلا تتأرجح ولا تضطرب ولا تشك ولا ترتاب بفعل الجوانب والدوافع والمؤثرات . وهي عنيقة ومتنوعة وكثيرة . واستقامة العمل والسلوك على المنهج المختار .

وفي الطريق مزلق وأشواك ومعوقات وفيه هواتف بالانحراف من هنا ومن هناك! « رَبَّنَا اللّٰهُ » .. منهج .. والاستقامة عليه درجة بعد معرفته واختياره . والذين يقسم الله لهم المعرفة والاستقامة هم الصفوة المختارة²

إن خلق الاستقامة يحقق في النفس الإنسانية الطمأنينة والراحة، والاعتدال، ويؤدي إلى المحافظة عليها وعلى فطرتها التي خلقها الله عليها، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وقد استبان

1- الرازي : مفاتيح الغيب (21 / 372)

2- قطب: في ظلال القرآن (6 / 3259)

لك أن الفطرة النفسية للإنسان هي الحالة التي خلق الله عليها عقل النوع الإنساني سالما من الاختلاط بالرعونات والعادات الفاسدة، فهي المراد من قوله تعالى: { فَطَرَتِ اللَّائِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } [الروم : 30] وهي صالحة لصدور الفضائل عنها كما شهد به قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَى سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْدُونٍ } - [التين : 4 - 6] فلا شك أن المراد بالتقويم في الآية تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، وأن المراد برده أسفل سافلين انتقال الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة"¹

فقد أفادت الآية أن الله كون الإنسان تكوينا ذاتيا قويا لائقا بنوعه لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات، ويتضح ذلك في تعديل القوى الظاهرة والباطنة بحيث لا تكون إحدى قواه موقعة له فيما يفسده، ولا يعوق بعض قواه البعض الآخر عن أداء وظيفته فإن غيره من جنسه كان دونه في التقويم. وهو متمم لتقويم النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم "إِلَّا إِلَهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيَّ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَيَّ صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَيَّ قُلُوبِكُمْ". وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَيَّ صَدْرِهِ."² فإن العقل أشرف ما خص به نوع الإنسان من بين الأنواع، لأنه هو الذي تصدر عنه أعمال الجسد إذ الجسم آلة خادمة للعقل.

"والذي نأخذه من هذه الآية أن الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكا مستقيما مما يتأدى من المحسوسات الصادقة، أي الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبته التلقينات الضالة والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار أو لو

1-الظاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 58.

2- أخرجه مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذلوا حقه وولاه، ح/6707 باب تحريم جر الذئب خيلاء وبين حد ما يجوز إرخاؤه إليه وملي سده ح/5584، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، ح/4143.

تسلطت عليه تسلطا ما فاستطاع دفاعها عنه بدلائل الحق والصواب، لجرى في جميع شؤونه على الاستقامة، ولما صدرت منه إلا الأفعال الصالحة، ولكنه قد يتعثر في ذيول اغتراره ويرخي العنان لهواه وشهوته، فترمي به في الضلالات، أو يتغلب عليه دعاة الضلال بعامل التخويف أو الإطماع فيتابعهم طوعا أو كرها، ثم لا يلبث أن يستحكم فيه ما تقلده فيعتاده وينسى الصواب والرشد.

ويفسر هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"¹، ذلك أن أبويه هما أول من يتولى تربيته وتثقيفه وهما أكثر الناس ملازمة له في صباه، فهما اللذان يلقيان في نفسه الأفكار الأولى، فإذا سلم من تضليل أبويه فقد سار بفطرته شوطا ثم هو بعد ذلك عرضة لعديد من المؤثرات فيه، أن خيرا فخير وإن شرا فشر، وأقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على الأبوين لأنهما أقوى أسباب الزج في ضلالتهم، وأشد إلحاحا على ولدهما.²

ومنها تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداء في أحسن تقويم. والله - سبحانه - أحسن كل شيء خلقه. فأما الذين يرتكسون بفطرتهم إلى أسفل سافلين ، فيظنون ينحدرون بها في المنحدر ، حتى تستقر في الدرك الأسفل. هناك في جهنم ، حيث تهدر آدميتهم ، ويتمحضون للسفول! فهذه وتلك نهايتان طبيعيتان لنقطة البدء .. إما استقامة على الفطرة القويمة ، وتكميل لها

1. إسناده صحيح على شرط مسلم، والطحاوي في "مشكل الآثار" 162/2 من طريق عبد العزيز بن المختار، عن سهيل بن أبي صالح، به.

وأخرجه الطيالسي "2433"، وأحمد 253/2 و481، ومسلم "2658" "23" في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والترمذي "2138" في القدر: باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، والأجري في "الشرعية" ص194، والبغوي في "شرح السنة" برقم "85"، وأبو نعيم في "الحلية" 26/9، من طرق عن الأعمش، عن أبي صالح، به

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (30 / 375 . 376).

بالإيمان ، ورفع لها بالعمل الصالح .. فهي واصلة في النهاية إلى كمالها المقدر في حياة النعيم .. ولما انحراف عن الفطرة القويمة ، واندفاع مع النكسة ، وانقطاع عن النفخة الإلهية .. فهي واصلة في النهاية إلى دركها المقرر في حياة الجحيم.

ومن ثم تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان .. إنه المرتقى الذي تصل فيه الفطرة القويمة إلى غاية كمالها.

إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها. إنه النور الذي يكشف لها مواقع خطاها في المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين المكرمين.

وحين ينقطع هذا الحبل ، وحين ينطفئ هذا النور ، فالنتيجة الحتمية هي الارتكاس في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين ، والانتهاى إلى إهدار الأدمية كلية ، حين يتمحض الطين في الكائن البشري ، فإذا هو وقود النار مع الحجارة سواء بسواء!¹

فالأصول الفطرية النفسية والعقلية هي التي خلق الله عز وجل وأوجد عليها الإنسان وقد جعلها قويمة ومستوية، لانتظام العالم وعمرانه، أما الأوهام والتخيلات فهي خارجة عن الفطرة ، ولهذا نجد العقلاء متفقين في الحقائق والاعتباريات ولا نجدهم متفقين في الوهميات والتخيلات

يقول ابن عاشور: ... إن الوجود الإنساني العقلي لا يدخل تحت الفطرة منه إلا الحقائق والاعتبارات، ولا يدخل فيه الأوهام والتخيلات لأنها ليست مما فطر عليها العقل ولكنها مما عرض للفطرة عروضاً كثيراً، حتى لازمت أصحاب الفطرة في غالب الأحوال، فاشتبهت بالفطريات، وإنما كان عروضها للفطرة بسوء استعمال العقل وسوء فهم الأسباب، ولذلك نجد العقلاء متفقين في الحقائق والاعتبارات ولا تجدهم متفقين في الوهميات والتخيلات، بل تجد سلطان هذين الأخيرين أشد بمقدار شدة ضعف العقول، وتجد أهل العقول الراجحة في سلامة منها.²

1- قطب: في ظلال القرآن (6 / 3934)

2- الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 59.

وقد حافظ الإسلام على الفطرة النفسية والعقلية الإنسانية القويمة، فحرم كل ما يؤدي إلى خرقها واختلالها، كالقتل والاعتداء على النفس قال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ ظَلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسُوفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا } [الإسراء : 33] وقال: { قُلْ تَعَلَّوْا أَلِيَّ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كَيْفَ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَطَهَّرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ تَعْبَهُونَ } - [الأنعام : 151]

ومن أعظم آثار الاستقامة إصلاح النفوس وحفظها، وحفظ الأسس والضمانات التي من شأنها أن تحمي استمرار النوع الإنساني، " فالإقدام على إتلاف نفس هدم لما أراد الله بناءه، على أنه قد تواتر وشاع بين الأمم في سائر العصور والشرائع من عهد آدم صون النفوس من الاعتداء عليها بالإعدام، فبذلك وصفت بأنها التي حرم الله، أي عرفت بمضمون هذه الصلة.¹"
فهذه التشريعات المقصود منها حفظ النفس وصيانتها ، واستمرار النوع الإنساني، " فالاعتداء إنما يقع على حق الحياة ذاتها ، وعلى النفس البشرية في عمومها. وعلى هذه القاعدة كفل الله حرمة النفس ابتداء. وهناك طمأنينة الجماعة المسلمة في دار الإسلام وأمنها ، وانطلاق كل فرد فيها ليعمل وينتج آمنة على حياته ، لا يؤذى فيها إلا بالحق. والحق الذي تؤخذ به النفس بينه الله في شريعته ، ولم يتركه للتقدير والتأويل. ولكنه لم يبينه ليصبح شريعة إلا بعد أن قامت الدولة المسلمة ، وأصبح لها من السلطان ما يكفل لها تنفيذ الشريعة! وهذه اللفتة لها قيمتها في تعريف طبيعة منهج هذا الدين في النشأة والحركة. فحتى هذه القواعد الأساسية في حياة المجتمع ، لم يفصلها القرآن إلا في مناسبتها العملية.²"

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير - (14 / 74)

2- قطب: في ظلال القرآن (3 / 1232)

ويُقاس صلاح الإنسان ورقبه بصلاح نفسه، وفساده وانحطاطه بفسادها، فالمخاطب من الإنسان هو نفسه، أما الجسد فهو آلة لها، ومظهر تصرفاتها، ففلاحه متوقف على زكائها، وخيبتها في خيبتها، قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا لَهَا مَا فُجِّرَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَاهَا } [الشمس : 7 - 10]

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُمَيْرٍ مَدَانِيٌّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُنْفِهِ « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُ هُنْتَدَبُهَا أَتْ لَا يُطْمَهُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اتَّقَى عَرَضَهُ وَوَقَّعَ فَلْيُشْبِهُهُ مَوْقِعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَى حَوْلَ الْحَيِّ يُوْشِكُ أَنْ تَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمِّيَ أَلَا وَإِنَّ حِمِّيَ اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجِدِّ ضِعْفَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجِدُّ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجِدُّ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ». ¹

وفي صحيح البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو ذَرِّعٍ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا ، عَنْ عَامِرِ بْنِ قَالٍ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُ مَا شَبَّهَ أَتْ لَا يُطْمَهُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اتَّقَى عَرَضَهُ ، وَوَقَّعَ فِي

1- إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح، أخرجه أحمد 270/4، والبخاري "6011" في الأدب: باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم "2586" في البر: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، والبيهقي في "السنن" 353/3، والبيهقي في "شرح السنة" "3459" من طرق عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي، به

وأخرجه أحمد 268/4 و276، ومسلم "2586" "67"، والقضاعي في "مسند الشهاب" "1367"، والبيهقي في "شرح السنة" "3460"، من طرق عن الأعمش، عن الشعبي، به.

وأخرجه الحميدي "919"، والطيالسي "790"، والرامهرمزي في الأمثال ص 84 و85 من طرق عن الشعبي، به.

وأخرجه أحمد 271/4 و276، ومسلم "2586" من طريق الأعمش، عن خثيمة، عن النعمان بن بشير.

وأخرجه بنحوه أحمد 274/4، والطيالسي "793" من طريق سماك بن حرب، والرامهرمزي 84 - 85، والقضاعي "1366" و"1368" من طريق عبد الملك بن عمير، كلاهما عن النعمان بن بشير.

الشُّبُهَاتِ كَرَاخٍ يَوْعَى حَوْلَ الْحَمَى يُوشِكُ أَنَّ يُؤَاقِعَهُ أُلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي
أَرْضِهِ مَحْرَمَةٌ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَدِّ ضِعْفًا إِذَا صَلَحَتْ صَلَاحَ الْجَدِّ كُفُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَدُّ
كُفُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.¹

" وصلاح النفس وهو صفة لها ..خفي كخفائها، وكما أننا نستدل على وجود النفس
وارتباطها بالبدن بظهور أعمالها في البدن، كذلك نستدل على اتصافها بالصلاح وضده بما
نشاهده من أعمالها، فمن شاهدنا منه الأعمال الصالحة وهي الجارية على سنن الشرع، وعلى آثار
النبي صلى الله عليه وسلم حكمنا بصلاح نفسه، وأنه من الصالحين، ومن شاهدنا منه خلاف ذلك
حكمنا بفساد نفسه، وأنه ليس منهم ، ولا طريق لنا في معرفة صلاح النفوس وفسادها إلا هذا
الطريق، وقد دلنا الله تعالى عليه في قوله تعالى: { لَيْسَ سَوَاءَ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ
آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران : 113 ، 114]

فذكر الأعمال، ثم حكم لأهلها بأنهم من الصالحين، فأفادنا أن الأعمال هي دلائل الصلاح،
وأن الصلاح لا يكون إلا بها، ولا يستحقه إلا أهلها²

فهناك إذن تبعة مرتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه؛
توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر على السواء. ومن رحمة
الله بالإنسان أنه لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف وحدهما، بل
أعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موحيات الإيمان، ودلائل
الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله، فيبصر الحق في صورته الحقيقية، وبذلك يندّح له

1- صحيح البخاري . حسب ترقيم فتح الباري - (1 / 20)

1- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام العليم الخبير ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث
للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ط1:1402 هـ 1982 ص96.

الطريق وضوحاً كاشفاً لا خفاء فيه ولا شبهة. أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا هذه الآية: { وَفَسِّ وَمَا سَوَّاهَا (فَأَلَّهْمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس : 7 ، 8] وقف ثم قال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها،

وأنت خير من زكاها»¹، فتزكية النفس هدف من أهداف الرسالات السماوية، وغايتها الارتقاء بالطبائع الإنسانية حتى تصبح أقرب إلى الملائكية، وتخليص الإنسان من سيطرة سلطان الأهواء والشهوات، لتكون الفضائل كالصدق والأمانة، والتواضع والإيثار، والاستقامة ونحوها؛ مثلاً علياً تقود مسيرته في الحياة، وتوجّه سلوكه.²

و من أبرز سمات الاستقامة في القرآن الكريم ، الاعتدال والتوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وأقرب مثال على ذلك العبادات التي تعنى بالجانبين الروحي والمادي في الإنسان، وقد جعلت متنوّعة ومتكرّرة ليبقى المسلم على طهارة روحية متجدّدة تقربه من الله.

وقد ظهرت ميزة الاستقامة و الاعتدال بشكل أوضح في كثير من الآيات القرآنية؛ ففي طائفة منها نجد دعوة للمؤمنين على طلب المنزلتين الروحية والمادية معاً كما في قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص : 77]

وفي طائفة أخرى من الآيات يرشد الله المؤمنين لكي يجمعوا بين طلب الدنيا وطلب الآخرة وذلك في قوله جلّ وعلا: {.فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَقٍ

1- أخرج الطبراني عن ابن عباس .وأخرجه مسلم باب التَّوَدُّدِ مِنْ شَرِّ مَا عَلِمَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْلَمْ. ح/7081، و النسائي ، باب الاستعاذة من العجز، ح/5458، وفي باب الاستعاذة من دعاء لا يستجاب، ح/5538.

2- غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (2 / 64)

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَدْ عَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَصِيبٌ
مِّمَّا كَفَبُوا وَاللَّهِ يُرِيعُ الصَّالِحِينَ { [البقرة : 200 - 202]

فالاستقامة والوسطية بين الروحانية المتطرفة، والمادية المفرطة ، أمر ضروري حقه
الإسلام . وتفرّد به عن غيره، قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..} [البقرة : 143]

. إن الاستقامة هي قوام الحياة الروحية للمؤمن ، تولّد فيه القوّة والنشاط، وتدفعه للقيام
بالمزيد من الطاعات والعبادات والعمل ، ومن ثمراتها خروج المؤمن من الظلمات النفسية والمادية
إلى رحاب الحقّ والحكمة والعمل الصالح.

وقد قال سبحانه وتعالى :{لَٰئِن هَٰذَا الْقُرْآنُ بِبَيِّنَاتٍ مِّنِّي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء: 8 ، 9]

" يهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ،
وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى
وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل
متاعاً واستمتاعاً بالحياة . ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ،
فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء . ولا تسهل وترخص حتى تشيع في
النفس الرخاوة والاستهتار . ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض : أفراداً وأزواجاً ، وحكومات وشعوباً
، ودولاً وأجناساً ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا
تميل مع المودة والشنان؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض . الأسس التي أقامها العليم الخبير
لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم للتي

هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان

ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم

مقدساتها

وصيانة حرمانها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووثام .¹

ومن أهم أسس الاستقامة ومقتضياتها ذكر الله تعالى المقترن بالصحة الفكرية واليقظة الروحية، فيقوى العبد على نزغات الشيطان، وقد اختصَّ السجود بالتركُّر لأن العبد أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: ياويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيتُ فلي النار»².

وفي هذا قال أحد العارفين: [أعلم أنه لا شيء أنكأ على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلته من سجوده، لأنه خطيئته،، فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلته إلا في سجوده، لأنه حينئذ يذكر الشيطان معصيته فيحزن، فيشتغل بنفسه عنك]

1- غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (1 / 445)

2- (أخرجه مسلم ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ح/254، وابن ماجه، ح /1052 باب سُجُودِ الْقُرْآنِ .

المطلب الثالث : إصلاح تربوي وروحي

إن الدين الإسلامي لم يقتصر على الدعوة للإيمان بالله وحسب؛ بل جاء للناس بمنهج تربوي كامل وشامل، لشنّى فروع التربية التي تستند إليها المجتمعات الإنسانية، في عملية التقم والتطور نحو الأفضل، وفي سبيل تحقيق ما يصبو إليه أفرادها من سعادة ونجاح، وطمأنينة وسلام.

فالتربية الروحية نواة التربية الإسلامية وجوهرها، وقد قامت على قواعد قوية، وأسس متينة من شأنها توطيد أواصر الصلة بين المسلم وربّه، وربط أسباب دنياه بأسباب آخرته. وقد رافقتها التربية الأخلاقية كظلاً، ثم أكملتا بالتربية الاجتماعية، وإن أهم أسسها : دوام ذكر الله وتسبيحه، وتلاوة كتابه، والاستقامة على عبادته، والتضرع إليه بالدعاء.

ومن أبرز الدعائم التي قامت عليها تربية الروح في الإسلام:

-الاستقامة والالتزام الكامل بالتوجه نحو الله. قال الله تعالى: {لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَّوَلَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نَزَلًا مِنْ غُورٍ رَحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت

[33 - 30 :

قال أيضاً: {لِنَّ الدَّيْنِ قَالُوا رَبَّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: 13، 14]

وقال أيضاً: {وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا} [سورة الجن: 16]

. فالمستقيم على عبادة الله والسائر ضمن تعاليمه، يحصل على الدعم الروحي في رحلته الحياتية، حيث تظلمه العناية الربانية، وتُسحر له الملائكة لتيسير أموره وحفظه، وكذلك في رحلة الآخرة.

"والاستقامة هي المسار الصحيح للإنسان في حياته العملية فيمّا رضي الله عنه تعبدياً، وبما يُسعد مجتمعه فكرياً أو مادياً أو جهداً عملياً. وأعضاء مجتمع الاستقامة هم أهل الله وخلفاؤه في الأرض، تحوطهم العناية الربانية في الدنيا والآخرة، وتحفُّ بهم ملائكة الرحمة بالبشائر والاستغفار، والرعاية الكريمة؛ قلوبهم واثقة بالله، مطمئنة به، لا تعرف الخوف إلا منه عز وجل."¹
جاء في صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؛ قال: قل آمنت بالله، ثم استقم»².

فالله عز وجل يُسخر ملائكة الرحمة للمؤمن المستقيم لتلهمه الحق، وترشده إلى طريق الخير والصلاح، ولتكون معه في وحشة القبر تؤنسه، وتزيل عنه الروع من أهوال القيامة، قال بعض

1-غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (1 / 474)

2-تقدم تخريجه.ص 247

الصالحين: [إن الملائكة تنتزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة، ألا تخافوا من هول الموت ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعده، وإنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها، فلا تهولنك فإنما يرد بها غيرك]. وقيل أيضاً: [البشرى للمؤمنين المستقيمين في ثلاثة مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث].

و الصبر على تكاليف الاستقامة أمر عسير، ولذلك يستحق الصابرون عند الله صحبة الملائكة وولاءهم وموتتهم، وبشائرهم بالجنة التي فيها ما تشتهي أنفسهم وما يدعون، والتي اختارها تعالى داراً لإقامتهم: {زلاً من غفور رحيم} فهي من عند الله أنزلهم فيها بمغفرته ورحمته.

لقد حمل المستقيمون لواء التوحيد فاستحقوا تكريم الله عز وجل، فأحسن كلمة هي كلمة التوحيد، التي تصعد في مقمة الكلم الطيب إلى السماء، إذا اقترنت بالعمل الصالح، فقد كان الحسن رضي الله عنه إذا تلا هذه الآية { وَبَيْنَ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } - [فصلت : 33] قال: (هذا الداعي إلى الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه)¹.

"الصدارة في الإسلام للدعاة المستقيمين، فهم أشرف، وأحب الخلق إلى الله، يدعون الناس إلى الإيمان بأقوالهم وأفعالهم، فهم بصائر الأفئدة ومنازل الهدى.

قال الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَضَىٰ نَحْبِهِ وَمِنْهُمْ مَن يَتَذَكَّرُ وَمَا يَدَّبُّوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب : 23 ، 24]

1- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م ، (21 / 469)

"لقد علم الله جلّ وعلا أن هذه الخليفة البشرية لا تُصاغ صياغة سليمة، ولا تتضح نضجاً حقيقياً، ولا تصحّ ولا تستقيم على منهج إلا بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية، التي تُحفر في القلوب، وتُنقش في الصدور وتأخذ من النفوس، وتعطي في معترك الحياة وملتقى الأحداث. لقد كانت مرحلة عجيبة حقاً تلك التي قضاها المسلمون أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مرحلة اتصال السماء بالأرض اتصالاً مباشراً ظاهراً، مُبلّوراً في أحداث وكلمات، فكان كلُّ مؤمن يبيت وهو يشعر أن عين الله ترقبه، وأن سمع الله يناله، وأن كلَّ كلمة منه وكلَّ حركة، بل وكلَّ خاطر قد يصبح مكشوفاً للناس ويتنزّل في شأنه قرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كلُّ مؤمن يحسُّ الصلة القوية التي تربطه بربّه، فإذا أصابه أمر أو واجهته معضلة انتظر أن تفتح أبواب السماء لينتزل منها حلٌّ لمعضلته، أو فتوى في أمره، أو قضاء في شأنه".¹

فصلة المؤمن بخالقه صلة مستقيمة قوية، في السراء والضراء، في العسر واليسر، صلة تعطيه كوابح تضبط عواطفه، فلا طغيان في حال الفرح، ولا يأس في حال الحزن، بل اتزان وسكينة ورضاً بقدر الله تعالى خيره وشره.

وهذه الصلة تزيد وتقوى بالتعبّد والخشوع والتقرب من الله عزّ وجل، فإذا قويت تذكّر المؤمن خالقه في جميع الأحوال، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنه : «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»².

والاستقامة في القرآن الكريم تصوّر القيم الثابتة والسنن الباقية، التي لا تنتهي بانتهاء الحدث، ولا تنقطع بذهاب الأشخاص، بل تبقى قاعدة ومثلاً لكلّ جيل، وتغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع

1-غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (1 / 477).

2-أخرج أحمد، وعبد بن هيد في مسنده والترمذي وحسنه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وفي الأسماء والصفات عن ابن عباس .

و أسماء الأشخاص.

كما أن للاستقامة أسس ومقومات تقوم عليها وأهمها ذكر الله تعالى وحسن الصلة به، فهو الباب الذي يلججه المؤمن للوصول إلى رحاب المعرفة الإلهية ، قال الله تعالى: {يَأْتِيهِمُ الْآيَاتُ بَدْرًا وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ كَافِرُونَ} [البقرة: 242] وَبِحُورٍ مُّجُورٍ وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا حَيًّا هُمْ مِمَّنْ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعْلَاهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا { [الأحزاب: 41، 44]

وقال: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانكروا لله قِيلًا وَقُودًا وَعَطَىٰ جُزُؤِكُمْ فَإِنَا اطْمَأْنَنُ فَأَقْبُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا { [النساء آية 103]

"و ذكر الله تعالى هو قوام الحياة الروحية، وهو العنصر الفعّال الذي يتفاعل داخل كيان الذاكر، ويبتدح مع ذرات القلب ليتحوّل إلى طاقة نورانية رباتية، تولّد في روح المؤمن القوة والنشاط، وتدفعه للقيام بالمزيد من الطاعات والعبادات والعمل المنتج، وهو عطاء مستمر لا ينقطع، ومن ثمراته خروج المؤمن من الظلمات النفسية والمادية إلى رحاب الحق والحكمة والعمل الصالح، وهذا من رحمة الله بعباده وهو أرحم الراحمين".¹

إن عناية الله بالإنسان لتشير إلى أن له شأنًا عند الله ، ووزنا في نظام هذا الوجود. وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق ، سواء في تكوينه الجسدي البالغ الدقة والتعقيد ، أم في تكوينه العقلي الفريد ، أم في تكوينه الروحي العجيب، الذي ينتكس به إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الاستقامة على طريق الله تعالى .

1- غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (1 / 448)

"وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني. فهو مهياً لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين. كما تشهد بذلك قصة المعراج .. حيث وقف جبريل - عليه السلام - عند مقام ، وارتفع محمد بن عبد الله - الإنسان - إلى المقام الأسنى.

بينما هذا الإنسان مهياً - حين ينتكس - لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط : «ذُمَّ رَبَّنَاهُ أَسْفَى سَافِلِينَ» .. حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم ، لاستقامتها على فطرتها ، والهامها تسبيح ربها ، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى. بينما هو المخلوق في أحسن تقويم ، يجحد ربه ، ويرتكس مع هواه ، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» .. فطرة واستعدادا .. «ذُمَّ رَبَّنَاهُ أَسْفَى سَافِلِينَ» .. حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه ، وبينه له ، وتركه ليختار أحد النجدين.

«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» .. فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة ، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح ، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها ، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال. فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْدُونٍ» دائم غير مقطوع¹.

هؤلاء المستقيمين قد زرعت في أعماق نفوسهم البشرية غريزة الخوف من الله تعالى، غير أن التربية الإيمانية نظمت هذه الغريزة، حتى تبقى ضمن إطارها الصحيح ليعمر بها قلب المؤمن بتقوى الله تعالى واستشعار عظمته وهيئته. والخوف من الله نوع من سمو الروحي الذي يقرب الإنسان من خالقه سبحانه، فتراه كلما ازداد منه خوفاً ازداد قرباً إليه. فالمؤمن الوجل من الله يخشى أن يخالف أوامره، ولا يغتر بالكثير من الأعمال والقربات التي يقوم بها ابتغاء وجهه؛ بل يبقى خائفاً من عدم رضا الله عنها، وعدم اختتامها بخاتمة القبول،

1-قطب: في ظلال القرآن (6 / 3932)

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون آية 61.60].

المبحث الثاني : أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع
المطلب الأول :إصلاح خلقي اجتماعي
المطلب الثاني: إصلاح الأمة .

المطلب الأول :إصلاح خلقي اجتماعي

إن العمل بالاستقامة يحقق الإصلاح الأخلاقي، فهي تعني التحلي بكل فضيلة، والانتهاز عن اقتراف كل رذيلة " وإذا كان الإسلام قد جاء ليقوم ما هو معروف من أخلاق ، فإنه أيضاً جاء بمجموعة من الفضائل تتميز بأنها أخلاق معللة مفهومة ، ليست تحكيمية مجردة من أي تفسير ... أخلاق وسطية متوازنة جامعة بين الدنيا والآخرة ، والروح والمادة ، والعقل والقلب ، والحق والواجب ... أخلاق واقعية تراعي حالة الإنسان أخلاق تمتاز بالشمولية في مجال تطبيقها.... أخلاق لها أهمية بالغة في ارتقاء السلوك الفردي وارتقاء القدرة المعنوية للأمم والشعوب كما أن لها الأهمية البالغة كونها ميزان للأفعال والتروك والتفاضل .

ولأهمية الأخلاق فقد عدها الدين ركن من أركانه لا يقوم إلا به فقد سئل - صلى الله عليه وسلم - ما الدين ؟ قال : " حسن الخلق "¹.

ولذلك نجد أن أهمية ما يميزها أن مصدرها " الوحي " فهي قيم ثابتة ومثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه ، وأنها أخلاق عملية هدفها التطبيق الواقعي وأن مصدر الإلزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى "².

1- أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً . وقال ابن عبد البر : متصل الإسناد من طرق صحاح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم . -

2.-جمال محمد زكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 2)

ولذلك قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة

قال : " تقوى الله وحسن الخلق " ¹

فإن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا حياة راقية ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال ، ومتى فقدت الأخلاق ، تفكك أفراد المجتمع ، وتصارعوا ، وتناهبوا مصالحهم ، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار . وقد أولى الإسلام الأخلاق الأهمية البالغة ، ولهذا جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم . قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} وقال تعالى: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِكَّ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا أَصْحَابُونَ }

" بل إن الإسلام يخضع الأعمال العلمية للمبادئ الأخلاقية، سواء كان ذلك في مجال البحث أو في مجال النشر لتوصيله للناس. ولقد اهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لا بد منه لدوام

1-أخرجه الترمذي "2004" في البر والصلة: باب ما جاء في حسن الخلق، عن أبي كريب محمد بن العلاء، والحاكم 324/4 من طريق سهل بن عثمان، كلاهما عن عبد الله بن إدريس، بهذا الإسناد.

قال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن ماجة "4246" في الزهد: باب ذكر الذنوب، من طريق هارون بن إسحاق وعبد الله بن سعيد، والبغوي في "شرح السنة" "3498" من طريق أحمد بن عبد الله بن حكيم، ثلاثتهم عن ابن إدريس قال: سمعت أبي وعمي يذكران عن جدي ... بهذا الإسناد.

وعم ابن إدريس هو داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي أبو يزيد، وضعفه الحافظ في "التقريب" لكنه متابع بأخيه إدريس.

وأخرجه أحمد 291/2 و 392 من طريق المسعودي، و 442/2 عن محمد بن عبيد، والبغوي في "شرح السنة" "3497" من طريق أبي نعيم، ثلاثتهم عن داود بن يزيد عم عبد الله بن إدريس، عن أبيه يزيد جد ابن إدريس، بهذا الإسناد. ولفظ "عن أبيه" سقط من إسناد أحمد 291/2، فوقع فيه: عن داود بن يزيد، عن أبي هريرة.

الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية ، فالإنسان -دائماً -بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية ، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره . إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع ، وساد فيه الخيانة والغش ، والكذب والسرقة ، وسفك الدماء ، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها ، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس ، فلا محبة ولا مودة ، ولا نزاهة ولا تعاون ، ولا تراحم ولا إخلاص . إنه بلا شك سيكون المجتمع جحيماً لا يطاق، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الغير، ويطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأناية والانتقام"¹

قال الله تعالى : { وَإِذْ وَلَّي سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِقَ آوِيَهُكَ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ } -[البقرة : 205]

وتمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية وليست مثالية ، كما أنها تؤكد حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن فعله ، وتتميز أيضاً بأنها إيجابية شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو ، وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان .

كما أن الإسلام شرع أحكاماً لحماية المجتمع من التردّي الخلفي الذي يؤدي إلى الهلاك ، وذلك واضح في العقوبات الحدية والتعزيرية .

كما أنها تعتمد على أهداف العقيدة الإسلامية باعتبار أن العقيدة الإيمانية معيار توزن عليه الأعمال والأقوال وكافة التصرفات ، لحفظ كرامة الإنسان وصيانتها وتحقيق سعادته في حياته الدنيا والآخرة .

1- الأخلاق في الإسلام - (1 / 13)

والأخلاق الإسلامية لا تصدر عن مصلحة مؤقتة ذاتية ، ولما كانت الأخلاق تعتمد على أصل الشعور بها عند الإنسان ، بحيث يترجم عنها في صورة أفعال أو انفعال أو لفظ ، فإن الإسلام يجعل الإنسان الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق ، وهذه الأخلاق تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته ، وقدراته ، وما سخر له في السموات والأرض ، وبما أنزل عليه من كتب وما أرسل إليه من رسل ، وبذا تتحقق كرامة الإنسان ، ويتهيأ بها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة .

ولذلك كانت المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية تنحصر كلها في حفظ حياة الإنسان وهي : المحافظة على الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال . وجاءت الشريعة بوسائل للحفاظ عليها حسب أهميتها وتتمثل في الحفاظ على الضروريات والحاجيات والتحسينات .

والهدف من ذلك كله أن يعرف الإنسان الغاية من خلقه وهي معرفة الله عز وجل ولزوم موقف العبودية له حيث ينال بذلك الخلود في جناته وظل مرضاته وهذه هي رابطة الحياة الآخرة بالدنيا¹

وقد جاءت الأخلاق في منهج العقيدة الإسلامية على أسمى درجات سمو والارتقاء لأن الله سبحانه وتعالى جعل " المثل البشري الأعلى " وهم الرسل في التخلق بما أمر ، وجعلهم خير قدوة وأحسن أسوة لقومهم وللناس أجمعين .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيارهم خيارهم لنسائهم"²

1- جمال محمد زكي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - (1 / 14)

2-إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة الليثي، فإنه صدوق له أوهام، وباقي رجاله على شرط الشيخين.

وأخرجه الأجرى في "الشريعة" ص 115 عن الفريابي، عن إسحاق بن إبراهيم، بهذا الإسناد.

والاستقامة في الأخلاق تعني التحلي بكل الفضائل الخلقية التي من شأنها إصلاح أخلاق الفرد، وبصلاح أخلاقه يصلح حاله،"قالجري على هذه المكارم وتلك المحاسن ، لهو من أوضح العلامات وأبلغ الدلالات على أن الشرع الإسلامي يقصد إلى ربط صلاح الدنيا بصلاح

وأخرجه أحمد 250/2 عن عبد الله بن إدريس، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" 515/8، وفي "الإيمان" 17" عن حفص بن غياث، وفي "المصنف" 27/11، وفي "الإيمان" 18" عن محمد بن بشر، وأحمد 472/2، ومن طريقه أبو داود 4682

في السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، عن يحيى بن سعيد، والترمذي "1162" في الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، من طريق عبدة بن سليمان، والبعوي في "شرح السنة" 3495"، وأبو نعيم في "الحلية" 248 /9، من طريق يعلى بن عبيد، والحاكم في "المستدرک" 3/1 من طريق عبد الوهاب، والقضاعي في "مسند الشهاب" 1291" من طريق حفص بن عياث، كلهم عن محمد بن عمرو، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" 516/8 و27/11، 28، وفي "الإيمان" 20"، وأحمد 527/2، والدارمي 323/2، والحاكم 3/1 من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ، عن سعيد بن أبي أيوب، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في "الصحيحين" وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وأخرجه البيهقي في "السُنن" 192/10 من طريق سعيد بن أبي مريم، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، بالإسناد السابق.

وسيوورده المؤلف في باب معاشره الزوجين بزيادة: "وخياركم خياركم لنسائهم."

وفي الباب عن عائشة عند ابن أبي شيبة 515/8 و27/11، وأحمد 47/6 و99، والترمذي "2612" في الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، والحاكم في "المستدرک" 53/1، وقال: رواه ثقات على شرط الشيخين، قال الذهبي: فيه انقطاع.

وعن جابر عند ابن أبي شيبة في "الإيمان" 8".

وعن عمرو بن عبسة عند أحمد 385/4.

وعن عبادة بن الصامت عند أحمد 318/5، 319. أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان

(11/5) رقم 2612 . 2

الآخرة. فهذه السمائل والقيم هي جوهر دعوة الإسلام الإصلاحية لهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"¹

ولقد هيا الإسلام بأحكامه جوا تتفرخ فيه مكارم الخلال ومحاسن الأعمال، هو جو من الطهر والعفاف والنقاء، تحرسه شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحميه شعيرة الحسبة والدعوة إلى الله، لتكون أساسا للمعاملة بين الصغير والكبير، والغني والفقير، والولي والمولى، والراعي والرعية، وجعل الإسلام الدعوة إلى هذا الخير كله من المؤهلات التي استحققت به أمة الإسلام أن تكون خير أمة أخرجت للناس"²

ومن أجل إصلاح أخلاق الفرد دعا القرآن الكريم إلى خلق الاستقامة والتي تعني الاعتدال والتوسط في الأخلاق فدعا إلى تزكية النفس الصبر والتقوى والعدل والإحسان إلى الوالدين والوفاء بالعهد..... ونهى عن الظلم والتكبر.

فالتربية الأخلاقية في الإسلام تقوم على تزكية النفس، التي تعني التحلي بكل خلق فاضل لتصبح النفس طاهرة نقية، ويكون صلاحها في الفرد عنوان صلاح المجتمع. قال الله تعالى: { وَنَسِئَ وَمَا سَوَّاهُ اللَّهُ مَهَّأًا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } [سورة الشمس: 7، 10]

"من خلال هذه الآيات الكريمة تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بأوضح معالمها، فالكائن البشري بنظر الإسلام مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعدادات، مزدوج الاتجاهات، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه، مزوّد باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، وهو قادر على التمييز بين ما هو

-أخرجه أحمد في مسنده (381/2) و صححه أحمد شاکر. انظر تحقيق المسند (80/18) ح 8939.

2- عبد العزيز مصطفى كامل، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1: 1415 هـ 1995 م، ص1، 471.

خير وما هو شرٌّ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشرِّ، وهذه القدرة كامنة فيه يعبر عنها القرآن الكريم بالإلهام تارة في قوله تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }، وبالهداية تارة أخرى في قوله تعالى: { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } - [البلد آية 10] فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية، إنّما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجِّهها هنا أو هناك، ولكنّها لا تخلقها خلقاً لأنها مخلوقة بالفطرة، وكائنات بالطبع، وكامنة بالإلهام.¹

فمن رحمة الله بالإنسان أنه لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوّة الواعية المالكة للتصرّف وحدهما، بل أعانه بالرسالات الّتي تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن دلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله، فيبصر الحقّ في صورته الحقيقيّة، وبذلك يتّضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لا خفاء فيه ولاشبهة. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا قوله تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } وقف ثمّ قال: اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليُّها ومولاها، وأنت خير من زكّاها»²،

فتزكية النفس هدف من أهداف الرسالات السماوية، وغايتها الارتقاء بالطبائع الإنسانية حتّى تصبح أقرب إلى الملائكية، وتخليص الإنسان من سيطرة سلطان الأهواء والشهوات، لتكون الفضائل كالصدق والأمانة، والنوّاضع والإيثار، والاستقامة ونحوها؛ مثلاً علياً تقود مسيرته في الحياة، وتوجّه سلوكه بحيث لا يخرج عن إطار التربية الأخلاقية.³

1-غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (2 / 62)

2-أخرجه مسلم في صحيحه، باب التَّوَهُّدِ مِنْ شَرِّ مَا عَلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْطَى. ح/7081، والنسائي في سننه ، باب:الاستعاذة من العجز، ح/5458، وفي باب: الاستعاذة من دعاء لا يستجاب، ح/5538، وأحمد بن حنبل ، في مسند زيد بن الأرقم، ح/19327.

3--غازي صبحي: القرآن منهاج حياة - (2 / 62)

ومن أجل إصلاح الأخلاق دعا القرآن الكريم إلى خلق ميزته الوسطية والاعتدال هو خلق الصبر، فأكثر الأخلاق الحميدة نابعة من خلق الصبر، لأنه يكسب صاحبه قوة الإرادة، فثبت أمام قوتين من شأنهما تضعيف النفوس القوة الشهوية والقوة الغضبية، يقول الطاهر بن عاشور: "ومعظم الفضائل ملاكها الصبر إذ الفضائل تتبعث عن مكارم الخلال، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة وكبح زمام النفس

عن الإسامة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالاً أو عما يورث نقصاناً فكان الصبر ملاك الفضائل فما التحلم والتكرم والتعلم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها إلا من ضروب الصبر. ومما يؤثر عن علي رضي الله عنه: الشجاعة صبر ساعة.

وقال زفر بن الحارث الكلابي يعتذر عن انهزام قومه:

سقيناهم كاساً سقونا بمثلها ...

ولكنهم كانوا على الموت أصبراً

الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له، فقال عز من قائل { وَجَعَلْنَاهُمْ لِدُيْمَةٍ يُهَوِّنُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَوَّوْا } [السجدة: 24]

وقال: وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَوَّوْا { [الأعراف: 137]

وقال: {إِلَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} - [البقرة: 153]

وأنت إذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحداً من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة. فإذا صار

الصبر خلقاً لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان فظهر وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك".¹

الصَّبْر هو الثمن الذي يدفعه المؤمن لينال به البشرى من الله تعالى بالرضا والثواب. ومن تخلَّق بالصَّبْر وحسن التسليم لله مؤمناً بأن الأقدار كلها بيد الله، وإليه ترجع الأمور كلها، فهو ممن مَنَّ اللهُ تعالى عليهم وجعلهم من القوم المهتدين؛ الذين يملكون مفاتيح الخير للناس جميعاً، والذين يبنون ويعمرون، ويتحولون إلى مشاعل من العلم والحكمة تضيء الطريق أمام البشرية جمعاء، فهؤلاء لهم من ربهم الجبَّة نِعَم الثواب وحسنت مرتفقاً .

. إن التزام أحكام الشريعة وتبليغها للناس يحتاج إلى الكثير من الصَّبْر والأناة والحلم

والأخلاق الإسلامية تمتاز بالسماحة وسهولة المعاملة والاعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، فقوام الصفات الفاضلة هو الاعتدال والاستقامة.

1- التحرير والتنوير - (1 / 462، 463)

المطلب الثاني : إصلاح الأمة

إن المقصد العام الذي ترمي إليه أحكام الشريعة الإسلامية عموماً بما فيها الاستقامة هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه، قال تعالى: { إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَدْعَيْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود : 88]

وقال: { وَإِذْ وَلاي سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا أَوْ لِيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفُسَادَ } [البقرة : 205]

يقول الطاهر بن عاشور : " إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان .

ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه "1

ولقد أورد الله تعالى أدلة على أن صلاح الحال في هذا العالم منة كبرى من بها على عباده الصالحين جزاء لهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ التَّوْرَةِ أَنَّ الْأَرْضَ لَنَا عِبَادِي الصَّالِحِينَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }- [الأنبياء : 105 - 107]

وقال: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حَتَّىٰ حُفَّتْ رُءُوسُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَهُمْ مِّنْ بَيْنِهِمْ الَّذِينَ ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَلِّغَهُمْ مِّنْ بَيْنِهِمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّمًا يُعْتَبِرُونَ لِيَأْتِيَهُمْ مِّنْ قَبْلِ اللَّهِ نَذِيرٌ } [الأنبياء : 105 - 107]

1- الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص163.

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمِن كَفَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْلَادِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {-} [النور : 55]

وقال: { مَنْ عَلِمَ صَلَاحًا مِنْ نَكَرٍ أَوْ أُشْرَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَدُ حَيِّئِهِ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {-} [النحل : 97]

فلما كان صلاح العالم مقصود للشارع امتن الله تعالى به على عباده الصالحين.

"ولقد علمنا أن الشارع ما أراد من الإصلاح المنوه به مجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل كما قد يتوهم بل أراد منه صلاح أحوال الناس، وشؤونهم في الحياة الاجتماعية فإن قوله تعالى: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا أَوْ لِيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ {-} [البقرة: 205]

أنبأنا بأن الفساد المحذر منه هناك هو إفساد موجودات هذا العالم وأن الذي أوجد هذا العالم وأوجد فيه قانون بقائه لا يظن فعله ذلك عبثاً وهو يقول: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ إِلَهِ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ {-} [المؤمنون : 115 ، 116]

1»

وملخص الإصلاح يتمثل في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي عمرة الثقفي أنه قال: قلت يا رسول الله قل لي الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : " قل آمنت بالله ثم استقم "2

فقد حقق القرآن الكريم بتعاليمه التقدم والرفي وال عمران للمسلمين ، كما مكّهم من قيادة البشر " وأول ما كان يخطر على بالهم من نعمة الله عليهم ، هو وجودهم ذاته كأمة .. فماذا كان أولئك العرب والأعراب قبل أن يأتيهم الإسلام؟ إنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

1-الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 163.

2- تقدم تخريجه ص 247

لم تكن الدنيا تعرفهم ولا تحس بهم. كانوا فرقا ومزقا لا وزن لها ولا قيمة. لم يكن لديهم شيء يعطونه للبشرية فتعرفهم به. بل لم يكن لديهم شيء يعطونه لأنفسهم فيغنيهم. لم يكن لديهم شيء على الإطلاق. لا مادي ولا معنوي .. كانوا فقراء يعيشون في شظف.

إلا قلة منهم تعيش في ترف ، ولكنه ترف غليظ ساذج هابط أشبه شيء بترف الأوابد التي تكثر في أوكارها الفرائس! وكانوا كذلك فقراء العقل والروح والضمير. عقيدتهم مهلهلة ساذجة سخيفة. وتصورهم للحياة بدائي قبلي محدود.

واهتماماتهم في الحياة لا تتعدى الغارات الخاطفة ، والثارات الحادة ، واللهو والشراب والقمار ، والمتاع الساذج الصغير على كل حال! ومن هذه الوهدة المغلقة أطلقهم الإسلام.

بل أنشأهم إنشاء. أنشأهم ومنحهم الوجود الكبير ، الذي تعرفهم به الإنسانية كلها. أعطاهم ما يعطونه لهذه الإنسانية. أعطاهم العقيدة الضخمة الشاملة التي تفسر الوجود كما لم تفسره عقيدة قط والتي تمكنهم من قيادة البشرية قيادة راشدة رفيعة. وأعطاهم الشخصية المميزة بهذه العقيدة التي تجعل لهم وجودا بين الأمم والدول ، ولم يكن لهم قبلها أدنى وجود.

وأعطاهم القوة التي تعرفهم بها الدنيا وتحسب لهم معها حسابا ، وكانوا قبلها خدما للإمبراطوريات من حولهم ، أو مهملين لا يحس بهم أحد.

وأعطاهم الثروة كذلك بما فتح عليهم في كل وجهة .. وأكثر من هذا أعطاهم السلام ، سلام النفس. وسلام البيت وسلام المجتمع الذي يعيشون فيه. أعطاهم طمأنينة القلب وراحة الضمير والاستقرار على المنهج والطريق ..

وأعطاهم الاستعلاء الذي ينظرون به إلى قطعان البشرية الضالة في أرجاء الجاهلية المترامية الأطراف في الأرض فيحسون أن الله آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ..

فإذا ذكر هم الله بالنعمة هنا ، فهم يذكرون شيئاً حاضراً في حياتهم لا يحتاج إلى طول تذكر. وهم هم أنفسهم الذين عاشوا في الجاهلية ثم عاشوا في الإسلام في جيل واحد. وشهدوا هذه النقلة البعيدة التي لا تحققها إلا خارقة فوق تصور البشر .. وهم يذكرون هذه النعمة ممثلة فيما أنزل الله عليهم من الكتاب والحكمة يعظهم به"¹

فالغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها. وذلك بنبذ العبادة الضالة واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وارشادهم إلى طريق المستقيم وتزكية نفوسهم فكانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع من أجل صلاحه واستقامته .

1- قطب : في ظلال القرآن . (1 / 252)

**الفصل الرابع : الرسول صلى الله عليه وسلم خير
أنموذج في الاستقامة**

المبحث الأول: سيرته صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: نسبه و مولده صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: طفولته صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: شبابه صلى الله عليه وسلم

توطئة:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يختار من كل أمة من الأمم أطيّب خلقها ، وأن يختصه لنفسه ويرتضيه دون غيره فإنه سبحانه وتعالى طيب لا يحب إلا الطيب ..

وقد اختار الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - واختصه لنفسه وأكرمه برسالته وبعثه إلى خلقه وارتضاه دون غيره للرسالة الخاتمة وجمع الله له صفات الكمال البشري ، فكان أكمل الناس خلقاً ، وأكثرهم استقامة ، وأفضلهم حالاً ، وأعلمهم بحدود الله وأخوفهم منه ، فكان هديه صلى الله عليه وسلم هو التطبيق العملي لهذا الدين .

فالكمال البشري على ضربين : ظاهر وباطن . وكل ضرب منهما على نوعين : أولهما يكون فيه الإنسان مجبولاً عليه ، ولا اكتساب له فيه ، ونوع يكون مكتسباً للإنسان ، فيحصل له بسعيه وتكسبه .

وبذلك انحصرت صفات الكمال في أربعة أقسام : كمال ظاهري ضروري ، وكمال ظاهري مكتسب ، وكمال باطني ضروري وكمال باطني مكتسب ، وقد جمع الله تعالى هذه الأصناف للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - .

قال الله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ عَدُّهُمْ مِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة : 2]

المطلب الأول: نسبه و مولده صلى الله عليه وسلم

الفرع الأول: نسب النبي صلى الله عليه وسلم:

نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينقسم إلى ثلاثة أجزاء : جزء اتفق عليه كافة أهل

السير والأنساب، وهو :

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ
كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَلِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِلْتَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ ۝ بْنِ مُرَكَّةَ بْنِ إِبْلِيسَ
بْنَ هُضَافَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ 1.

فالجزء الأول يبدأ منه صلى الله عليه وسلم وينتهي إلى عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى

: " {لَيْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} - [الشورى : 23]

لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم " 2

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من

لدى آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء) 3 .

أما الجزء الثاني فقد كثر فيه الاختلاف، حتى جاوز حد الجمع والائتلاف، وهو الجزء

المحصور بين عدنان وسيدنا إبراهيم عليه السلام ، فقد توقف فيه قوم، ولم يجوزوا سرده، بينما

سأقه آخرون وجوزوه.

1- محمد ناصر الدين الألباني: صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة : الأولى، ج1، ص10.

2- أخرجه الترمذي في سننه ، باب 43 ومن سورة حم عسق، ح/3251، وأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب، ح/2024، 2599،

3- السنن الكبرى للبيهقي، باب نكاح أهلي الشرك وطلاقهم، ح/14457.

ثم إن المجوزون وقع خلاف بينهم في عدد الآباء وأسمائهم، فكثرت أقوالهم حتى جاوزت ثلاثين قولاً، إلا أن المتفق بينهم هو أن عدنان من صريح ولد إسماعيل عليه السلام .

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : "إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"¹

وهو: "ما فوق عدنان، وعدنان هو ابن أد بن الهَمَّيع بن سلامان بن عَص بن بوز بن قموال بن أبي بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيضم بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيضم بن ديشان بن عيصر بن أفناد ابن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيذار ابن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

أما الجزء الثالث فهو يبدأ من بعد إبراهيم عليه السلام وينتهي إلى آدم عليه السلام، وجل الاعتماد فيه على نقل أهل الكتاب.

وهو: ما فوق إبراهيم عليه السلام، وهو ابن تَارح . واسمه آزر . بن ناحور بن ساروع . أو ساروع . بن رَاعُو بن فَاالْخ بن عابر بن شَالِخ بن أَرْفَخْشَد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن مَتَوْشَلِخ بن أَخْذُوخ . يقال : هو إدريس النبي عليه السلام . بن يُوْد بن مَهْلَائِيل بن قينان بن أَدُوش بن شِيث بن آدم . عليهما السلام ."²

1- أخرجه مسلم في صحيحه، باب فَضْلِ نَبِيِّ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَتَسْلِيمِ الْحَجْرِ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّبَاؤُة. ح/6077، سنن الترمذي - باب 1 في فضل النبي صلى الله عليه و سلم، ح/3605.

2- صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ج1، ص31.

أما المتفق والمجمع عليه هو أنه خير أهل الأرض نبأ على الإطلاق نَسَبَهُ مِنْ الشَّرَفِ
أَعْطَى نِزْوَةً وَأَعَاوَهُ كَانُوا يَشْفُونَ لَهُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ ذَا شَهْدَةٍ بِهِ عُوهُ إِذْ ذَاكَ أَبُو سُهَيْلٍ بِنْتُ يَمِينِ مَلِكِ
الرُّومِ فَاشْرَفَ الْقَوْمَ قَوْمَهُ وَأَشْرَفَ الْقَبْلَةَ بِبَيْتِهِ .

تعرف أسرته صلى الله عليه وسلم بالأسرة الهاشمية . نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف
الذي تولى شرف السقاية والرفادة من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار
على اقتسام المناصب فيما بينهما، وكان هاشم موسراً ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد
للحجاج بمكة، وكان اسمه عمرو فما سمي هاشماً إلا لهشمه الخبز، وهو أول من سن الرحلتين
لقريش، رحلة الشتاء والصيف، وفيه يقول الشاعر :

عمرو الذي هَمَّ الثريدَ لقومه * * قَوْمِ بَمَكَةَ مِنْ نَتْنِ عِجَافِ

سُنْتُ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا * * سَفَرُ الشَّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصِيافِ

ومن حديثه أنه خرج إلى الشام تاجراً، فلما قدم المدينة تزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي
بن النجار وأقام عندها، ثم خرج إلى الشام . وهي عند أهلها قد حملت بعبد المطلب . فمات هاشم
بغزة من أرض فلسطين، وولدت امرأته سلمى عبد المطلب ، وسمته شيبة؛ لشيبة كانت في رأسه،
وجعلت تربيته في بيت أبيها في يثرب، ولم يشعر به أحد من أسرته بمكة، وكان لهاشم أربعة بنين
وهم : أسد وأبو صيفي ونضلة وعبد المطلب . وخمس بنات وهن : الشفاء، وخالدة، وضعيفة،
ورقية، وجنة .

وقد صارت السقاية والرفادة بعد هاشم إلى أخيه المطلب بن عبد مناف وكان شريفاً مطاعاً
ذا فضل في قومه، كانت قريش تسميه الفياض لسخائه، فلما صار شيبة . عبد المطلب وصيفاً أو
فوق ذلك ابن سبع سنين أو ثماني سنين سمع به المطلب . فرحل في طلبه، فلما رآه فاضت
عيناه، وضمه، وأردفه على راحلته فامتتع حتى تأذن له أمه، فسألها المطلب أن ترسله معه،
فامتعت، فقال : إنما يمضي إلى ملك أبيه وإلى حرم الله فأذنت له، فقدم به مكة مردفه على

بعيره، فقال الناس : هذا عبد المطلب، فقال : ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم، فأقام عنده حتى ترعرع، ثم إن المطلب هلك ب [دمان] من أرض اليمن، فولى بعده عبد المطلب، فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .¹

ومن أهم ما وقع لعبد المطلب من أمور البيت أمران :

أما الأول : أنه أمر في المنام بحفر زمزم ووصف له موضعها، فقام يحفر، فوجد فيه الأشياء التي دفنها الجراهمة حين لجأوا إلى الجلاء، أي السيوف والدروع والغزاليين من الذهب، فضرب الأسياف بآبأ للكعبة، وضرب في الباب الغزاليين صفائح من ذهب، وأقام سقاية.

ولما بدت بئر زمزم نازعت قريش عبد المطلب، وقالوا له : أشركنا . قال : ما أنا بفاعل، هذا أمر خصصت به، فلم يتركوه حتى خرجوا به للمحاكمة إلى كاهنة بني سعد هُنيَم، وكانت بأشراف الشام، فلما كانوا في الطريق، ونفذ الماء سقي الله عبد المطلب مطراً، لم ينزل عليهم قطرة، فعرفوا تخصيص عبد المطلب بزمزم ورجعوا، وحينئذ نذر عبد المطلب لئن آتاه الله عشرة أبناء، وبلغوا أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة .²

وكان الثاني : "أن أبرهة بن الصباح الحبشي، النائب العام عن النجاشي على اليمن، لما رأى العرب يحجون الكعبة بني كنيسة كبيرة بصنعاء، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بني كنانة، فدخلها ليلاً فلطخ قبلتها بالعدرة . ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وسار

1- صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم ج1، ص32.

2- صفى الرحمن المباركفوري: نفسه.

بجيش عرمرم . عدده ستون ألف جندي . إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلا من أكبر الفيلة، وواصل سيره حتى بلغ المَعَس، وهناك عبأ جيشه وهياً فيله، وتهدياً لدخول مكة، فلما كان في وادي مَعَس بين المزدلفة ومنى برك الفيل، ولم يقدّم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول، وإذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبيناهم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول . وكانت الطير أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر ثلاثة أحجار؛ حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص، لا تصيب منهم أحداً إلا صارت تنتقع أعضاؤه وهلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يموج بعضهم في بعض، فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل، وأما أبرهة فبعث الله عليه داء تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ، وانصدع صدره عن قلبه ثم هلك

1 .

الفرع الثاني : عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه، وهو الذبيح؛ وذلك أن عبد المطلب لما تم أبناؤه عشرة، وعرف أنهم يمنعونهم أخبرهم بنذره فأطاعوه، فقيل : إنه أقرع بينهم أيهم ينحر ؟ فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحب الناس إليه .

فقال : اللهم هو أو مائة من الإبل . ثم أقرع بينه وبين الإبل فطارت القرعة على المائة من الإبل، وقيل : إنه كتب أسماءهم في القداح، وأعطاهم قيم هبل، فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولاسيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب .

فقال عبد المطلب : فكيف أصنع بنذري ؟ فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها، فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرًا

1- صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم ، ج1، ص33.

من الإبل حتى يرضى ربه، فإن خرجت على الإبل نحرها، فرجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل، فوقعت القرعة على عبد الله، فلم يزل يزيد من الإبل عشراً عشراً ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فنحرت ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشراً من الإبل، فجرت بعد هذه الواقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [أنا ابن الذبيحين] يعنى إسماعيل، وأباه عبد الله.

واختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسباً وموضاً، وأبوها سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوجه بها، فبني بها عبد الله في مكة، وبعد قليل أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتار لهم تمرًا، فمات بها، وقيل : بل خرج تاجرًا إلى الشام، فأقبل في غير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن في دار النابغة الجعدي ، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه يقول أكثر المؤرخين، ولما بلغ نعيه إلى مكة رثته آمنة بأروع المراثي، قالت :

غَا جَانِبُ الْبَطْحَاءِ مِنْ ابْنِ هَاشِمٍ ** وَجَاوِرٌ لَحْطًا خَارِجًا فِي الْعَمَاجِمِ

نَعْتُهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا ** وَمَا تَرَكْتُ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمِ

عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ ** تَعَلَّوْهُ أَصْحَابُهُ فِي التَّرَاحِمِ

فَإِنْ تَكِ غَالَتِ الْمَنَايَا وَرَبِّهَا ** فَقَدْ كَانَ مُطَاءً كَثِيرَ التَّرَاحِمِ

وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم

أيمن، وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

الفرع الثالث: مولده صلى الله عليه وسلم

1- صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ج1، ص33، 34.

ولد صلى الله عليه و سلم يوم الإثنين بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين
لليلتين خلتما من ربيع الأول ، و قيل : ثامنه ، و قيل عاشره ، و قيل لثنتي عشرة منه ، و ذلك
عام الفيل ، بعده بخمسين يوماً ، و قيل بثمانية و خمسين يوماً ، و يوافق ذلك عشرين أو اثنين
وعشرين من شهر أبريل سنة 571 م.¹

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشراً ودخل به
الكعبة، ودعا الله وشكر له . واختار له اسم "محمد" .

وقد روى أن إرهابات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان
كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن
غاضت.

وأول من أرضعته من المراضع بعد أمه بأسبوع . ذُوَيْبَةُ مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال
له : مَـرُوحٌ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد
الأسد المخزومي .

وكانت العادة عند العرب من أهل الحضر أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعاداً لهم عن
أمراض الحواضر؛ ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في صغرهم ، فالتمس
عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم المراضع، واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر،
وهي حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث، وزوجها الحارث ابن عبد العزي المكنى بأبي
كبشة من نفس القبيلة .

قال ابن إسحق: فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمه، والتمس له الرضعاء،
واسترضع له حليلة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام
ابن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن

1- الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير 701 - 747 هـ، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - (1 / 5)

قيس بن عيلان بن مضر، واسم أبي رسول الله الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن فلان بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن.

وأخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة ابنة الحارث، وحذافة ابنة الحارث، وهي الشيماء، غلب عليها ذلك، ولا تعرف في قومها إلا به، وهي الحليمة أم رسول الله، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني جهم بن أبي جهم - مولى لأمرأة من بني تميم، كانت عند الحارث بن حاطب، فكان يقال مولى الحارث بن حاطب - قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يقول: حدثت عن حليمة ابنة الحارث - أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي أرضعته - أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس بها الرضعاء، وفي سنة شهباء، فقدمت على أتان لي قمرأ كانت أذمت بالركب، ومعى صبي لنا، وشارفنا لنا، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، ما نجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإذا قيل إنه يتيم تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه، إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيبي، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، قال: لا عليك، فذهبت، فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره.

فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري إلى ما بتنا به الليلة من الخبر حين أخذناه؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً، حتى خرجنا

راجعين إلى بلادنا، فو الله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى أن صواحيبي ليلقين: ويلك، يا بنت أبي ذؤيب، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم، والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأناً، حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجذب منها، حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجذب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً، لبناً، فنحلب ما شئنا، وما نحولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياً، حتى أنهم ليقولون لرعيانهم: ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث نسرح، فيريحون أغنامهم جياً وما فيها قطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً، لبناً نحلب ما شئنا، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فو الله ما بلغ سنتيه حتى كان إلاماً جفراً، فقدمنا به على أمه، ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه، قلنا لها: يا ظئر دعينا نرجع ببنيينا هذه السنة، فإننا نخشى عليه أولاء مكة، فوالله ما زلنا بها حتى قالت: فنعم، فسرحته معنا.¹

1- محمد بن إسحاق ، السيرة النبوية، ج1، ص10، 11.

المطلب الثاني : طفولته صلى الله عليه وسلم

الفرع الأول : حادثة شق الصدر

وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني سعد، وفي السنة الرابعة من مولده على قول المحققين وقع حادث شق صدره، روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتاه جبريل -صلى الله عليه وسلم- وهو يلعب الغلمان فأخذه فصَّعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منطوقةً فقال هذا حظُّ الشيطان منك. ثمَّ غلَّه في طستٍ من ذهبٍ بماءٍ

زَمَزَمَ لَأَمِّهِ ثُمَّ أَعَدَّهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْعُلَمَانُ يَسْعُونَ إِلَى أُمِّهِ - يَغِي ظَنُّهُ فَقَالُوا إِنَّ مَحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مَتَقَعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُتِبَ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.¹

يقول ابن إسحاق عن حليمة السعدية قالت: فبينما نحن خلف بيوتنا، وهو مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا، جاءنا أخوه يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعا فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشدت نحوه، فوجدته قائماً منتفحاً لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاي فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، انطلق بنا، فنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف.

قالت: فاحتملناه، فلم ترع أمه إلا به قد قدمنا به عليها، فقالت: ما رد كما به، قد كنتما عليه حريصين؟! فقلنا: لا والله يا ظئر، إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وقلنا: نخشى الإيتلاف والأحداث، نرده إلى أهله، فقالت: ما ذلك بكما، فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لا بني هذا شأن، ألا أخبر كما بخبره؟ قلنا: بلى، قالت: حملت به، فما حملت حملاً قط أخف منه، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاعت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمد أعلى يديه، رافعاً رأسه إلى السماء، فدعياه عنكما.²

خشيت عليه حليمة بعد هذه الحادثة عليه صلى الله عليه وسلم فردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين .

1- صحيح مسلم . باب الإِسْوَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَاةِ، ح/431.

2- محمد بن إسحاق ، السيرة النبوية - (1 / 11)

ورأت آمنة . وفاء لذكرى زوجها الراحل . أن تزور قبره بيثرب، وأخوال جده من بني عدي بن النجار¹ فخرجت من مكة ومعها ولدها محمد صلى الله عليه وسلم ، وخادمتها أم أيمن، وعبد المطلب، فمكثت شهراً ، وبينما هي راجعة إذ لحقها المرض في أوائل الطريق، ثم اشتد حتى ماتت بالأهواء بين مكة والمدينة.

وبعد وفاة والدته كفله جده عبد المطلب وقد وجد من عطفه وحنانه ما أنساه ألم اليتيم وعوضه عن فقد والديه. ويذكر الرواة من مظاهر هذا العطف والحنان أن عبد المطلب كان له فراش في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ولا يجروا أحد أن يجلس عليه إجلالاً له واحتراماً، وكان محمد -صلى الله عليه وسلم- يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عن فراش جده، فيقول عبد المطلب حين يرى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً. ويجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما كان يصنع².

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات³ توفي جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أن يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب .

1- ذكر هذه الحادثة ابن سعد في "الطبقات" 2/ 116 - 117 مسنناً ذلك عن الزهري وقتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وابن عباس.

وانظر "المواهب اللدنية" 1/ 168، و"الروض الأنف" 1/ 194، و"البداية والنهاية" 2/ 179، ومجىء هذه الحكاية من أوجه متعددة يفيد ثبوتها، وإن كانت جميعها مرسلة.

2- سيرة ابن هشام، و"الروض الأنف" 1/ 195، و"البداية والنهاية" 2/ 281 وقد رواه الواقدي -وهو متروك- من أوجه مرسلة..

3- هذا قول ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام" 1/ 178، وأسنده عنه البيهقي في "الدلائل" 1/ 188، ولم يحك ابن كثير غيره في "البداية" 2/ 282.

وقد أخرج ابن سعد من وجه ضعيف 1/ 119 "أنه -صلى الله عليه وسلم- سئل: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم، أنا يومئذ ابن ثماني سنين". وقالت أم أيمن: رأيته يبكي خلف سرير عبد المطلب.

نهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير، فكان خير مثال للعمومة الكريمة والأبوة الرحيمة وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

ثم "إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير صب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلمي لا أب لي ولا أم؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً؛ أو كما قال.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمام حتى أظلت تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن ذلك اليوم لشأننا ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم صغيركم وكبيركم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم - لحدائثة سنه - في رجال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف في رجالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل مع القوم من قريش: واللوات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل

به حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا إلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لا تسلني باللات والعزى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيبته، وأموره، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الإلام منك؟

قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الإلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيراً وتامماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب - أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله عز وجل، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا، فقال أبو طالب في ذلك من الشعر:¹

1- ابن إسحاق: السيرة النبوية - (1 / 18، 19)

أورد القصة صاحب "الروض الأنف" 1/ 205-207 وعزاها كذلك للزهري في سيره والمسعودي. وأخرج ابن سعد القصة 1/ 120-121 بسند منقطع، ومن طريق الواقدي.

إن ابن آمنة النبي محمداً ... عندي بمثل منازل الأولاد

لما تعلق لازمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزواد

فارفض من عيني دمع ذارف ... مثل الجمان مفروق الأفراد

راعت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الأحداد

وأمرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت أنجاد

ومن هذا الوجه أخرج القصة أبو نعيم، كما في "دلائل النبوة" رقم 108 و"الخصائص" للسيوطي 211 / 1، و"الإصابة" 179 / 1 لابن حجر .

وفي "المواهب اللدنية" 187 / 1 عزاه لابن أبي شيبة لكن في القصة اختلاف .

وفي "البداية" 284 / 2 ذكر قصة لقاء بحيرى وقال :

أخرج الحافظ الخرائطي عن عباس الدوري، عن قراد أبي نوح، حدثنا يونس، عن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه، قال خرج أبو طالب.. فذكر في الحديث أنه لقي بحيرى وقال له عن النبي -صلى الله عليه وسلم: هذا سيد العالمين .

وروى هذا الحديث الترمذي والبيهقي وابن عساكر والحاكم من هذا الوجه بزيادة تفصيل .

رجال الحديث موثقون غير قراد :

قال ابن كثير: وثقه جماعة من الأئمة ولم أر من جرحه، وفي حديث هذا غرابة وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال الدوري: ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين لغرابته وانفراده. قال ابن كثير :

فيه من الغرائب أنه من رسائل الصحابة... إلى آخر ما قال .

قلت: وذكر بحيرى الراهب في الصحابة عند ابن منده وأبي نعيم تقضي عندهما ثبوت الخبر ما دام لم يتعقبا الرواية بشيء .

وقال البيهقي: هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي .

وقال ابن حجر في "الإصابة" 139 / 1 في القسم الأول في بحيرى الراهب غير هذا: ظن بعضهم أنه بحيرى الراهب الذي لقي

النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشام قبل البعثة مع أبي طالب وليس بصواب -إن صح الخبر .

ثم قال 176 / 1 في القسم الرابع: وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى، أخرجها الترمذي وغيره، وفي

القصة لفظة منكزة ..

ثم ذكر أن الحديث وقصة بحيرى أخرجها الحافظ عبد الغني من وجه تالف . قلت: سند حديث أبي موسى رجاله ثقات نعم، لكن لا يصح خشية أن يكون أبا إسحاق قد دلس فيه .

ساروا لأبعد طية معلومة ... فلقد تباعد طيه المرتاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد

المطلب الثالث : شبابه صلى الله عليه وسلم

شهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- حرب الفجار مع أعمامه وكان عمره خمسة عشر¹ عاماً وقيل عشرين سنة، وقد وقعت في سوق عُكاظ حرب بين قريش . ومعهم كنانة . وبين قيس

1- هذا قول ابن هشام عن أبي عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء، 1/ 195، ثم نقل عن ابن إسحاق 1/ 198 أن الحرب

عَيلان، تعرف بحرب الفَجَار وسببها : أن أحد بني كنانة، واسمه الوَّاض، اغتال ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر إلى عكاظ فثار الطرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية؛ لمكانته فيهم سناوشرفاً، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس .

ثم تداعى بعض قريش إلى الصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد . فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشر . وسميت بحرب الفجار؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد انضمت قريش إلى كنانة دفاعاً عن قداسة الأشهر الحرم ومكانة أرض الحرم، واستمرت هذه الحرب أربعة أعوام، ثم انتهت بالصلح بين الفريقين¹ وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي .

كما شهد حلف الفضول، فهو ميثاق كريم يدعو إلى الدفاع عن الحقوق وحماية المستضعفين. وقد عقدته قريش بعد رجوعها من حرب الفجار في دار عبد الله ابن جدعان بمكة، وتعاهدت فيه أن تحمي الضعفاء والمظلومين حتى يأمن كل إنسان على ماله وعياله، وقد رفع هذا الحلف مكانة قريش بين قبائل العرب.²

هاجت وللنبي -صلى الله عليه وسلم- عشرون سنة.

وانظر "البداية" 289 / 2.

وقد أخرج ابن سعد 1 / 126 - 127 من طرق واهية أنه كان ابن عشرين.

ولعل الجمع أنه كان أول ما حضرها ابن خمسة عشر في أولها، فلما انتهت كان قد قارب العشرين

1- وذلك بدعوة قام بها عتبة بن ربيعة، كما في "طبقات ابن سعد" 1 / 128، و"البداية" 2 / 290 لابن كثير، وغيرها.

2- محمد الطيب النجار: القول المبين في سيرة سيد المرسلين دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان، ج1، ص99.

وقد وقع في ذي القعدة في شهر حرام تداعت إليه قبائل من قريش : بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي؛ لسنته وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أَدعى به في الإسلام لأجبت)¹ .

"وهذا الحلف روحه تنافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها، ويقال في سبب هذا الحلف : إن رجلاً من زُيد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزوماً، وجحاً وسهلاً وعياً فلم يكثرثوا له، فعلا جبل أبي قبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعاً صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال : ما لهذا مترك ؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكركم في حلف الفضول، فعقدوا الحلف ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانترعوا منه حق الزبيدي ."²

وقد رعى صلى الله عليه وسلم الغنم في أول شبابه ، رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على قراريط، وحين شب انتقل إلى التجارة ،فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب

1- قال القتيبي فيما نقله عنه البيهقي في "السنن" 367/6: وكان سبب الحلف أن قريشاً كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان، والزبير بن عبد المطلب، فدعاهم إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابهما بنو هاشم وبعض القبائل من قريش، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، فسُموا الحلف حلف الفضول تشبيهاً له بحلف كان بمكة أيام من جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم يقال لهم: الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة، فقيل: حلف الفضول، جمعاً لأسماء هؤلاء.

2- صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم - (1 / 44)

المخزومي فكان خير شريك له، لا يداري ولا يماري، وجاءه يوم الفتح فرحب به، وقال : مرحباً بأخي وشريكي¹.

وفي الخامسة والعشرين من سنة خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها، قال ابن إسحاق :

وكانت خديجة ابنة خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضارهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في ما لها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع إلام لها يقال له ميسرة، حتى قدم الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب على ميسرة، فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة فيما يزعمون، إذا كانت الهاجرة واشتد الحريري ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف، أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إضلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته.

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له - فيما يزعمون - : يا ابن عم أني قد رغبت فيك لقربانك مني، وشرفك في قومك، وسطنتك فيهم،

1أخرجه الإمام أحمد بن حنبل. باب: حديث السائب بن عبد الله رضي الله عنه، ح/15544.

وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، كل قومها قد كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر على ذلك.¹

وهي خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمها فاطمة ابنة زيد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، وأمها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، وأمها فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وأمها عاتكة ابنة عبد العزي بن قصي، وأمها ربيعة ابنة كعب بن سعد ابن تيم بن مرة كعب بن لؤي، وأمها أميمة ابنة عامر بن الحارث بن فهر، وأمها ابنة سعد بن كعب بن عمرو، من خزاعة، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فهر، وأمها سلمى بنت غالب بن فهر، وأمها ابنة محارب بن فهر.²

عن ابن اسحق قال: فلما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالت، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على أسد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحي ولده كلهم (سوى إبراهيم)³: زينب، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة والقاسم، والظاهر والطيب، فأما القاسم، والظاهر والطيب فهلكوا قبل الإسلام، وبالقاسم كان يكنى صلى الله عليه وسلم، فأما بناته فأدركن الإسلام، وهاجرن معه، واتبعنه، وآمن به عليه السلام.

1- ابن إسحاق: السيرة النبوية - (1 / 21)

2- ابن إسحاق: نفسه ص22

3- قال ابن هشام وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية.

قال ابن هشام وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها¹

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمس ثلاثين من عمره قامت قريش ببناء الكعبة؛ وذلك لأن الكعبة كانت رَضْمًا فوق القامة، ولم يكن لها سقف، فسرق كنزها الذي كان في جوفها، كما تعرضت للعوادي التي صدعت جدرانها، وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم بخمس سنين جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيبًا، فلا يدخلون فيها مهر بغي ولا بيع ربًا ولا مظلمة أحد من الناس.

فمن ابن اسحق قال: فأقامت قريش في كل قبيلة منها أشراف، فليس بينها اختلاف ولا نائرة. ثم إن قريشاً أجمعوا على بنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها، وإنما كانت رَضْمًا فوق القامة، فأرادوا رفعًا وتسقيفها وذلك أن نفرًا من قريش سرقوا كنز الكعبة، وكان يكون في بئر جوف الكعبة. وكان الذي وجد عنده الكنز دويل - أو دويد، شك أبو عمر - مولى لنبي مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده من بينهم، وكان ممن اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب، فهو الذي تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند وديل - أو دويد - فلما أتتهم قريش دولهم على دويل - أو دويد - فقطعوه، ويقال: إنهم وضعوه عنده، وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة، فكان فيما حولها عشر سنين².

1- ابن هشام: السيرة النبوية - (2 / 9)

2- ابن إسحاق: السيرة النبوية - (1 / 30)

وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، فأخذ المعول وقال ودعا الله ، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شيء تبعه الناس في الهدم في اليوم الثاني، ولم يزلوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها . فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها .

عن ابن اسحق قال: ثم تجزأت قريش الكعبة، فكان شق الباب لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف، وبني زهرة، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم، وكان ظاهرها لسهم وجمع، وكان شق الحجر، وهو الحطيم، لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، وبني عدي بن كعب، ثم إن الناس هابوا هدمها، وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبوؤكم في هدمها، فأخذ المعول، فقام عليها، ثم قال: اللهم لا تردع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر ماذا يصيبه، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله عز وجل ما صنعناه، فأصبح غادياً يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضاً¹.

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفت قبائل العرب فيمن يحظى بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليالٍ أو خمساً، واشتد الخصام حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم رأياً وهو أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فقبلوا ، وشاء القدر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين، رضينا، واستطاع صلى الله عليه وسلم أن يفك النزاع بفضل رجاحة عقله وفطنته ، فوضع الحجر وسط رداء وطلب من رؤساء

1- ابن إسحاق: نفسه ص31.

القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده الطاهرة فوضعه في مكانه .

يقول ابن إسحاق : ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع على جدتها ثم بنوا حتى بلغ البناء موضع الركن فاختموا في رفع الركن، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحازبوا أو تحالفوا، وأعدوا القتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة فملئوها دماً، ثم تحالفوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت، فأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة فغمسوها في الدم، فقال في ذلك عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار:

والله لا نأتي الذي قد أرتم ... ونحن جميع أو نخضب بالدم

ونحن ولاية البيت لا تتكرونه ... فكيف على علم البرية نعلم

لنبغي به الحمد الذي هو نافع ... ونخشى عقاب الله في كل محرم

فكيف ترومونا وعز قناتنا ... له مكسر صلب على كل معلم

فهيهات أنى يقرب الركن سالم ... ونحن جميع عنده حين يقسم

فإما تخلونا وبيت حجابنا ... وإما تتووا ذلك الركن بالحرم

فأجابه وهب بن عبد مناف:

أبلغ قريشاً إذا ما جئت أكرمها ... أنا أبيتا فلا نؤتيكم غلبا

إننا أبيتا إلي الغصب ظاهرة ... إننا وجدك لا نؤتيكم سلبا

نحن الكرام فلا حي يقارينا ... نحن الملوك ونحن الأكرمون أبا

وقد أرى محدثاً في حلفنا ظهراً ... كما ترى في حجاب الملك محتجبا

أبا لنا عزنا ماذا أراد بنا ... قوم أرادوا بنا في حلفهم عجبا

قوم أرادوا بنا خسفاً لنقبله ... كلا وربك لا نؤتيهم غضبا

فمكثت قريش أربع ليال، أو خمساً، بعضهم من بعض، ثم أنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا، وتناصفوا، فزعم بعض أهل العلم والرواية أن أبا أمية، وكان كبيراً، وسيد قريش كلها، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك، ورضوا به، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأوا قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثواباً، أوه به، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فيه بيديه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم بنى عليه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى في الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه.¹

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظاً وافراً من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الهدف. كما أحاطه الله بالحفظ، وصانه من أقدار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته ورسالته، فامتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأكثرهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وأعظمهم أمانة حتى سماه قومه: الأمين لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت

1- ابن إسحاق: السيرة النبوية (1 / 32)

أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها : "يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق"¹

1- صحيح البخاري . باب جوارِ أبي بكرٍ في عهدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَّهُ . ح/2297.

المبحث الثاني : مجالات استقامته

المطلب الأول: استقامته صلى الله عليه وسلم في أخلاقه.

المطلب الثاني : استقامته صلى الله عليه وسلم في عباداته.

المطلب الثالث: استقامته صلى الله عليه وسلم في معاملاته.

المطلب الأول : استقامته صلى الله عليه وسلم في أخلاقه.

لقد وصف الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بصفات خلقية عظيمة ومن هذه

الصفات، الخلق العظيم، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]

والخلق ملكة تجعل المتصف بها يأتي بالأفعال الحميدة، "وقد وصف الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - في القرآن بما يرجع إلى قوته العلمية والعملية : فما يرجع إلى قوته " العلمية " قال سبحانه :

{ وَطَّكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: 113].

وبما يرجع إلى قوته " العملية " قال سبحانه : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } -[القلم:4].

فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه - صلى الله عليه وسلم - فيما بين الأرواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة¹

وعن عروة - رضي الله عنه - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " ما كان أحسن خلقاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله إلا قال : " لبيك "

ولذلك أنزل الله عز وجل : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }²

ولما اجتمع فيه - صلى الله عليه وسلم - من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد.

1-جمال محمد الزكي :إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ص56.

2-أخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والواحي عن عائشة قالت : ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك فلذلك أنزل الله تعالى {وانك لعلی خلق عظیم}.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ومسلم ، وابن المنذر والحاكم ، وابن مردويه عن سعد بن هشام قال : أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين : أخبرني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن {وانك لعلی خلق عظیم}

وأخرج ابن المنذر ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

عن عائشة رضي الله عنها أن سعد بن هشام سألها فقال : يا أم المؤمنين : " أنبئني عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : أليس تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن " ¹

وقد كان صلى الله عليه وسلم رحيماً بالمؤمنين رفيقاً بهم شديداً على الكفار غليظاً عليهم حبيباً في قلوب الأحباء مهيباً في صدور الأعداء منصوراً بالرعب منهم على مسيرة شهر .

كما امتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وسلامة الطبع، ونصاعة اللفظ، وجزالة القول، وصحة المعاني، وقلة التكلف، " أوتي جوامع الكلم، وخص ببدايع الحكم، وعلم السنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي .

1-أخرج البخاري في الادب المفرد والنسائي ، وابن المنذر والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة كيف كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كان خلقه القرآن ، ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنون {قد أفلح المؤمنون} فقرأ حتى بلغ العشر فقالت : هكذا كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

وأخرج ابن عدي والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلق الله الجنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها : تكلمي ، فقالت {قد أفلح المؤمنون}.

وأخرج الطبراني في السنة ، وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير عن قتادة في قوله {قد أفلح المؤمنون} قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة ، خلق آدم بيده والتوراة بيده وغرس الجنة عدن بيده ثم قال : تكلمي ، فقالت : {قد أفلح المؤمنون} لما علمت فيها من الكرامة.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : لما غرس الله الجنة نظر إليها فقال : {قد أفلح المؤمنون}.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال : لما خلق الله الجنة قال {قد أفلح المؤمنون} وأنزل الله به قرآنا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة في قوله {قد أفلح المؤمنون} يعني : سعد المصدقون بتوحيد الله.

وأخرج عبد بن حصيد عن طلحة بن مصرف أنه كان يقرأ {قد أفلح المؤمنون} برفع أفلح .

وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حلیم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً" ¹.

عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ مَا خَيْرَ رَسُولٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا أَخَذَ أُسْرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِذْ مَا فَإِنْ كَانَ إِذْ مَا كَانَ أَبَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا تَقَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا لِقُنُوتِهِ كَ حُرْمَةِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ ². "وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً

و من صفاته الجود والكرم ، فَبَعِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَسْلَخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ³.

1-صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم - (1 / 478)

2- أخرجه البخاري، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ح/3560، وف باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ، وَلَا تُعْرُوا. وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَةَ عَلَى النَّاسِ. ح/2126.

ومسلم، في باب مباحته -صلى الله عليه وسلم- لِدَائِمِ وَخَيْرِهِ مِنَ الْمَلْحَمَةِ لَهُ وَأَنَّ قَامِلًا لَهُ عِلَّتْهَا أَكْ حُرْمَتِهِ. ح/6190، 6193.

ومالك في الموطأ ، باب ما جاء في حسن الخلق، ح/1603.

3- أخرجه أحمد 363/2. والبخاري "1902" في الصوم: باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان، و"4997" في فضائل القرآن: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم "2308" في الفضائل: باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، والترمذي في "الشمائل" "346"، وابن خزيمة "1889"، والبيهقي 326/4 و231، ومسلم "2308" من طريقين عن الزهري، به.

وكان أشجع الناس، ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، قال علي : كُفَا فِي حَيْثِ
عَبَّاسٍ إِذَا حَمِيَ الْبُلْبُسُ وَقَالَ الْآخَرُ : إِذَا أَحْوَى الْبُلْبُسُ ، وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يُكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَنَّى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ ¹ .

وَعَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ
النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَرَّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَلَةً فَخَرُّوا نَحْرَ الصُّوفِ اسْتَدْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ
اسْتَبْرَأَ الْخَرُّ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لِمَ تَرَاعُوا لِمَ تَرَاعُوا ثُمَّ
قَالَ وَجَنَاهُ بَحْرًا ، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لُبَحْرٌ ² .

وكان أشد الناس حياء وإغضاء ، قال أبو سعيد الخدري : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه
وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْغُرَاءِ فِي خَيْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفَاهُ فِي وَجْهِهِ ³

وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف . نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى
السماء ، جُثُّ نظره الملاحظة، لا يشافهه أحدًا بما يكرهه حياء وكرم نفس، وكان لا يسمي رجلاً بلغ
عنه شيء يكرهه، بل يقول . " ما بال أقوام قالوا كذا " ⁴ .

1- أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب مُبَشِّرَةُ الْإِمْلَامِ الْحَبِّ بِنَفْسِهِ. ح/8585

2- أخرجه البخاري، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق. ح/2908، وفي باب السرعة والركض في الفرع. ح/2969، وفي باب
إِذَا فَرَّعُوا بِاللَّيْلِ. ح/3040
و أخرجه مسلم، باب فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَتَقَاتُمِهِ لِلْحَرْبِ. ح/6146.

3- أخرجه مسلم ، باب كَثْرَةُ حَيَائِهِ -صلى الله عليه وسلم، ح/6176، و ابن ماجة . يَابُ الْحَيَاءِ، ح/4180، وأحمد بن حنبل في
مسند أبي سعيد الخدري، ح/11701، 11765، 11851، 11892،

4- أخرجه أحمد 3/ 241 و259 و285، ومسلم "1401" في النكاح: باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد المؤنة،
والنسائي 60/6 في النكاح: باب النهي عن التبتل، والبيهقي في "السنن" 77/7 من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك أحبائه وأعداؤه، وقد سمي قبل نبوته الأمين، يُتَحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، روي الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له : "إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم : } فَأَيُّهُمُ لَّا يَكْتُمُ مَا كَفَرُوا وَلَكِنَّ

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُونَ } [الأنعام : 33] ¹

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر ² ، قالت عائشة : "كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه،

وأخرجه البخاري "5063" في النكاح: باب الترغيب في النكاح، والبيهقي في "السنن" 77/7، والبغوي في "شرح السنة" "96" من طريق محمد بن جعفر، عن حميد الطويل، عن أنس بنحوه.

وقوله: "فمن رغب سنني، فليس مني" قال الحافظ في "فتح الباري" 105 /9:

المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس وتكثير النسل.

1- أخرجه الترمذي -باب 7 ومن سورة الانعام، ح/3064.

2- حديث كان أشد الناس تواضعاً رواه ابو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه و سلم هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه ذائب الإطراق وإسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائي من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير .

ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر يَفِي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه" ¹.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، لم يكن فحشاً، ولا لعاناً، ولا يقابل السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يتزفع على عبيده وإمائه في مأكَل ولا ملبس، ويخدم من خَمَّه.

وكان صلى الله عليه و سلم دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم

الأخلاق فكان يقول في دعائه: "اللهم حسن خلقي وخلقي" ² ويقول: "اللهم جنبني منكرات الأخلاق" ³ فاستجاب الله تعالى دعاءه .

قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألته عن أخلاق رسول الله صلى

الله عليه و سلم فقالت: أما تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى قالت: " كان خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن " ¹

1-أخرجه أحمد بن حنبل ، مسند عائشة رضي الله عنها، ح/26237، وأبي يعلى الموصلي، عائشة رضي الله عنها، ح/4873

2- حديث كان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان.

3- حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذي اللهم إني أعوذ بك.

وقد أدبه القرآن بقوله تعالى: { خذِ الْعُورَ وَأْمُرْ بِالْعُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف :

[199

وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ نِيبِ الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَظْمِكُمْ تَتَكَبَّرُونَ } [النحل : 90]

وقوله: {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ نَازِكَ مِنْ عَمِ الْأُمُورِ } [لقمان : 17]

وقوله: {وَلَمِنْ صَوَّغْتُمْ وَإِنَّ نَازِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ } [الشورى : 43]

"وقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعنيهم كلاماً وأسرعهم أداءً وأحلامهم
منطقاً حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويبيد الأرواح ويشهد دله بذلك أَعَاوُهُ .

وكان إذا تكلم بكلام مفصلٍ مَبِينٍ بَعْدَ الْعَدِّ لِيَرِيَهُ ذُّ مَسْرِعٍ لِإِحْفَظُ وَلَا مُقَطِّعٍ تَخْلَلُهُ
السَّكَّاتُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَلَامِ لِيُهَيِّئَهُ فِيهِ أَكْلُهَا نَبِي .

وكان كثيراً ما يُعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا لِيُعْلَىٰ عَنْهُ وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا . وَكَانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ لَا
يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ فَصْلًا لَا فُضُولَ وَلَا
تَقْصِيرَ وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْزِيهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَجُوزُ ذَوَابَهُ وَإِذَا كَرِهَ الشَّيْءَ عَرَفَ فِي وَجْهِهِ
وَلَمْ يَكُنْ فَاخِشًا وَلَا مَتَفَحِّشًا وَلَا صَخَابًا .²

1- حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم ووهم الحاكم في قوله إنهما لم يخرجاه .

2- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد (1،175)

قَالَتْ عَائِشَةُ: " مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبُودُ سَوْتَكُمْ هَذَا وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ بَنِي فَصْلِ يَحْفَظُهُ مَنْ جَسَّ إِلَيْهِ " ¹.

وَكَانَ جَلَّ ضَحْكُهُ التَّبَسُّمَ لِي كُلِّهِ التَّبَسُّمَ فَكَانَ فِي آيَةِ ضَحْكِهِ أَنْ تَبَوَّ وَاجِدَهُ . وَكَانَ يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ وَهُوَ مَمْلِيٌّ تَعْجَبُ مِنْ مَثَلِهِ وَيَسْتَعْجِبُ وَقَوْعُهُ وَيَسْتَنْسِرُ .

وَأَمَّا بِكَأْوِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحْكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيْقٍ وَرَفَعَ صَوْتِ كَلَامٍ يَكُنْ ضَحْكُهُ فِيهِ لَهَ وَلَكِنْ كَانَتْ تَتَمَعُّ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْلَا وَيَسْمَعُ لُصْدْرِهِ أَرْزِيْرُ .

وَكَانَ بِكَأْوِهِ تَارَةً رَحْمَةً لَلْمَيْتِ وَتَارَةً خَوْفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهِ . أَوْ تَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَهُوَ بِكَأْوِهِ اشْتَدَّ يَلْقَى وَمَحَبَّةً وَإِجْلَالَ صَاحِبِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ .

وَلَمَّا مَلَأَتْهُ إِبْرَاهِيمُ تَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَكَيَّ رَحْمَتَهُ وَقَالَ: " تَمَعْتُ الْعَيْنَ وَيَجْزُنُ الْقَلْبُ وَلَا قَوْلَ إِلَّا مَا يَرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ " ²

1-أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند عائشة رضي الله عنها ، ح/ 4393.

1-إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو في "صحيحه" "2315" في الفضائل: باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، من طريق هدية من خالد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد "194/3"، ومسلم "2315"، وأبو داود "03126" في الجنائز: باب في البكاء على الميت، والبيهقي "4/69" من طرق عن سليمان بن المغيرة، به.

وأخرجه بنحو البخاري "1303"، ومن طريقه البغوي "1528" من طريق قریش بن حیان، عن ثابت، به. وقد جزم الواقدي بأن إبراهيم مات في سنة عشر، وقال ابن حزم: مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، واتفقوا على أنه ولد في ذي الحجة سنة ثمان.

" وَكَى لَمَاقِرًا عَلَيْهِ أَنْ مَسُودِ سُورَةِ الْفَلَاوَاتِ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : { فَكَيْفَ إِذَا جُنْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [الْفَلَاءُ 41] " ¹

1- في البخاري: تذران، وفي مسلم: فرأيت دموعه تسيل، وفي الترمذي: تهلان.
 إسناده صحيح، عبد الغفار بن عبد الله ذكره ابن حبان في "الثقات"، وترجمه ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد توبع عليه، وباقي رجال الإسناد ثقات، إبراهيم هو النخعي، وعبيدة -بفتح العين- هو ابن عمرو السلماني المرادي، وهو في "مسند أبي يعلى" "5069".
 وأخرجه مسلم "800" في صلاة المسافرين: باب فضل استماع القرآن، والطبراني "8461"، من طريق هناد بن السري ومنجاب بن الحارث التميمي، كلاهما عن علي بن مسهر، بهذا الإسناد.
 وأخرجه ابن أبي شيبة 1563/10، وأحمد 380/1 و 433، والبخاري "4582" في التفسير: باب { فَكَيْفَ إِذَا جُنْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } و "5049" في فضائل القرآن: باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، و "5050" باب قول المقرئ للقارئ: حسبك، و "5055" و "5056" باب البكاء عند قراءة القرآن، ومسلم "800" في صلاة المسافرين، وأبو داود "3668" في العلم: باب في القصص، والترمذي "3028" في التفسير: باب ومن سورة النساء، وفي "الشمائل" برقم "316"، والبيهقي 231/10، والبغوي في "شرح السنة" "1220"، والطبراني "8460"، و "8461" وأبو يعلى "5228" من طرق عن الأعمش، به. وأخرجه مسلم "800" "248" من طريق عمرو بن مرة، والطبراني "8462" من طريق إبراهيم بن مهاجر، كلاهما عن إبراهيم، به.
 وأخرجه الطبراني "8463" و "8467" من طريق الأعمش، ومغيرة عن إبراهيم؛ عن علقمة، عن ابن مسعود.
 وأخرجه الطبراني "8464" وأبو نعيم في "الحلية" 203/7 من طريق عمرو بن مرزوق، والطبراني "8465" من طريق سليمان بن حرب، كلاهما عن شعبة، عن إبراهيم بن المهاجر، عن إبراهيم النخعي عن علقمة وأخرجه الحميدي "101" عن سفيان، عن المسعودي، عن القاسم، عن عبد الله بن مسعود.
 وأخرجه ابن أبي شيبة 564 / 10، والطبراني "8459" عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، به.
 وأخرجه أحمد 374/1، والطبراني "8466" من طريق هشيم، عن مغيرة بن مقسم، عن أبي رزين مسعود بن مالك، عن ابن مسعود.
 وأخرجه أبو يعلى "5150" من طريق هلال بن يساف، عن أبي حيان عن عبد الله وصححه الحاكم 319/3 ووافقه الذهبي، من حديث عمرو بن حريث، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود: اقرأ..
 وصححه الحاكم 319/3 ووافقه الذهبي، من حديث عمرو بن حريث، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود: اقرأ..
 وانظر "فتح الباري" 94/9 و 99. ذكر أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بعض أمته أن يقرأ عليه القرآن
 ...
 ذكر أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بعض أمته أن يقرأ عليه القرآن
 [735] أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا عبد الغفار بن عبد الله الزبيري، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ ، لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ
هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ ، وَإِذَا صَافَحَهُ ، لَمْ يَتْرَعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَتْرَعُهَا ، وَلَمْ يَدِرْ
مَتَقَدِّمًا بَرَكَّتِي بِهِ جِلْسًا لَقَطًا .¹

فقد جمع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم السيرة الفاضلة والسياسة التامة ، فقد
اعترف الأصدقاء وحتى الأعداء بالشمائل النقية والاستقامة الخالصة والفضائل الكريمة لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم حتى أن اليهود رغم عدم إيمانهم برسالاته قبلوه حكماً في نزاعاتهم بسبب
ما عرفوه عنه من تحريه عدم التحيز قال الله تعالى : { وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ النُّورُ أَهْلُهَا حُكْمُ
اللَّهِ } [المائدة:43]

وحتى الذين لم يؤمنوا برسالاته يعلمون يقيناً أنه أمين وصادق فيما جاء به وقد أعلنوا أنهم
لا يتهمونهم بالكذب ولكنهم جحدوا بآيات الله :قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُ فَإِنَّهُمْ
لَا يَكْتُوبُونَكَ وَلَا كَيْلَ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحُونَ }- [الأنعام:33]

تقول دائرة المعارف البريطانية : " إن محمداً هو الأكثر نجاحاً وتوفيقاً من كل الأنبياء
والشخصيات الدينية " وأن هذا النجاح لم يكن نتيجة مصادفة مجردة . لم يكن ثمرة أسقطتها الرياح
. لقد كان اعترافاً بحقيقة أن معاصريه وجدوه ذو عزم صادق . وكان نتيجة لشخصيته التي تدعو
إلى الإعجاب وتدفع بشدة إلى الانتباه .

عن عبد الله قال: قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ". قال: قلت: أقرأ عليك، وإنما أنزل القرآن عليك؟ قال:
"إني أحب أن أسمع من غيري". فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى
هَؤُلَاءِ شَهِيداً} [النساء: 41] نظرت إليه فإذا عيناه تهراقان "1"2.

1- سنن ابن ماجة، باب إكرام الرجل جليسه، ح/3716.

المطلب الثاني : استقامته في حياته و معاملاته

كان صلى الله عليه وسلم مستقيماً في أمور الحياة فلم يكن من الذين يَتَذَوَّنُ عَمَّا أَبَاحَ اللَّهُ مِنَ الْمَلَابِيسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَنَاجِحِ تَزَهَّاءً وَتَعَبَّاءً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ لَا يَلْبَسُونَ إِلَّا أَشْرَفَ الثِّيَابِ وَلَا يَأْكُلُونَ إِلَّا أَلْيَنَ الطَّعَامِ .

فَ فِي السَّنَنِ عَنْ ابْنِ عُرْوَةَ يُدْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شَهْوَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ هِمًّا الْقَيْمَةِ ثَوْبَ مَلَّةٍ تَنَمَلَهُ فِيهِ النَّارُ وَهَذَا لِأَنَّهُ قَصَدَ بِهِ الْاِخْتِيَالَ وَالْفَخْرَ فَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِقَيْضٍ ذَلِكَ فَأَذَلَّهُ كَمَا عَاقَبَ مَنْ أَطَالَ ثِيَابَهُ خِيَلَاءً بِأَنَّ خَفَّ بِهِ الْأَرْضُ فَهِيَ وَ تَجَلَّجُفِيهِ إِلَى هِمِّ الْقَيْمَةِ ."¹

1- أخرجه أبو داود، باب في لبس الشهوة. ح/4031، و ابن ماجة ، باب من لبس شهوة من الثياب، ح/3606،

3607،3608،مسند أحمد بن حنبل ، ح/5664.

وفي الصحيحين عن أبي عرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة "1

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان " قال رجل يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حنًا ونظي حنة أفمن الكبر ذلك فقال لا إله إلا الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغط الناس "2.

كما كان صلى الله عليه وسلم مستقيما في طعامه لا يود موقدا ولا يتكلف مقفودا فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاما لم يقط إن اشتهاه أكله ولا تركه .

" وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلبغها إذ فرغ وهو أشرف ما يكون من الأكلة فإن التذكر يأكل بأصبع واحد والجوع الحريص يأكل بالخص وينفع بالراحة وكان لا يأكل متكئا والاتكاء على ثلاثة أنواع أحدها : الاتكاء على الجنب والثاني : التربع والثالث الاتكاء على إحدى يديه وأكله بالأخرى والثالث منومة . وكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره فيقول عند انقضائه الصلاة حنا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا . وربما قال الصلاة الذي يطعم ولا يطعم من عطينة دانا وأطعنا وسقانا وكل بلاء حننا أبلانا الصلاة الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسا من العري وهى من الضلالة وصو

1- إسناده صحيح على شرط الشيخين .

أخرجه أحمد 136/2، والنسائي 208/8 في الزينة: باب إسبال الإزار، والبغوي 3077 من طريقين عن إسماعيل بن جعفر، بهذا الإسناد .

وأخرجه أحمد 67/2 و104 و136، والبخاري 3665 في فضائل الصحابة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذنا خيلا " ، و5784 في اللباس: باب من جر إزاره من غير خيلاء، و6062 في الأدب: باب منأنتى على أخيه بما يعلم، وأبو داود 4085 في اللباس: باب ما جاء في إسبال الإزار، والبيهقي 243/2 من طرق عن موسى بن عقبة، به .

وأخرجه أحمد 60/2 و128 و156، ومسلم 208543 و44، والنسائي 208/8 في الزينة: باب إسبال الإزار، وابن ماجه 3576 في اللباس: باب طول القميص كم هو، من طرق عن سالم بن عبد الله، به .

2- صحيح مسلم . باب تحريم الكبر ويأذنه . ح/275.

مِنَ الْعَى وَفَضَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقٍ تَفْضِيلًا الْحَدْلَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَرَمَّا قَالَ الْحَدْلَةَ
الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى . وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعْمِهِ لَعِقَ أَصَابِعَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَّ نَابِلٌ يَسْحُرُونَهَا
أَبِيهِمْ وَلَمْ يَكُنْ عَانَتْهُمْ مَّ غَلَى أَيْبِهِمْ كُلَّمَا أَكَلُوا . وَكَانَ أَكْثَرَ شُوبِهِ قَاعًا لِي زَجَرَ عَنِ الشُّوبِ قَادِمًا
وَشَرِبَ مَوْقَادًا¹

وَكَانَ إِذَا مَشَى تَكَفَّاتَ كَهْفًا وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ مَشِيَّةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : "مَا
رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ
أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشِيَّتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهَا الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ وَإِنَّا لَنَجُهِدُ
أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَخَيْرٌ مِّكَثَرٍ"²

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى
تَكَفَّاتَ كَهْفًا كَأَنَّهَا يَنْطُ مِنْ صَب"³

وَكَانَ إِذَا مَشَى تَطَّعَ وَالتَّطَّعَ الْإِرْتِفَاعُ مِنَ الْأَرْضِ بِجَمَلَتِهِ كَحَالِ الْمَنْطِ مِنَ الصَّبِّ وَهِيَ
مَشِيَّةٌ أُولَى الْغُومِ وَالْهَمَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْلَى الْمَشِيَّاتِ وَأَرْوَاهُ الْأَعْضَاءُ وَأَبْعَاهُ مِنْ مَشِيَّةٍ
لَهَا وَجْ وَالْمَهْ إِنَّهُ وَالتَّمَلُّوتِ فَإِنَّ الْمَاشِي إِذَا أَنْ يَتَمَلُّوتَ فِي مَشِيَّتِهِ وَيَسْبِي قِطْعَةً وَاحِدَةً كَأَنَّهُ خَشْبَةٌ
مَحْصُولَةٌ وَهِيَ مَشِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ قَبِيحَةٌ وَإِنَّمَا أَنْ يَسْبِي بِاتِّعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ مَشِيَّ الْجَبَلِ الْأَهْجِ وَهِيَ
مَشِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ أَيْضًا وَهِيَ نَالَةٌ عَلَى خَفَةِ عَظْمِ صَاحِبِهَا وَلَا سِيمَا إِنْ كَانَ كَثْرًا لِاتِّفَاتِ حَالِ مَشِيَّتِهِ

1- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ) ، زاد المعاد في هُي خَيْرِ الْعِبَادِ، (1) /

2- أخرجه الترمذي في سننه، باب 12 في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ح/3648. وأحمد بن حنبل في مسند أبي هريرة
، ح/8930، 8588.

3- أخرجه الترمذي في سننه، باب 8 ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ح/3637، وأحمد بن حنبل في مسند
علي بن أبي طالب، ح/746.

بَيْنَا وَشِمَالًا، وَإِنِّي هُنَا وَهِيَ مِشْيَةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ كَمَا لَوْ صَفَّ بِهِنَّ أَيْ كَمَا أَبَدِي قَالَ { وَعِبَادُ
الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عِلْمَ الْأَرْضِ هُنَا } - [الفرقان : 63]

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ تَكْوِيرٍ وَلَا تَمَلُّوتٍ وَهِيَ مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّمَعِ هَذِهِ الْمِشْيَةُ كَانَ كَأَنَّهَا يَحِطُّ مِنْ صَبِّ وَكَأَنَّهَا الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ
حَتَّى كَانَ الْمَاشِي مَعَهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُكْتَرِتٍ وَهَذَا يَلِي عَلَى
أَمْرِي أَنَّ مِشْيَتَهُ لَمْ تَكُنْ مِشْيَةً بِتَمَلُّوتٍ وَلَا بِمِشْيَةِ آتَةٍ لِي مِشْيَةً أَعْلَى الْمَشْيَاتِ.¹

يقول ابن قيم رحمه الله تعالى: " وَالْمِشْيَاتُ عَشْرَةٌ أَنْوَاعٍ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا أَوَّلُهَا وَالرَّابِعُ السَّعْيُ .
وَالْخَامِسُ الرَّطْبُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْمَشْيِ تَقَارِبِ الْخَطَى وَيُدْعَى : الْخَبَّ . السَّلَاسُ الْفَلَانُ وَهُوَ
الْعُورُ الْخَفِيفُ الَّذِي لَا يَزْعُجُ الْمَاشِي وَلَا يَكْرَهُهُ . وَالسَّابِعُ الْخُزْلَى وَهِيَ مِشْيَةُ التَّمَلُّوتِ وَهِيَ مِشْيَةُ
يُقَالُ إِنَّ فِيهَا تَكْرًا وَتَحْتًا .

وَالثَّامِنُ الْقَهْقَرَى وَهِيَ الْمِشْيَةُ إِلَى وِرَاءِ . وَالتَّاسِعُ الْجَزَى وَهِيَ مِشْيَةُ يَثْبُغُ فِيهَا الْمَاشِي وَثَبَا
وَالْعَاشِرُ مِشْيَةُ التَّبَخُّرِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعُجْبِ وَالتَّكْوِيرِ وَهِيَ الَّتِي خَفَّ اللَّهُ سُجَّانَهُ بِصَاحِبِهَا
لَمَّا ظَرَ فِي عَطْفِيهِ وَأَعَجَبَهُ نَفْسُهُ وَتَجَلَّجُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَأَعْلَى هَذِهِ الْمَشْيَاتِ
مِشْيَةُ الْهَرَمِ وَنَوَالْتِ الْكَهْوِ .²

كما صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
وسلم قال: " حُبَّ إِلَيَّ مِنْ نَيْلِكُمْ : النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجِدَّتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " .³

1- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (1، 162)

2- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ص 163 بتصرف.

3- أخرجه النسائي في سننه - باب حب النساء، ح/3940، وأحمد بن حنبل، في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه،
ح/14069، وأخرجه البزار في مسنده، ح/6879، وأبي يعلى، ح/3530.

وكان مستقيماً مع زوجته يقيم بينهما في المبيت والإيواء والفقارة، فعن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقيم فيقول ويقول اللهم هذا قسمي فيما تملك ولا أملك». يعنى القلب¹.

وكان يسابق أهله² " وكان يمزح ويقول في مزاحه الحق ويوري ولا يقول في توريته إلا الحق مثل أن يريد جهة يقصدها فيسأل عن غيرها كيف طريقها؟ وكيف مياها أو مسلكتها؟ أو نحو ذلك. وكان يشير ويشير. وكان يود العريض ويشهد الجنزة ويحب الدعوة ويشجع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم.

وصف نطه بيروقع ثوبه بيروقع لونه وطب شاته وطفى ثوبه وخدم أهله ونهه وطفى معهم اللابن في بناء المسجد وربط على بطنه الحجر من الجوع تارثببع تارة وأضاف وأضيف واحتجم في وسط رأسه وطفى ظهره قتمه واحتجم في الأخدعين والكاهل وهو ما بين الكتفين وتناوى وكوى ولم يكد ورقى ولم يتدق وحى العريض مملد ونبيه³.

كان أحسن الناس معاملةً. يجيب دعوة العبد والحر⁴ ويقبل الهدية وينيب عليها⁵ وكان إذا استسلف سلفاً قضى خيراً منه. " وكان إذا استسلف من رجل سلفاً قضاه إياه ودعاه فقال: برك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء⁶"

1- أخرجه أبو داود في سننه، سنن، باب في القسم بين النساء، ح/2136.

2- حديث مسابفته صلى الله عليه وسلم أهله أخرجه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة في مسابفته لها.

3- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، (1 / 154، 158 بتصرف)

4- أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال الحاكم صحيح الإسناد.

5- صحيح البخاري. باب المكافأة في الهبة. ح/2585

6- أخرجه النسائي في سننه، باب الاستقراض، ح/4683، وابن ماجه، باب حنى القضاء، ح/2424، أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن أبي ربيعة رضي الله عنه، ح/16457.

وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكَل و لا ملبس¹، فَعِنِ الْمَعُورِ قَالَ لَقِيتُ أَبَا نُرٍّ بِالرَّيْذَةِ ، وَعَطِيَهُ حُطَّةً ، وَعَطَى غُلَامَهُ حُطَّةً فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّي سَأَيْتُ رَجُلًا فَعَجَّرْتَهُ بِأَمِّهِ ، فَقَالَ : لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا نُرٍّ أَعَجَّرْتَهُ بِأَمِّهِ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوْلَكُمْ جَطَّهُمْ مِ اللّٰهَةِ تَحْتَ أَيْبِكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَلْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تَكْفُرُوهُمْ بِغَلْبِهِمْ فَإِنَّ كَلْفَهُمْ مَوْهُفٌ أَعْيُنُهُمْ. " 2

وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز³، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس⁴

ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه⁵ ، لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا¹

1- حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكَل ولا ملبس أخرجه محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه و سلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن ولسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر بركة أم أيمن وزيد ابن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفيينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأنا مويهمة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه و سلم يأكل مع خادمه ومسلم من حديث أبي اليسر أطمعوه مما تأكلون وألبسوه مما تلبسون .

2-أخرجه البخاري .باب الْمُطْعَمِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا يَكُونُ صَالِحًا بِإِتِكَابِهِ إِلَّا بِالشُّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ . وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿لِللَّهِ لَا يَغْوَى أَنْ يَشْرِكَ بِهِ وَيَغْوَى مَا تَوَلَّى مِنْ شَاءٍ﴾ ح/30، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَبِيدُ إِخْوَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ .ح/15. ومسلم، باب إِطْعَمِ الْمَلُوكَ مِمَّا يَلْكُلُ وَالْبَلْبَسِ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يَكْفُرُوهُ مِطْبُوبًا .ح/4403، 4405.

3- حديث كان يعود المريض ويشهد الجنائز أخرجه الترمذي وضعفه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أنس ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف وقال صحيح الإسناد

4- أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمني الله قال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد

5- أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث على بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءا بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة .

وكان صلى الله عليه وسلم رحيمًا بالأولاد فكان يعامل الصبية معاملة كلها رحمة ورقة وتلطف بهم وكان يلوم على القسوة والجمود ، فكان يحمل الصبيان ويقبلهم ويتركهم يركبونه ويضعهم في حجره ويحملهم على عاتقه حتى وهو بين يدي ربه في الصلاة .

عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال : "خرج علينا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأُمّامة بنت العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها"².

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحسن أو الحسين بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من

1- أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد قال مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا قَوْلُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ يَتُكَّحَ وَيُتَفَعَّعَ يَأْتِثَفَعَّعَ وَإِنْ قَالَ : لِيَنْسَمَعَ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ قُرَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ مَا قَوْلُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ لَا يَتُكَّحَ وَيُتَفَعَّعَ أَنْ يَلَاثَمَعَ وَإِنْ قَالَ : أَنْ يَلَاثَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا . ومسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز و جل .

2- إسناده صحيح على شرطهما، وأخرجه مسلم "543" "41" في المساجد، وأبو داود "917" في الصلاة: باب العمل في الصلاة، كلاهما عن القعني، عن مالك، به، وهو في "الموطأ" 170/1 في قصر الصلاة في السفر: باب جامع الصلاة، ومن طريقه أخرجه أحمد 295/5، 296 و 353، والبخاري "516" في الصلاة: باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، والنسائي 10/3 في السهو: باب حمل الصبايا في الصلاة، والدارمي 316/1 في الصلاة: باب العمل في الصلاة.

وأخرجه أحمد 296/5 و 297 و 304 و 310 و 311، والطيالسي 109/1، والشافعي 96/1، والحميدي "422"، ومسلم "543" "42"، والنسائي 10/3، والطبراني في "الكبير" "1066"/22 و "1067" و "1068" و "1069" و "1070" و "1071" من طرق عن عامر بن عبد الله بن الزبير، به.

قال الحافظ في "الفتح": اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، والذي أوجههم إلى ذلك أنه عمل كثير، فروى ابن القاسم عن مالك أنه كان في النافلة، وهو تأويل بعيد فإن ظاهر الأحاديث أنه كان في فريضة وسبقه استبعاد ذلك المارزي وعياض لما ثبت في مسلم: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامه على عاتقه" قال المارزي: إمامته للناس في النافلة ليست بمعهودة. وقال النووي ادعى بعض المالكية أن هذا الحديث منسوخ وبعضهم أنه من الخصائص وبعضهم أنه لضرورة وكل ذلك دعاوى باطلة مردودة لا دليل عليها وليس في الحديث ما يخالف قواعد الشرع لأن الأدمي طاهر وما في جوفه معفو عنه، وثياب الأطفال وأجسادهم محمولة على الطهارة حتى تتبين النجاسة. وقال الفاكهاني: وكان السر في حمله أمامة في الصلاة دفعا لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردهم.

الولد ما قبلت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : " من لم يرحم لأبٍ رحماً " ¹

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال : " صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدّي أحدهم

1-إسناده صحيح على شرط الشيخين، سفيان هو ابن عيينة.

وأخرجه مسلم "2318" في الفضائل: باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه، وأبو داود "5218" في الأدب: باب في قبلة الرجل ولده، والترمذي "1911" في البر والصلة: باب ما جاء في رحمة الوالد، من طرق عن سفيان، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "5997" في الأدب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، وفي "الأدب المفرد" "91"، ومن طريقه البيهقي في "شرح السنّة" "3446" عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، به.

= وأورده ابن حبان برقم "5578" في باب الحظر والإباحة من طريق معمر، عن الزهري، به. وبرقم "6947" في مناقب الصحابة، من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، به. فانظره.

وفي الباب عن جرير بن عبد الله أورده ابن حبان برقم "465".

وعن جابر عند ابن أبي شيبة 529/8.

وعن ابن عمر عند البزار "1952" أورده الهيثمي في "المجمع" 187/8، وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه عطية، وقد وثق على ضعفه،

وبقية رجال البزار رجال الصحيح.

وعن عمران بن الحصين عند البزار "1953"، أورده الهيثمي في "المجمع" 187/8، وقال: رواه البزار، وفيه من لم أعرفه.

وعن أبي سعيد الخدري عند البخاري في "الأدب المفرد" "95"، أورده الهيثمي في "المجمع" 186/8، وقال: رواه أحمد وفيه عطية -أي العوفي- وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن ابن مسعود أورده الهيثمي في "المجمع" 187/8، وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" وإسناده حسن.

واحد واحد . قال : وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أورياً كأنما أخرجها من جونة عطار

1»

كما أولى الرسول - صلى الله عليه وسلم - اليتيم المنزلة العظيمة بقوله : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً " ²

ومن أهم مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - مع اليتيم ما أخرج البخاري من حديث ابن أبي ملكية : قال ابن الزبير لابن جعفر - رضي الله عنه - : أتذكر إذا تلقينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا وأنت وابن أبي عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك ³.

1- أخرجه مسلم ح (2329) .

2- إسناده صحيح على شرط الشيخين، ابن أبي حازم: هو عبد العزيز.

وأخرجه البخاري "5304" في الطلاق: باب اللعان، ومن طريقه البغوي في "شرح السُّنة" "3454" عن عمرو بن زرارة، و"6005" في الأدب: باب فضل من يعول يتيماً، وفي "الأدب المفرد" "135"، والبيهقي في "السُّنن" 283/6 من طريق عبد الله بن عبد الوهاب، وأبو داود "5150" في الأدب: باب فيمن ضم اليتيم، عن محمد بن الصباح، والترمذي "1918" في البر: باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالاته، عن عبد الله بن عمران، كلهم عن ابن أبي حازم، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد 333/5 عن سعيد بن منصور، عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، بهذا الإسناد.

وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم "2983" في الزهد: باب إلى الأرملة، وابن ماجه "3679" في الأدب: باب حق اليتيم، والبخاري في "الأدب المفرد" "137"، والبغوي في "شرح السُّنة" "3455".

وعن أبي أمامة عند أحمد 250/5 و265، والبغوي في "شرح السُّنة" "3456"، أورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" 160/8، وضعفه بعلي بن يزيد الألهاني

3- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ح (3082) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ح 2427.

فالثلاثة صبية صغار كانوا خرجوا لتلقى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو عائد من إحدى غزواته فحمل عبد الله بن جعفر على دابته . حيث أن جعفر كان قد استشهد في مؤتة . هو وابن عمه وترك ابن الزبير لأبيه .

ويقول عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - كنت غلاماً . يتيماً . في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - فكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا غلام سم

الله وكل بيمينك وكل مما يليك " فما زالت تلك طعمتى بعد"¹

قال النووي في كفالة اليتيم : كافل بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة

تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية .²

وقال الفخر الرازي : واعلم أن اليتيم مخصوص بنوعين من العجز : عجز نتيجة صغره ، وعجز نتيجة

عدم الإنفاق على نفسه وأن من هذه حالة كان في غاية العجز واستحقاق الرحمة³

1- أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ح (4957) .

2- صحيح مسلم على شرح النووي (413/18) .

3- الفخر الرازي: التفسير الكبير ، (212/31)

المطلب الثالث : استقامته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِبَادَات

ورد عن طلحة بن عبيد الله أنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل نجد نائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خمس صلوات في اليوم والليلة" قال: هل علي غيرهن؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وصيام شهر رمضان"، قال: هل علي غيره؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال: فأدبر

الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلح إن صدق"¹

فقد عرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باستقامته واعتداله في أداء العبادات، فَكَانَ مِنْ أَيْبَرِ النَّاسِ صَبًا لِمَاءِ الْوُضُوءِ وَكَانَ يَحْزُرُ أُمَّتَهُ مِنَ الْإِسْرَافِ فِيهِ وَأَخَّرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مَنْ يَعْتَدِي فِي الطَّهْرِ وَرِوَقَالَ إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا قَالَ لَهُ لَوْلَاهُ أَفِئَاتُ قَوْمٍ وَسَوَّاسَ الْمَاءِ.¹

1- إسناده صحيح على شرطهما، أبو سهيل بن مالك: هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي التيمي المدني.

وهو في "الموطأ" 175/1 في الصلاة: باب جامع الترغيب في الصلاة، ومن طريق ملك أخرجه الشافعي في "المسند" 46/1، وأحمد 162/1، والبخاري "46" في الإيمان: باب الزكاة من الإسلام، و "2678" في الشهادات. باب كيف يستحلف، ومسلم "11" في الإيمان: باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، وأبو داود "391" في الصلاة: باب فرض الصلاة، والنسائي 228-226/1 في الصلاة: باب كم فرضت في اليوم والليلة، و 119-118/8 في الإيمان: باب الزكاة، وابن الجارود "144"، والبيهقي في "السنن" 361/1 و 8/2 و 366، 467.

وأخرجه البخاري "1891" في الصوم: باب وجوب الصوم، و "6956" في الحيل: باب في الزكاة، ومسلم "11" في الإيمان، عن يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد، وأبو داود "392" في الصلاة، عن سليمان بن داود، والنسائي 121-120/4 في الصوم: باب وجوب الصيام، عن علي بن حجر، والبيهقي في "السنن" 466/2 من طريق داود بن رشيد، و 201/4 من طريق عاصم بن علي، كلهم عن إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل بن مالك، به.

وسيعيده المصنف في كتاب الزكاة: باب الوعيد لمانع الزكاة، عن الحسين بن إدريس الأنصاري، عن أحمد بن أبي بكر، بهذا الإسناد. وقد أورده برقم "1447" في كتاب الصلاة من حديث أنس، فانظره.

وقوله: "جاء رجل" قال ابن عبد البر، وابن بطال، وعياض، والمنذري، وغيرهم: هو ضمام بن ثعلبة وافد بن سعد بن بكر، قال الحافظ في "الفتح" 106/1: والحامل لهم على ذلك إيراد مسلم قصته عقب حديث طلحة، ولأن في كل منهما أنه بدوي، وأن كلا منهما قال في آخر حديثه: "لا أزيد على هذا، ولا أنقص"، لكن تعقبه القرطبي بأن سياقهما مختلف، وأسئلتهما متباينة، ودعوى أنها قصة واحدة دعوى فرط وتكلف شطط من غير ضرورة. قال الحافظ في "المقدمة" ص 250: وهو كما قال.

"وثائر الرأس" أي شعث، وفيه إشارة إلى قرب عهده بالوفادة.

و "الدوي": قال ابن الأثير: صوت ليس بالعالى، كصوت النحل ونحوه.

قال الحافظ في "الفتح" 107/1: ووقع في رواية إسماعيل بن جعفر بن مسلم: "أفلح وأبيه إن صدق - أو دخل الجنة وأبيه إن صدق"، ولأبي داود مثله إلا أنه بحذف "أو"، وجمع بينه وبين النهي عن الخلف بالآباء بأنه كان قبل النهي، بأنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف، كما جرى على لسانهم: عقرى، حلقى، وما أشبه ذلك.

وَرَوَى عَلَى سِدِّ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ قَالَ لَهُ لَا تَسُوفُ فِي الْمَاغِقَالَ وَهِيَ فِي الْمَاءِ مِنْ إِسْرَافٍ ؟
قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرِ جَارٍ .²

وأمر بالاستقامة في أداء الصلاة وذلك بأدائها في وقتها فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الصلوات المكتوبات كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات"³

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيئا قالوا لا يبقى من درنه شيء قال "ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا"⁴

1- السنن الكبرى للبيهقي ، باب النَّهْيِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْوُضُوءِ .ح/984،985،986،987.

2- أخرجه ابن ماجة في سننه ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقُصْدِ فِي الْوُضُوءِ وَكَرَاهِيَةِ التَّجَدِّي فِيهِ ، ح/425، وأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ح/7065.

3-إسناده صحيح. حميد بن زنجويه، هو حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الأزدي، وزنجويه: لقب أبيه، ثقة، ثبت، صاحب تصانيف، وباقي رجاله على شرطهما. أبو سفيان: هو غير أبي سفيان، واسمه طلحة بن نافع الواسطي الإسكافي، فقد روى له البخاري مقرونا.

وأخرجه البغوي في "شرح السنة" "343" من طريق أبي جعفر الرياني، عن حميد بن زنجويه، بهذا الإسناد وأخرجه الدارمي 276/1، وأبو عوانة 21/2 عن علي بن حرب، كلاهما عن يعلى بن عبيد، به.

وأخرجه ابن أبي شيبة 389/9، وأحمد 426/2 و317/3، وأبو عوانة 21/2 عن علي بن حرب، ثلاثتهم عن أبي معاوية، عن الأعمش، به، ومن طريق ابنه أبي شيبة أخرجه مسلم "668" في المساجد ومواضع الصلاة: باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، والبيهقي في "السنن" 63/3.

وأخرجه أحمد 305/3 عن محمد بن فضيل، و 357/3 عن عمار ابن محمد، كلاهما عن الأعمش، به

4- أخرجه أحمد 379/2، ومسلم "667" في المساجد: باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات، والترمذي "2868" في الأمثال: باب مثل الصلوات الخمس، والبغوي في "شرح السنة" "342" عن قتيبة بن سعيد، بهذا الإسناد.

كما قال في الصلاة: " أَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ قَلْبُهُ خَفَّفَ " وعن أنس بن مالك أنه قال: "ما صليت مع

أحد أوجز صلاة ولا أكمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم" ¹

"فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَفَّ النَّاسِ صَلَاةً فِي تَمَلُّمِ فَالْتَّخْفِيفُ أَمْرٌ نَسَبِيٌّ

يُجْعَلُ إِلَى فَاعِلِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَاظَبَ عَلَيْهِ لَا إِلَى شَيْءٍ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ

وأخرجه أحمد 379/2، ومسلم "667" والترمذي "2868"، والنسائي 230/1-231 في الصلاة: باب فضل الصلوات الخمس
والبغوي "342"، عن قتيبة بن سعيد، والدارمي 268/1 عن عبد الله بن صالح، والبيهقي 361/1 من طريق ابن بكير، وأبو
عوانة 20/2 من طريق شعيب، كلهم عن الليث، عن ابن الهاد، به.

وأخرجه البخاري "528" في مواقيت الصلاة: باب الصلوات الخمس كفارة، عن إبراهيم بن حمزة، عن أبي حازم والدروردي، عن
ابن الهاد، به.

وأخرجه أبو عوانة 20/2 من طريق يعقوب بن محمد الزهري، عن عبد العزيز الدراوردي، عن ابن الهاد، به

1- أخرجه ابن أبي شيبة 52/2 عن هشيم، وأحمد 182/3 عن يحيى القطان، والبغوي في "شرح السنة" "840" من طريق
يزيد بن هارون، ثلاثتهم عن حميد الطويل، به.

وأخرجه الطيالسي "1997"، وابن أبي شيبة 55/2، وأحمد 170/3، و 173 و 179 و 231 و 234 و 276 و 279، ومسلم
"469" "189" في الصلاة: باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، والترمذي "237" في الصلاة: باب ما جاء إذا أم أحدكم
فليخفف، والنسائي 94/2، 95 في الإمامة: باب ما على الإمام من التخفيف، والدارمي 288/1، 289، وابن خزيمة في
"صحيحه" "1604"، وأبو عوانة 89/2، والبيهقي في "السنن" 115/3 من طريق قتادة، عن أنس.

وأخرجه عبد الرزاق "3718"، والطيالسي "2030"، وأحمد 162/3، ومسلم "473" في الصلاة: باب اعتدال أركان الصلاة
وتخفيفها في تمام، وأبو عوانة 90/2، من طريق ثابت البناني، عن أنس.

وأخرجه ابن أبي شيبة 54/2، والبخاري "706" في الأذان: باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها، ومسلم "469"، وابن ماجه
"985" في صحيح ابن حبان مع حواشي الأرنؤوط كاملة - (5 / 56)
الإقامة: باب من أم قوما فليخفف، وأبو عوانة 89/2، والبيهقي في "السنن" 115/3 من طريق عبد العزيز بن صهيب، عن
أنس.

وأخرجه أحمد 262/3 من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أنس.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" "726" من عطاء عن أنس.

وأخرجه أبو عوانة 89/2 من طريق زائدة عن المختار، عن أنس.

وأورده ابن حبان برقم "1856" من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، وبرقم "1886"، من طريق شريك بن أبي نمر، وبرقم
"2138" من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، كلهم عن أنس.

يَوْمَهُمْ بِأَمْرِ نَيْمٍ خَالَفَهُ وَقَدْ عَمَّ أَنْ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجِقِ الَّذِي فَدَعَهُ هُوَ التَّخْفِيفُ
الَّذِي أَمْرٌ بِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يُعْنَى أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ بِأَضْعَافٍ ضَاعِفَةٍ فَهِيَ خَفِيفَةٌ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَطْوَلِ مِنْهَا وَهِيَ الدَّيْنِيُّ كَانَ وَاطْبَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا نَزَعَ فِيهِ الْمُتَنَازِعُونَ

1 "

و أورد الطبري في تفسيره² عَنْ قَتَاتَةَ ، فِي قَوْلِهِ : {يَأْتِيهِمُ الْإِنِّينَ أَمْذُ وَلَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا
أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} الْآيَةَ ، نَكَرَ لَنَا أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَضُوا النَّسَاءَ
وَاللَّاحِمَ وَأَرَادُوا أَنْ يَخْتَالُوا الصَّوْمَ ، فَامْتَلَحَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ فِي
بَيْدِي تَرْكُ النَّسَاءِ وَاللَّاحِمِ ، وَلَا اتِّخَاذُ الصَّوْمِ وَخَبَرْنَا أَنَّ ثَلَاثَةَ فَرَعٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْقُوا فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ اللَّيْلَ لَا أَنَامُ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ لَنْهَارٍ
فَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَّا أَنَا فَلَا آتِي النَّسَاءَ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ،
فَقَالَ : أَلَمْ أَتِيكُمْ تَفْقُمُ عَلَى كَذَا فَقَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ . قَالَ : لَكُمُ
أَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَآتِي النَّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي . وَكَانَ فِي بَعْضِ
الْقَوَاعِدِ : مَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَقَدْ ضَلَّ عَنِّي سِوَاهِ السَّبِيلِ . وَنَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَنْلَسِ مِنْ أَصْحَابِهِ : إِنَّ مِنْ قَبْلِكُمْ شَتُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
فَهُمْ وَلَا يَخُونُهُمْ فِي الثُّورِ وَالصَّوْمِ ، اِعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا
الرِّكَاتَ ، وَصُومُوا رِضَانَ ، وَحُجُّوا وَاعْتَمَرُوا ، وَاسْتَقِيمُوا اسْتَقَامَ لَكُمْ.³

1- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (2 / 60)

2- الطبري: تفسير الطبري 310 (دار هجر) - (8 / 609)

3- إسناده صحيح، رجاله رجال مسلم عدا محمد بن أبي صفوان، وأخرجه أحمد 3 / 241 و259 و285، ومسلم "1401" في

النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد المؤنة، والنسائي 60/6 في النكاح: باب النهي عن التبتل، والبيهقي في "السنن" 77/7 من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "5063" في النكاح: باب الترغيب في النكاح، والبيهقي في "السنن" 77/7، والبعوي في "شرح السنة" "96" من طريق محمد بن جعفر، عن حميد الطويل، عن أنس بنحوه.

وقوله: "فمن رغب سنتي، فليس مني" قال الحافظ في "فتح الباري" 9 / 105:

وعن حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك يقول: "جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأني أصلي الليل أبدا وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر أنا أعتزل النساء ولا

أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "أنتم الذي¹ قلتم² كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"¹

المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، واعفاف النفس وتكثير النسل.

1- كذا الأصل بحذف النون على حد قول الأشهب بن رميلة:
وان الذي حانت بِلَجِّ بَمَلُومِهِمْ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّحَاتِمِ
والحادثة "الذين" وهي كذلك في جميع مصادر التخريج

2- كذا في الأصل، وصحيح البخاري، وحقه أن يقال "قالوا" حتى يكون في الصلة ما يعود إلى الموصول، وقد وقع مثل هذا في قول علي رضي الله عنه.

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

وفي قول الشاعر:

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشْقَيْتِ عَشِيَّتِي ... وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَنْعَمْتَ بِالْيَا

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَتَّى قَالَ لَا يَفْطُرُ وَيَفْطُرُ حَتَّى قَالَ لَا يَوْمَ وَمَا اسْتَكَلَى
صِيَامَ شَهْرٍ غَيْرَ رَضَانَ وَمَا كَانَ يَوْمَ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِمَّا يَوْمَ فِي شَعْبَانَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ عَنْهُ
شَهْرًا حَتَّى يَوْمَ مِنْهُ . وَكَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ² .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَفْطُرُ أَيَّامَ الْبَيْضِ
فِي سَفَرٍ وَلَا حَضْرٍ ³ . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ مِنْ غُرَّةٍ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ⁴ .

انظر "الخرزانه" 23/2. وفي رواية مسلم وأحمد: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا" قال الحافظ: ويجمع بأنه منع من ذلك عموماً جهراً مع عدم تعيينهم، وخصوصاً فيما بينه وبينهم وفقاً بهم، وستراً لهم.

1- إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو في "صحيح" البخاري "5063" في النكاح: باب الترغيب في النكاح.

2- أخرجه ابن ماجه "1739" في الصيام: باب صيام يوم الاثنين والخميس، من طريق هشام بن عمار عن يحيى، عن ثور، عن خالد، عن ربيعة بن الغاز، عن عائشة.

وأخرجه النسائي 153/4 في الصيام: باب ذكر الاختلاف على خالد بن معدان في هذا الحديث، و202/4-203 باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، والترمذي "745" في الصوم: باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، من طريق عمرو بن علي الفلاس، عن عبد الله بن داود، عن ثور بن يزيد، به. وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وأخرجه أحمد 89/6، والنسائي 153-152/4 و202 من طريق بقیة، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن عائشة.

وأخرجه أحمد 80/6 و106، والنسائي 203/4 من طريق سفيان، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن عائشة.

وأخرجه النسائي 203/4 من طريق أحمد بن سليمان، عن أبي داود، عن سفيان، عن منصور، عن خالد بن سعد، عن عائشة.

3- سنن النسائي، باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، ح/2345.

4- إسناده حسن. رجاله رجال مسلم غير عاصم -وهو ابن بهدلة- فإن الشيخين روي له مقروناً، وهو صدوق. أبو داود: هو الطيالسي، وشيبان: هو ابن عبد الرحمن النحوي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ما ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوملتهم أروت قوم اللأيف قلت بلى يا رسول الله قال فلا تفتي صم وأفطر وقم ونم فإن لجبدك عليك حقًا وإن لعبدك عليك حقًا وإن لزورك عليك حقًا وإن بزورك عليك حقًا وإن بحببك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله فشددت فشددت علي قلت يا رسول الله إنني أجد قوه قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ، ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داود - عليه السلام - قال نصف الدهر فكان عبد الله يقول بعد ما كبر لآيتي نبي قنلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم.¹

وهو في "مسند الطيالسي" "360" ومن طريقه أخرجه أبو داود "2450" في الصوم: باب في صوم الثلاثة من كل شهر، وابن خزيمة "2129"، والبيهقي 294/4.

وأخرجه أحمد 406/1، والترمذي "742" في الصوم: باب ما جاء في صوم يوم الجمعة، والبخاري "1803" من طرق عن شيبان، به. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. انظر الحديث رقم "3645".

1- إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عمر بن عبد الواحد فقد روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو ثقة.

وأخرجه أحمد 198/2، البخاري "1975" في الصوم: باب حق الجسم في الصوم، و"5199" في النكاح: باب لزورك عليك حق، والبيهقي 299/4، طرق عن الأوزاعي، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري "1974" في الصوم: باب حق الضيف في الصوم، و"6134" في الأدب: باب حق الضيف، ومسلم "1159" "182" و"183" في الصيام: باب النهي عن صوم الدهر، وابن خزيمة "2110"، والطحاوي 85/2 من طرق عن يحيى بن أبي كثير، به.

وأخرجه أحمد 189/2 و200، الطحاوي 86/2 من طريقين عن أبي سلمة، به.

وأخرجه الطيالسي "2255"، وعبد الرزاق "7863"، وأحمد 199/2، والبخاري "1153" في التهجد: باب رقم "20"، و"1977" في الصوم: باب حق الأهل في الصوم، و"1979" باب صوم داود عليه السلام، و"3419" في الأنبياء: باب قوله تعالى: { وَأَتَيْنَا دَاوُودَ وَرَأْسًا } (النساء: من الآية 163)، ومسلم "1195"، وابن خزيمة "2109" و"2152"، والبيهقي 16/3 و299/4 من طرق عن أبي العباس السائب بن فروخ الشاعر، عن عبد الله بن عمرو.

وأخرجه أحمد 200/2 من طريق مطرف بن عبد الله، والبخاري "1978" باب صوم يوم وإفطار يوم، و"5052" في فضائل القرآن: باب قول المقرئ للقارئ: حسبك، من طريق مجاهد، والطحاوي 86/2 من طريق طلحة بن هلال أو هلال بن طلحة، ثلاثتهم عن عبد الله بن عمرو، بنحوه. ونظر "3638" و"3640" و"3658" و"3660".

(2) قال البخاري في "صحيحه" 531/10: يقال: هو زور وهؤلاء زور وصيف، ومعناه أضيافه وزواره، لأنها مصدر مثل: قوم رضا وعدل، ويقال: ماءان غور ومياه غور.

وَأَمَّا صِيَامُ يَوْمِ عَشُورَاءَ فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى صَوْمَهُ عَلَى سَلْدَرِ الْأَيْلِيمِ فَبَعِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
 قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدَ لَهَا وَدَّ صِيَامًا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا يَوْمٌ
 أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى ، وَأَغْرَقَ فِيهِ فِرْعَوْنَ ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ ، فَصَامَهُ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.¹

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَضَانَ حَتَّى تَوْفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَتَرَكَهُ مَرْتَفَقًا فِي شَوَالٍ . وَاعْتَكَفَ مَرَّةً فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ الْأَوْسَطِ ثُمَّ الْعَشْرِ الْأَخِيرِ يَلْتَمِسُ
 لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهَا أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ فَدَامَ عَلَى اعْتِكَافِهِ حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .²

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُرَيْبِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ
 فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَضَانَ فَاَعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي
 يَخْرُجُ مِنْ صِدْقَتِهَا أَمِنْ اعْتِكَافِهِ قَالَ مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِيَ فَبَعِيَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ وَقَدْ أُرِيْتُ هَذِهِ
 اللَّيْلَةَ ثُمَّ سَبَّيْتُهَا أَوْ قَدَرْتُ يَدِي أَسْجُدَ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صِدْقَتِهَا أَوْ فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ
 وَالْتَمَسُوهَا فِي كُلِّ وَتَرٍ فَطَرَّتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَيْشٍ فَوْكَهَ الْمَسْجِدُ
 فَصَبَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبِّهِ تَبَهُ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبْحِ إِحْدَى
 وَعِشْرِينَ.³

قال الحافظ: وقال غيره: الزور جمع زائر، كراكب وركب، قلت "القائل ابن حجر": وهو قول أبي عبيده، وجزو به في "الصحيح". قلت: ولفظ "التقاسيم": لزوارك.

1- سنن ابن ماجه، باب الصيام، ح/1734.

2- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (2 / 84)

3- إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في "الموطأ" 319/1 في الاعتكاف: باب ما جاء في ليلة القدر. ومن طريقه أخرجه البخاري "2027" في الاعتكاف: باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها، وأبو داود "1382" في الصلاة: باب فيمن قال: ليلة إحدى وعشرين، وابن خزيمة "2243"، والبيهقي 309/4، و البغوي "1825". وأخرجه البخاري "2018" في فضل ليلة القدر: باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، من طريق ابن أبي حازم والدروردي، عن يزيد، به.

وقد أخرج مالك في الموطأ عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أراد أن يعتكف فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف فيه وجد أختيه خباء عائشة وخباء حفصة وخباء زينب فلما رآها سأل عنها فقيل له هذا خباء عائشة وخباء حفصة وزينب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم آلبر تقولون بهن ثم انصرف فلم يعتكف حتى اعتكف عشرة من شوال وسئل مالك عن رجل دخل المسجد لعكوف في العشر الأواخر من رمضان فأقام يوماً أو يومين ثم مرض فخرج من المسجد أوجب عليه أن يعتكف ما بقي من العشر إذا صح أم لا يجب ذلك عليه وفي أي شهر يعتكف إن وجب عليه ذلك فقال مالك يقضي ما وجب عليه من عكوف إذا صح في رمضان أو غيره وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أراد العكوف في رمضان ثم رجع فلم يعتكف حتى إذا ذهب رمضان اعتكف عشرة من شوال والمتطوع في الاعتكاف في رمضان والذي عليه الاعتكاف أمرهما واحد فيما يحل لهما ويحرم عليهما ولم يبلغني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان اعتكافه إلا تطوعاً¹

وَكَانَ يَأْمُرُ بِخَبَائِعٍ يُضْرَبُ لَهَا فِي الْمَسْجِدِ يَخْدُو فِيهِ بَرِيهَ غَزٍّ وَجِلٍّ . وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِعْتِكَافَ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ نَخَّاهُ فَأَمَرَ بِهِ مَرَّةً فَضْرِبَ فَأَمَرَ أَزْوَاجَهُ بِأَخْبِيَّتِهِنَّ فَضُرِبَتْ فَلَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ ظَرَ فَرَأَى تِلْكَ الْأَخْبِيَّةَ فَأَمَرَ بِخَبَائِعِهِ فَفُوضَ ، وَتَرَكَ الْإِعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعُثْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَالٍ . وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ سَنَةٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ يُعَارِضُهُ جَبْرِيْلُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ وَكَانَ يُعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَيْضًا فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَعَرِضَ عَلَيْهِ تِلْكَ السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ نَخَلَتْهُ وَجْهٌ وَكَانَ لَا يَخْلُ سِتَّاهُ فِي حَالِ اعْتِكَافِهِ إِلَّا لِحَاجَةٍ²

وأخرجه أحمد 7/3 و24، والحميدي "756"، والبخاري "2040" في الاعتكاف: باب من خرج من اعتكافه عند الصبح، من طرق عن أبي سلمة، به.

قوله "فوكف المسجد" أي: سال ماء المطر من سقفه.

1- الموطأ - رواية يحيى الليثي -باب قضاء الاعتكاف، ح/690.

2- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (2 / 85)

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْبَرَ النَّاسِ صِدْقَةً بِمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ وَكَانَ لَا يَتَكَبَّرُ شَيْئًا أُعْطَاهُ لَه تَعَالَى وَلَا يَتَذَكَّرُهُ وَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ شَيْئًا عِنْدَهُ إِلَّا أُعْطَاهُ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا وَكَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ وَكَانَ الْعَطَاءُ وَالصَّدَقَةُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ وَكَانَ سُورُهُ وَفَرْحُهُ بِمَا يُعْطِيهِ أَكْبَرَ مِنْ سُورِ الْأَخْذِ بِمَا يَأْخُذُهُ وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ يَمِينُهُ كَالرَّيْحِ الْمُسَلِّمَةِ . وَكَانَ إِذَا عَضَّ لَه مُتَدَاخِلَ أَثَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ تَارَةً بِطَعْمِهِ وَتَارَةً بِلَبْسِهِ . وَكَانَ نَوْعٌ فِي أَصْنَافِ عَطَائِهِ وَصَدَقَتْ تَارَةً بِالْهَبَةِ وَتَارَةً بِالصَّدَقَةِ وَتَارَةً بِرِقَابِهَا نِيَّةً وَتَارَةً بِشِرَاءِ الشَّيْءِ ثُمَّ يَعْطِيهِ لِبَيْعِ الثَّمَنِ وَالسَّلْعَةِ جَمِيعًا¹

وكان صلى الله عليه وسلم لا يبييت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه²

يقول ابن قيم رحمه الله تعالى : وَتَارَةً كَانَ يَقْرِضُ الشَّيْءَ فَيُدَّ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ وَأَكْرَمَ وَيَسْتَدْرِ الشَّيْءَ فَيُعْطِي أَكْثَرَ مِنْ تَمَذُّهِ وَيَقْبَلُهَا نِيَّةً وَيُكْفِي عَطِيَّتَهُ أَبْأَكْثَرَ مِنْهَا أَوْ بِأَضْعَفِهَا تَالَطُّهَا وَتَنُوعًا فِي ضُرُوبِ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَكَانَتْ صَدَقَاتُهُ وَإِحْسَانُهُ بِمَا يَهْدِيهِ وَيُحَالِلُهُ وَيُحَالِلُهُ وَيُحَالِلُهُ فِي خُرُوجِ مَا عِنْدَهُ وَيُلْمُ بِالصَّدَقَةِ وَيُضَعُّ عَلَيْهَا وَيُدْعُو إِلَيْهَا بِإِحْسَانِهِ وَقَوْلُهُ فَإِذَا رَأَى الْبَخِيلَ الشَّحِيحَ نَعَاهُ حَالَهُ إِلَى الْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ وَكَانَ مَنْ خَالَطَهُ وَصَحِبَهُ وَرَأَى هَيْبَةَ لَا يَهْدِيكَ نَفْسَهُ مِنَ السَّمْحَةِ وَالنَّيِّ . وَكَانَ هَيْبَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَإِنَّكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَحَ الْخَلْقِ صَدْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ وَفِي الْمَعْرُوفِ

1- ابن قيم الجوزية : نفسه ص 22

2- أخرجه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويبيع بلال لذلك ووفى دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم ديناران قال انظر أن تريحني منهما فليست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث وللبخاري من حديث عقبة بن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلًا كان لا يقبل ما لا عنده ولا يبيته.

تَأْتِيرًا عَجِيبًا فِي شَرْحِ الصِّدْرِ وَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَى مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ بِالْبَيِّنَةِ وَالرَّسَالَةِ
وَصَدَائِقِهِ وَذَوَابِعِهِ¹ وَشَرَحَ صَدْرَهُ حِصَاً وَإِخْرَاجَ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ¹

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ النِّكَرِ لِي كَانَ كَلَامَهُ كُلَّهُ فِي نِكْرِ اللَّهِ ، يَجْرِي الذِّكْرُ مَعَ
أَنْفَاسِهِ أَدَمًا وَقَاعًا وَعَطَى حَبِيهٍ وَفِي شَيْهِ وَرُكُوبِهِ وَمَسِيرِهِ وَذُرُولِهِ وَطَعْمِهِ وَقَامَتِهِ .

قَالَتْ عَادِثَةٌ : كَانَ إِذَا هَبَّ مِنْ اللَّيْلِ كَوَلَّاهُ عَثْرًا ، وَحَمَلَلَهُ عَثْرًا ، وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَدِّهِ عَثْرًا ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُوسِ عَثْرًا ، وَاسْتَغْفَرَ لِلَّهِ عَثْرًا ، وَهَلَّ عَثْرًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مَ إِنِّي
أَعُذُّ بِكَ مِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا ، وَضَيْقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَثْرًا ، ثُمَّ يَتَدَقَّقُ الصَّلَاةَ .²

وَقَالَتْ أَيْضًا : كَانَ إِذَا اسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لِلَّهِ إِلَّا أَتَى سُبْحَانَ اللَّهِ مَ اسْتَغْفِرُكَ لِنَبِيِّ ،
وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً لَطَّلَهُ مَ زِنْدِي عِلْمًا وَلَا تُزْغِ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَيَّيْتَنِي ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَتَى
الْوَهَابُ³ وَأَخْرَجَ أَنْ مِنْ اسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ
الْحُدُودُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ [الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ] ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مَ اغْوِلِي أَوْ نَعَا بِدُعَاءٍ آخَرَ اسْتَجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ
وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ⁴

1- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد، ص22

2- سنن أبي داود، باب ما يقول إذا أصبح، ح/5087. والنسائي في السنن الكبرى، ح/10641.

3- سنن أبي داود . باب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، ح/5063.

4- صحيح البخاري باب فضل من تعار من الليل صلى. ح/1154.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَبِيدِهِ عِنْدَهُ إِنَّهُ لَمَّا سَدَّ يَفْظَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِيمَ مِنْ سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } .
 .. إِلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مَكَامِكَ الْحَمْدُ أَنْتَ ذُرُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْحِجَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ لِلَّهِ مَكَامِكَ أَسَلِمْتُ وَدَكَ أَمْتُ وَطَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَتَيْتُ وَدَكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْزِلِي مَا قَتَمْتُ وَمَا أَخَرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي ، لِإِلَهِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ¹ .

وَقَدَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لِلَّهِ مَرْبِّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَائِيلَ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قَالَتْ كَانَ يَقْتَرِحُ صَلَاتَهُ بِذَلِكَ .
 وَكَانَ إِذَا أُوْتِرَ حَتَمَ وَتَرَهُ بَعْدَ فَرَاغِهِ قَوْلَهُ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقَوْسِ ثَلَاثًا ، وَيَسَّالِثَلَاثَةَ صَوْتَهُ ² .

أَمَّا هَيْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجِّهِ وَعُودِهِ ، فَقَدْ اعْتَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَرْبَعًا عَشْرًا فِي نَبِيِّ الْقَعْدَةِ ، الْأُولَى : عُدَّةُ الْحَيْيَةِ ، وَهِيَ أَوْلَاهُنَّ سَنَةَ سِتِّ فَصَدَّ الشُّرُكُونَ عَنِ الْبَيْتِ فَنَحَرَ ابْنُ حَبِشَةَ بِالْحَيْيَةِ وَطَقَ هُوَ أَصْحَابُهُ رُؤْسَهُمْ وَطَوَّأَ مِنْ إِحْرَامِهِمْ رَجَعَ مِنْ عَامِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . الثَّانِيَةُ عُدَّةُ الْقَضِيَّةِ فِي الْعَمَلِ الْمُقْبِلِ نَحَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ الْيَوْمَ الَّذِي قَرِنَهُ لَمَعَ حَجَّتِهِ فَإِنَّهُ كَانَ قَارِنًا ، الرَّابِعَةُ عُدَّتُهُ مِنَ الْجَوَانَةِ ، لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ ، ثُمَّ جَعَلَ إِلَى مَكَّةَ ، فَاعْتَمَرَ مِنَ الْجَوَانَةِ دَاخِلًا لَهَا ¹ .

فِي " الصَّحِيحَيْنِ " : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا عَشْرًا فِي نَبِيِّ الْقَعْدَةِ الْإِلَاطِي كَانْتَمَعَ حَجَّتَهُ عُدَّةً مِنَ الْحَيْيَةِ أَوْ زَمَنَ الْحَيْيَةِ فِي نَبِيِّ

1- صحيح البخاري باب قول الله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) . ح/7385 . صحيح مسلم ، باب الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ . ح/1844 .

2- صحيح مسلم ، باب الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ . ح/1847 ، صحيح ابن خزيمة ، باب استحباب مسألة الله عز و جل الهداية لما اختلف فيه من الحق عند افتتاح صلاة الليل ، ح/1153 .

الْقَعْدَةُ وَعِدَّةٌ مِنَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعِدَّةٌ مِنَ الْجَعَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَدَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي
الْقَعْدَةِ وَعَرَفَ حَجَّتَهُ¹

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستقيماً في كل الأمور، فقد سلك نهج الاعتدال
والوسطية هُمْ يَحْرِفُ أَنْحِرَافَ الْغَالِيْنَ وَلَمْ يَقْصِرْ تَقْصِيرَ الْفَرَطِيْنَ وَهَذَا مَا بَيْنَتْهُ سِيرَتُهُ الْعَطْرَةَ

1- إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه البيهقي 10/5 من طريق الحسن بن سفيان، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري 4148 في المغازي : باب غزوة الحديبية، ومسلم 1253 في الحج : باب بيان عدد عَوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْمَانَهَا، وَأَبُو دَاوُدَ 1994 فِي الْمَنَاسِكِ : بَابِ الْعِمْرَةِ، وَابِيهَقِي 10/5، وَابِيهَقِي 1846 مِنْ طَرِيقِ عَنِ هَدِيَّةِ بْنِ خَالِدٍ، بِهِ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ 134/3 وَ256، وَابِيهَقِي 1778 وَ1779 فِي الْعِمْرَةِ : بَابِ كَيْفِ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُسْلِمٌ 1253، وَأَبُو دَاوُدَ 1994، وَالتِّرْمِذِيُّ 815 فِي الْحَجِّ : بَابِ مَا جَاءَ كَيْفَ حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنُ خَزِيمَةَ 3071، وَابِيهَقِي 10/5 مِنْ طَرِيقِ عَنِ هَمَّامٍ، بِهِ.

خاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد وصلت بحمد الله وتوفيقه إلى خاتمة هذا البحث الذي تناولت فيه موضوع " الاستقامة : أسسها وأبعادها " وكان الهدف المنشود هو الخروج بتصوير حول الموضوع، إلى جملة من النتائج جاءت كالآتي:

- إنَّ المعنى اللغوي للاستقامة هو الاعتدال والاستواء وضدها الاعوجاج، أما معناها الاصطلاحي فهو العمل بطاعة الله ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك الشرك واجتناب المعاصي وهي تعني الوسطية والاعتدال بغير ميل إلى طرفي الإفراط والتفريط، وهي أساس كمال الاعتقاد وأساس الأعمال الصالحة، وتشمل كل أمر ديني ودنيوي .

-أما حقيقة الاستقامة فهي تتضمن أمرين : أولهما: الإقامة على الإسلام والسير على الطريق السوي، ثانيهما :الدوام على هدى الله عز وجل والاستمرار في التقيد بقيوده والثبات على طريقه حتى الممات.

-للاستقامة فضل عظيم، فهي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، فالله عز وجل قد أنثى على أهل الاستقامة، ووعدهم بالثواب الجزيل، وبالأجر العظيم، وبشرهم بالجنة التي وعدهم بها وقبض

لهم ملائكة يكونون قرناءهم في الحياة الدنيا، ويشهدون بالثناء عليهم، فهي خاصة برفقتهم وولائهم، تؤثر على أرواحهم بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية، فتكون ولاية الملائكة لهم باقية.

-للاستقامة ثلاث درجات، أما الأولى: فهي الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد

الدرجة الثانية: استقامة الأحوال، الدرجة الثالثة: استقامة بترك رؤية الاستقامة وبالغيبية

عن طلبها.

-للاستقامة أسس ومقتضيات أهمها :

الهداية، وهي على نوعين: هداية دلالة، وهداية معونة.

العبادة: وهي لا تتم إلا بتوفر أصليين عظيمين، أحدهما: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثانيهما: الإخلاص للمعبود. وباعتبار هذين الأصليين يصنف الناس إلى أربعة أقسام: القسم الأول: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة.

القسم الثاني: الذين لا يخلصون العبادة لله ولا يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم، فأعمالهم تفقد الإخلاص وتمتاز بالرياء. القسم الثالث: هم الذين في العبادة، لكن عبادتهم على غير اتباع لما أمر به الله وبينته السنة الشريفة. القسم الرابع: هم العباد الذين اتبعوا تعاليم الدين في العبادة، لكن عبادتهم تفتقر إلى الإخلاص.

والعبادة من حيث النوع: عامة وخاصة. أما العامة فيدخل فيها جميع الناس مؤمنهم وكافرهم. أما العبودية الخاصة: فهي عبادة المؤمنين المخلصين الطائعين المحبين لله.

وللعبودية مراتب بحسب العلم والعمل، أما مراتبها العلمية فمرتبتان، إحداهما: العلم بالله، والثانية العلم بدينه. أما العلم به سبحانه فخمس مراتب: العلم بذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه

وتتزيهه عما لا يليق به. والعلم بدينه مرتبتان: إحداهما: دينه الأمرى الشرعى، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه. والثانية: دينه الجزائى، المتضمن ثوابه وعقابه.

والعبادة هي الغذاء الروحى للعبء، بها يحصل انشراح الصدر، وتفريج الكرب والتوطين على الصبر، كما أنها تورث التقوى والاستقامة وصلاح النفس.

أما الأساس الثالث من أسس الاستقامة فهو اتباع الصراط المستقيم، واختلف السلف الصالح فى تفسير الصراط إلى عدة أقوال أهمها: الإسلام، القرآن، طريق الجنة، طريق السنة والجماعة. وحاصل هذه الأقوال هي أن الصراط المستقيم: هو متابعة الله وللرسول صلى الله عليه وسلم وهذه المتابعة لا تتم إلا باتباع الإسلام، الذى يعتبر القرآن منهاجا له، واتباع القرآن نهتدي إلى طريق الجنة، فطريق الله واحد مستقيم، لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فهو المنهج المتبع لمرضاته، ونيل سعادة الدنيا والآخرة، وهو إفراة بالعبودية وإفراة رسوله بالطاعة، ولا طريق لعباده سواه، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، وليس أمام تارك النور إلا الظلمات.

أما الأساس الرابع فهو التوحيد، وهو إفراة الله تعالى فى ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وعليه فالتوحيد ثلاثة أنواع هي: توحيد الربوبية، توحيد الإلهية أو توحيد الإرادة والقصد، توحيد الأسماء والصفات ويسمى أيضا توحيد المعرفة والإثبات.

والأساس الخامس: اجتناب الطاغوت، وقد عرف العلماء والمفسرون الطاغوت بتعريفات مختلفة كلها تتضمن معنى مجاوزة الحد، فكل تجاوز للحدود متضمن لمعنى الإفراط والتخبط والخروج عن حيز الاعتدال. وقد ورد الطغيان فى القرآن الكريم بعدة معان مختلفة، لكنها تشترك كلها فى المعنى اللغوى، وهو مجاوزة الحد، ومن أهم هذه المعاني: الضلال والكفر، الطغيان السياسى، العلو والارتفاع والكثرة، الإسراف فى الظلم والعصيان، العقوق ومجاوزة الحد فى التعامل مع الوالدين.

وقد تبين خلال البحث أن الطاغوت في الإطلاق القرآني يقصد به كل من جاوز حده، ولا سيما الحاكم وتعدى وبغى على الناس واستعبدتهم.

ومن أهم أسباب ودوافع الطغيان: التكبر والغرور كما هو الحال مع نمروود الذي حاج إبراهيم في ربه وادعى الإحياء والإماتة، وفرعون الذي ادعى الألوهية، وقارون وهامان..

ومن الدوافع القوية للطغيان هوى النفس، فهو يؤدي بالإنسان إلى الخروج عن طاعة الله سبحانه.

أما مجالات الاستقامة: فهي شاملة لأصول الدين وفروعه، فهي تشمل الشرائع و الأخلاق،

والعقائد، فالقرآن يعتمد منهج الاستقامة والاعتدال في الشرائع سواء في العبادات أو في المعاملات أو في العادات، فيلتزم الوسطية، ويرفض التطرف الذي يقتضي الميل إلى جانب على حساب آخر.

المجال الأول: الاستقامة في العبادات: تكون بأداء الفرائض بشروطها وأركانها في أوقاتها ويشترط فيها المداومة. وهي مطلوبة أيضا في أمور الحياة كاللباس والمأكل والإنفاق، وقد جاءت في باب المعاملات، فالإسلام أحلّ بعض المعاملات التي يحتاجها الناس في حياتهم حتى تستقر حياتهم وتستقيم، وحرّم بعضها لما فيها من غرر وخداع.

الاستقامة في الأخلاق: الخلق في اللغة يدل على الصفات الطبيعية الفطرية في خلقة الإنسان، وهي على هيئة مستقيمة متناسقة، كما تدل الأخلاق على الصفات المكتسبة، وتختص بجانبين في حياة الإنسان، جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري.

وللنظام الأخلاقي في الإسلام طابعان مميزان، طابع إلهي من حيث أنه مراد الله، طابع إنساني من حيث إن هذا النظام عام في بعض نواحيه يتضمن المبادئ العامة.

ولذلك نجد أن أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية: أن مصدر الالتزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى، وهي لا تحكم على الأفعال بظاهرها وحسب، ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التي تحرك الإنسان، كما أن مبادئها تقنع العقل وترضي القلب والوجدان، فالأخلاق الإسلامية شاملة لكل نواحي الحياة، حيث أن لها علاقة بالعبادة والشريعة والسلوك والضمير.

وميزة الأخلاق التي حث القرآن الكريم على الالتزام بها، الوسطية والاعتدال والاستقامة، فكل خلق محمود هو فضيلة بين رذيلتين، وهو وسط بينهما، وطرفاه خلقان ذميمان .

وليتم حسن الخلق لا بد من توفر أربعة شروط في الباطن: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل، فإذا استقامت واعتدلت حصل حسن الخلق عند صاحبها . أما أمهات الأخلاق وأصولها فهي أربعة: الحكمة، والشجاعة ، والعفة ، والعدل.

أما مصادر الأخلاق الإسلامية : فالمصدر الأساسي هو الوحي الإلهي ، ويعتبر العقل المصدر الثاني للأخلاق الحسنة، وأن هذه الأخلاق تميزت بجملة من الخصائص هي : أنها وسطية متوازنة، معللة للأوامر التي أمر الله عز وجل ، تمتاز بالواقعية والشمولية.

المجال الثالث: الاستقامة في العقائد: جاءت العقيدة الإسلامية مستقيمة وهي وسط بين العقائد الأخرى فلا إفراط ولا تفريط ومن أمثلة اعتدالها: استقامتها : في باب توحيد الله وأسمائه، في باب القضاء والقدر، في مسألة الإيمان والدين، في مسألة الصحابة رضي الله عنهم، في مسألة أولياء الله .

وتتاول الفصل الثالث من فصول البحث، أبعاد وآثار الاستقامة على الفرد والمجتمع، ف جاء هذا الفصل مقسما إلى مبحثين، المبحث الأول: تتاول الأبعاد التي ترمي الاستقامة إلى تحقيقها للفرد، فالهدف الرئيس للاستقامة في القرآن الكريم هو إصلاح حال الفرد، وحتى يصلح حاله، لا بد من صلاح عقيدته، وأخلاقه وعلاقاته مع غيره.

فتستقيم عقيدة الفرد بالعمل على طاعة الله واجتتاب معصيته والاعتراف بريوبيته وإقرار وحدانيته وعدم التوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى جانب التشبيه والتمثيل، بل يمضي على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل.

وخلق الاستقامة يحقق في النفس الإنسانية الطمأنينة والراحة، ويعمل على إصلاحها وحفظها، ومن أبرز سمات الاستقامة في القرآن الكريم الاعتدال والتوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وأقرب مثال على ذلك العبادات التي تعنى بالجانب الروحي والمادي في الإنسان.

أما المبحث الثاني فقد تناول الأبعاد التي ترمي إليها الاستقامة لإصلاح المجتمع، وقد تبين من خلال البحث أن أول هذه الأبعاد هي إصلاح أخلاق المجتمعات، فإن أي مجتمع لا يستطيع أفراداه أن يعيشوا حياة راقية ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، فهي ضرورة اجتماعية.

كما أن المقصد العام الذي تهدف الاستقامة إلى تحقيقه هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه.

الفصل الرابع من فصول البحث هو عبارة عن نموذج للاستقامة وخير أنموذج هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تبين أنه صلى الله عليه وسلم كان خير قدوة للمؤمنين في الاستقامة، فقد كان مستقيماً في أخلاقه وفي عباداته وفي معاملاته. فقد اجتمع فيه من خلال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد، فقد اعترف الأصدقاء وحتى الأعداء بشمائله النقية واستقامته الخالصة، كما كان صلى الله عليه وسلم مستقيماً في أمور الحياة وفي معاملاته فلم يكن من الذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح ، ولم يكن من الذين يسرفون في الملبس والمأكل.

وكان مستقيماً مع زوجته يقسم بينهما في المبيت والإيواء والنفقة، وكان أحسن الناس معاملة، يجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ويثيب عليها، يعود المرضى ويشهد الجنائز ، وكان رحيماً بالأولاد.

كما عرف باستقامته في عباداته فكان يصلي ويرقد ويصوم ويفطر، ويعتكف ويكثر الصدقة والذكر

،

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستقيماً في كل الأمور، فقد سلك نهج الاعتدال والوسطية هُم يَحْرِفُ أَنْحِرَافَ الْغَالِيْنَ وَلَمْ يَقْصِرْ تَقْصِيرَ الْفُرْطِينِ وهذا ما بينته سيرته العطرة . فلم يشهد التاريخ البشري أعظم استقامة منه صلى الله عليه وسلم.

الفهارس

فهرست الآيات القرآنية

فهرست الأحاديث النبوية

والآثار

فهرست الأشعار

فهرست المراجع

فهرست المواضيع

فهرست الآيات القرآنية:

الصفحة	رقم الآ	السورة
		الفتحة
254،58	5	{ يَا كُفْرًا وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }
،52،33،10،7 ،89 ،87،56 ،249،94 ،93 ،254	6	{ أَهِنَّا لَمَصْرَاطٍ الْمُنْتَقِمِينَ... }
151	7	{ غَيْرِ الْمُنْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ضَالِّينَ }
		البقرة
153	3	{ وَنُذِرُونَ بِالْغَيْبِ... }
99	4	{ لَذَلِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ مِنْ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْضَحُونَ }
130 ،129	15	{ لِلَّهِ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ وَيُؤْتُهُمْ فِي طَٰغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ... }
172	21	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ... }
250	40	{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ }
168	43	{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا فِيهَا بِمُلْكٍ لَّكُمُ الْوَسْطَىٰ وَالرَّكِبِ }
165	45	{ إِنَّهَا أَكْبَرُ إِلَّا عَلَىٰ الْخَاشِعِينَ }
3	20	{ يَكَادُ الْبَرُّ إِذَا اتَّخَذَ أُصْرَهُمْ كُلًّا مَا... }
251،110،58	2،21	{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِبُوا رَبَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ... }
78	9،28	{ كَيْفَ كَفَرُونَ بِاللَّهِ وَكَتَبُوا لَهُ سَمَاتًا فَأَحْيَاهُمْ فِيهَا فَمِيتَهُمُ مِيتَةً... }
156	43	{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا فِيهَا بِمُلْكٍ لَّكُمُ الْوَسْطَىٰ وَالرَّكِبِ }

147	87	{لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ...}
191	102	{مَا هِيَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ}
33	142	{يَهْدِي مِنْ شِئَاءٍ لِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }
249،150،10، 275	143	{وَكَلَّاكَ جَنَّاتُكُمْ مَمَّ وَسَطًا...}
54	148	{وَأَكْلُ جَهَنَّمَ هُوَ أَسَدَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...}
292	153	{إِنَّ هَـٰلِكَ الصَّابِرِينَ}
225	155، 156	{وَشِرِّ الصَّابِرِينَ * لَنُنِيزَ إِذَا سَأَلْتَهُمْ مَ صِيبَةً لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}
81	165	{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا حُبُّونَهُ}
206	177	{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ وَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَلَى الْمَشْرِقِ.....}
257،234،173	183	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَدَّوْا كِتَابَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامَ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ بَلَدِكُمْ. عَلَيْكُمْ تَقْوَانِ}
173، 149، 25	185	{رِيدُ لِلَّهِ بِكُمْ لِيَسُرَّ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ لَعُسْرَ ..}
235	197	{فَمَنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ: لَا فِثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِبَالٍ فِي الْحَجِّ وَمَا تَقَطُّوْا مِنْ خَيْرٍ.....}
259	197، 200،	{الْحَجُّ شَهْرٌ مَطُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ: لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِبَالٍ فِي الْحَجِّ.....}
274	200،	{فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا هِيَ الْآخِرَةُ مِنْ خَلْقٍ مِنْهُمْ مَ مِنْ.....}
259	203	{وَانكُرُوا هَـٰ فِي أَيَّامٍ مَعُونَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَمِينِ: لَا تَمَّ عَلَيْهِ وَمِنْ أَعْرَ: لَا تَمَّ عَلَيْهِ لَمِنْ.
295،294،287	205	{وَإِذَا وَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ يُفْسِدْ هَـٰ بِهَـٰكُ وَالنَّسْلِ لِلَّهِ لَا حِبُّ.....}

34	213	{اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {
136	256	{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: دَرَبَيْنِ الرَّشْدَ مِنَ الْعِيِّ فَمَنْ يَكْفُرِ الطَّأْغُوتِ....}
140، 136	257	{لِلَّهِ وَلِيُّ الَّذِينَ مَذُومًا وَخَرَجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ لِي بِالَّذِينَ.....}
222	269	{وَتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمِنْ وَتِ الْحِكْمَةَ قَدْ أُو خَيْرًا....}
		آل عمران
155	19	{رَبِّ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا خَلَفَ لِلَّذِينَ وَتُوا لِكِتَابِ الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا....}
80	31	{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُ أَتَبِعُونِي: حُبُّكُمْ لِلَّهِ....}
57	51	{إِنَّ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ أَعْبُدُوهُ هَذَا....}
3	75	{إِلَّا مَا نَمَتَ عَلَيْهِ إِذْ مَا.....}
155	85	{وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ بِيُنْظَرَنَّ: قُلِي مِنْهُ وَهُوَ الْآخِرَةُ مِنَ الْخَاسِرِينَ}
258	7،96	{رَبِّ أَوَّلِ نَسَبٍ نَسَبِ النَّاسِ لَدُنِّي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ تَقَامُ.....}
،12	102	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ..}
16،15،13	102	{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِمَا تَقُولُونَ مُسْلِمِينَ}
273،4	،113	{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ آدَمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ..}
29	128	{لَيْسَ كَمَنْ الْأُمُورِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}
66	188	{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفُحُّونَ بِمَا تَكْفُرُونَ أَنَّهُمْ...}
		النساء

334	41	{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}
136،118	51	{وَمِنْ وَنِ بِالْجَبِّ وَالطَّأْغُوتِ}
136	60	{لَمْ يَر لِي لَدِينٍ يُعِينُونِي مِمَّا نَزَّلَ بِمَا نَزَّلْتُ لِيكَ وَمَا نَزَّلْتُ...}
96	69	{وَأُولَئِكَ لَدِينٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ الشُّهَدَاءِ...}
136	76	{لَدِينٍ مَذُومًا تَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا تَلُونَ فِي...}
225	87	{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَيثَا}
281	103	{إِذَا ضَعِفَتِ الصَّلَاةُ فَانكروا هَ قِيلَ مَا وَقَعْنَا بِذُنُوبِكُمْ إِذَا...}
326	113	{وَعظمتُ ما م: كُنْ عظمُ وكان فضلُ الله عظيمًا عظيمًا}
44	163	{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رُوحِ النَّبِيِّينَ مِنَ
43	164	{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ كَلِيمًا..}
3	34	{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا ضَلَّ اللَّهُ...}
		المائدة
151	3	{الهِم أَكَلْتُمْ لُحْمَ دِينِكُمْ وَأَتَمَّمْتُمْ عَلَيْكُمْ عِدَّتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ بَيْنًا}
335	43	{وَكَيْفَ يَحْكُمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ هَا حُكْمُ اللَّهِ}
155	48	{كُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا مِنْهُ أَجَا}
136	60	{قُلْ لِي أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّا تَلْكُمُ تَذْوِبَةً عِنْدَ اللَّهِ لَعَنَهُ اللَّهُ...}
129	64	{قَالَاتُ لَهُ وَدِي اللَّهُ مَغُولَةٌ غَطَّتْ أَيْبَهُمْ لِعَا وَ
130	68	{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ سَتُمُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيُوا}

66	8،87	{ يَا هَ الدِّينِ مَذُوا لَا تَحْرُومُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ لَنَا }
231،205	90،	{ يَا هَ الدِّينِ مَذُوا إِنَّمَا الْخَيْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عِلَى الشَّيْطَانِ }
49	111	{ وَإِذْ أُوحِيَ لِي الْحَارِثِيُّنَ أَنْ مَذُوا بِي..... }
		الأنعام
336،331	33	{ لَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُونَ }
5	66	{ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ لَقَدْ لَسْتُ عَظِيمًا بِوَكِيلٍ }
42	90	{ لَدَيْكَ لَدَيْنَ هِيَ لِلَّهِ بِهِ نَاهُمْ قَدَرَهُ..... }
14	91	{ وَمَا قَدَرُوا بِهِ حَقَّ قَدْرِهِ }
99	108	{ ثُمَّ لِي رَيْبٌ مَجْجُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بِمَا نَادُوا يَعْلُونَ }
129	110	{ فَذُكِّبَتْ لَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا مَذُوا أَوَّلَ... }
271	151	{ قُلْ عَدَاوَاتِي مَا حَرَّمَ رَبِّي عَظِيمًا إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقُولُوا..... }
265،94،92،84	153	{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا . اتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّلَى... }
265،94،92،84	161، 163	{ قُلْ تَدْبِي هَذَا رَبِّي لِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مَلَأَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..... }
		الأعراف
177	16	{ أَلَمْ يَأْتِ بِمَا غَوَيْتَنِي لِأَفْتِنَنَّ . مَصْرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ }
186	26	{ يَا بَنِي آدَمَ . دَعُونَا عَظِيمًا لِبَسَاؤِ وَاوَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيثًا }
232	32	{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ }

		مِنَ الرِّزْقِ لَوْلَ هِيَ لَنِّينَ مَذُ وَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..
156،106	54	أَلَا هِ الخَلْقِ وَالْأُمُورِ تَبَارَكَ لَآه رَبُّ الْعَالَمِينَ ...
251	59	قَدْ أَرْسَلْنَا وَحَا لِي قَوْمِهِ قَالَ يَا ذُومِ عِبُوا هِ لَكُمْ مِنْ لِه غَيْرِهِ ... {
251	65	{وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُونًا .آلِ يَا ذُومِ عِبُوا هِ مَا لَكُمْ مِنْ لِه غَيْرِهِ ... {
251	73	{وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا .آلِ يَا ذُومِ عِبُوا هِ لَكُمْ مِنْ لِه غَيْرِهِ {
251	85	{وَالِي مَنِي أَخَاهُمْ شُعَيْبًا .آلِ يَا ذُومِ عِبُوا هِ لَكُمْ مِنْ لِه غَيْرِهِ .دَ جَاعَتِكُمْ يَبِيئَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ {
292	137	{تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَ صَوُوا .. {
43	143	{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى .مِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ .آل {
43	144	{ .آلِ يَا مُوسَى إِنِّي عَطَفْتُكَ عَلَى النَّاسِ {
35	155	{أَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِيقَاتِنَا {
129	186	{مَنْ ضَلَّ لَآه .بَلَا هَادِي .هَ وَيُرْهِمُ فِي طُغْيَانِهِمْ
332	199	{ خُذِ الْغُورَ وَأْمُرْ بِالْعُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
209	206	{رَّنَّ لَنِّينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَبْتَكَبِرُونَ عَنِ عِبَاتِهِ وَيَسُبُّونَهُ وَلَهُ ... {
		الأنفال
47	23	{وَلَوْ عَظِمَ لَآه فِيهِمْ خَيْرًا لِأَسْمِعَهُمْ .مَ وَلَوْ أَسْمِعَهُمْ .م ...
		التوبة
9،7	7	{فَمَا بَدَأَ قَوْمًا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا .م {
220	10	{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَدَقَةً لِيُطَهَّرُوا .مَ وَتُزَكِّيَهُمْ .آل ... {
255،59	24	{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ {

169	34	{ الدّٰنِیْنَ یَكْذِبُونَ الذّٰبَ وَالْفِئْتَةَ وَلَا یَقْوَنَهَا فِی سَبِیْلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِیْمٍ }
40	80	{ اسْتَغْفِرْ . مَ اَوْ لَا : سَتَغْفِرُ . مَ اِنْ : سَتَغْفِرُ . مَ .. }
235 ، 232	103	{ خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ حَقَّةً لِّمَهْرِهِمْ وَتُرْزُقِهِمْ . ا }
39	109	{ اَفَمِنْ اَسْسٍ بِبُیْنَانِهِ عَلٰی تَقْوٰی مِنْ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ .. }
46	115	{ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ یَضِلُّ قَوْمًاۢۙ بَعْدَ اِذٍ هَدٰۤیْهُمْ حَتّٰی یُتِیَآءُ .. }
		یونس
22	10	{ نَعَوَّاهُمْ فِیْهَا سُبْحٰنَكَۙ هُمۡ مَّ حَیْثُ هُمۡ فِیْهَا سَلٰمٌ نَّعَوَّاهُمْ ... }
117	10	{ وَاٰخِرُ نَعْوٰہُمْ اَنْ اَلْحَدَلَہُ }
129	11	{ وَاُولٰٓئِکَۙ اَجَلٌۭ لِّلّٰهِ لِنَاسٍۭ الشَّرِّ تَعٰلٰہُمْۭ مَّ بِالْخَیْرِ . }
110	5،31	{ قُلِ اَلْحَدَلَہُ وَسَلٰمٌ عَلٰی عِبَادِہِ لِلّٰہِیۡنِ صٰطِفٰی خَیْرٌ ... }
242،231	57	{ یٰۤاَیُّهَا النَّاسُ اِذْ جَاۤءَتْکُمْ مَّوعِظَةٌۭ مِنْ رَّبِّکُمْ وَشِفَآءٌۭ . مَا فِی الصُّوْرِ وَهٰی وَرَحْمَةٌۭ لِّلْمُؤْمِنِیۡنَ }
99	70	{ اَلِیۡنَا مَرْجِعُہُمْۭ مَّ . ثُمَّ قٰہُمۡ مَّ الْعَذَابَ الشَّدِیۡدَ بِمَا کٰنُوۡا وَ } { اَل . اِذْ اُجِیۡتَ دَّعُوۡتُکُمَاۙ اِسۡتَقِیۡمَا وَلَا تَبۡعُنَّ .. }
23،7	89	{ قُلِ یٰۤاَیُّهَا النَّاسُ اِذْ جَاۤءَکُمُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّکُمْ فَمَنِ }
79	108	ہود
	6	{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِی الْاَرْضِ اِلَّا عَلٰی اللّٰهِ فِیۡہَا اَوۡیۡہُ سَدَقَرًاۙ وَصَدَّ وَدَعٰہَا }
107	54	{ اِنْ قَوْلُ اِلَّا عَذْرَاکَۙ بَعْضٌۭ تَنٰا بِسُوءٍ ... }
294	88	{ اُرِیۡدُ اِلَّا الْاِصۡلَاحَ مَا اسۡتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِیۡقِیۡ اِلَّا بِاللّٰهِ عَلَیۡہِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَیۡہِ نِیۡبُ }
96	108	{ قُلِ هٰذَہٗ دِیۡلِیۡ اَدۡعُوۡا لِیۡ لِلّٰهِ عَلٰی صِیۡرَةِ اَنَّا .. }

،116،23،9،7 133 ،141	112	{أَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَمِنْ أَبِ مَكَّ...}
		يوسف
252	40	{إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَقِيتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}
96	108	{قُلْ هَذِهِ دِيَارِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى صِدْقٍ أَنَا..}
		الرعد
251	36	{قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَهُ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَالِدِيهِ مَلْبٍ...}
		إبراهيم
46	4	{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا لِنُذِرَ قَوْمَهُ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ الْحُكْمُ فَذُنِبٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوَلَّوْا الْأَعْيُنَ عَنْ حَتَّى يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...}
264	27	{ثَبَّتْ لِلَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا الْقَوْلَ ثَبَاتٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...}
		الحجر
97،85	41	{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا. اتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الَّتِي فَارَقَ بِكُمْ عَنْ دِينِهِ}
81	9،97	{لَقَدْ نَعَّمْنَا عَلَيْكَ بِمَا تَدُولُونَ...}
		النحل
98	9	{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ لِسَبِيلٍ}
110	2،17	{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ فَلَا تَتَّكِبُونَ وَإِنْ تَتَّكَبُوا عَلَى عُنُقِكُمْ لَا يَنْصُرُكُمْ أَهْلُكُمْ وَلَا يَخَفُكُمْ...}
225	22	{هَهُمْ لَهُ وَاحِدٌ الْآئِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ بِهِمْ مُكَرَّمَةٌ...}
،154،137	36	{لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ دِينَهُمْ...}

47	37	{ إِنَّ حَرِصٌ عَلَى هَاهُمْ يَا أَيُّهَا لَا يَهِي... }
49	68	{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ لِي أَن آتِخِذِي مِنَ الْجِبَالِ... }
332	90	{ إِنَّ هَٰذَا يَوْمُ الْبَعْلِ وَالْإِحْسَانِ إِبْتِءَ ذِي الْقَرْبِ بَيْنَهُمَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ... }
295	97	{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ تَكَرَّرٍ أَوْ أَثَرٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِحَيَاتِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً إِنَّا نَجْزِيهِمْ مَ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
		الإسراء
275	9،8	{ إِنَّ هَٰذَا لَقُرْآنٌ بَيِّنٌ تَبَيَّنَ فِيهِ أَهْمٌ وَيُذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ لَذُنُوبِهِمْ لِيَعْلَمُونَ لَصَالِحَاتٍ أَنْ . م . . . }
253	3،22	{ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ هَٰذَا آخِرَ تَقَدُّمًا مَنُومًا مَخْذُولًا وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
205	32	{ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِذْهُ كَانَ آحِشَةً وَسَاءَ بَدِيلًا }
270	33	{ وَلَا تَلُؤْا نَفْسَ تَبِي حَرَّمَ لِلَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ تَلَا مُظْلَمًا قَدْ جَعَلْنَا وَلِيَّهُ سُلْطَانًا . لَا . سَوْفَ . . . }
7	35	{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ زُرْعًا وَبِالْقِطَاسِ السَّدَقِيمِ }
107	42	{ قُلْ وَكَانَ مَعَهُ هَٰذَا كَمَا يُؤْمِنُونَ إِذَا لَا تَبْغُوا لِي }
236	53	{ وَقُلْ لِعِبَادِي بُدُّوا تَبِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْتَغِي بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَوًّا... }
107	57	{ لِذَٰكَ لِلَّذِينَ يَعْبُونَ بَيْنَ عَيْنَيْ رَبِّهِمْ وَسِيلَةً هَٰ أَقْرَبُ... }
35، 4	9	{ إِنَّ هَٰذَا لَقُرْآنٌ بَيِّنٌ تَبَيَّنَ فِيهِ أَهْمٌ وَيُذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ لَذُنُوبِهِمْ لِيَعْلَمُونَ لَصَالِحَاتٍ أَنْ . م . . . }
76	57	{ لِذَٰكَ لِلَّذِينَ يَعْبُونَ بَيْنَ عَيْنَيْ رَبِّهِمْ وَسِيلَةً هَٰ أَقْرَبُ... }
167	110	{ وَلَا جَهْرٌ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ . مَا رَابَتْغِ بَيْنَ ذَٰكَ سَدِيلًا }
		الكهف

134	80	{وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ إِنْ كَانُوا مِنْكُمْ فَأَكْثَرُ الضَّالِّينَ...}
252،68	110	{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. وَوحى لِي أَنَّمَا هِيَ كَمَا وَاحِدٌ...}
		مريم
78	9	{إِن كُنَّا لَنرَاكَ أَهْلًا لِلدَّارِ الْحَقِيقَةِ...}
166	2،31	{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا نُتُّ حَيًّا وَوَرًا...}
253،57	36	{وَإِنَّ هِيَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ أَعْبُدُوهُ...}
72	-88	{قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا...}
73	5،93	{إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِذِي...}
		طه
149	2،1	{طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ شِقَايَ {
112	5	{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى {
37	10	{ذُرِّيَّةً نَرَى لَهَا كَلِمَاتٍ غَمَّاتٍ وَكَلِمَاتٍ مُّسْتَوِيَةً...}
253	4،13	{وَأَنَا خَشِيتُكَ اسْتَمِعْ! مَا وَحَى لِي أَنَا لِلَّهِ لَا إِلَّا أَنَا عِبُدٌ لِّدُنِّي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ! نِكْرِي}
250	14	{دُنِّي أَنَا لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا عِبُدٌ لِّدُنِّي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ! نِكْرِي}
131،122	24	{أَذْبَلِي لِي فَوَعَنَ إِلَيْهِ طَغِي}
131	43	{أَذْبَلِي لِي فَوَعَنَ إِلَيْهِ طَغِي}
131	45	{إِلَّا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ عَظْمَنَا وَنَحْنُ بِطَغِي}
36	50	{إِنَّا رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هُوَ...}
133	81	{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ بِهِ...}
36	128	{أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَدِيلًا فَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ فَذُوقُوا كَذَابَ النَّارِ...}

الأنبياء		
47	3، 2	{ مَا يُأْتِيهِمْ مِنْ نَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْتَثٍ إِلَّا اسْتَمِعُوهُ }
154، 62	25	{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ بَلَدٍ مِنْ بَلَدٍ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَوْحِيَ إِلَيْهِ }
41	73	{ وَجَعَلْنَاهُمْ مَثَلًا لِقَوْمٍ يُهْتَفُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلًا }
294	،105	{ وَعَدَّ لِلَّهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَذْزَبًا مِنْكُمْ وَعَدَّ لِلصَّالِحِينَ أَجْرًا كَثِيرًا لِيَتَذَكَّرَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... }
الحج		
235	22	{ وَمَنْ خَطَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ نَهَى عَنْ تَقْوَى الْقُدُوبِ... }
259، 177	9، 27	{ وَأَنَّ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ شَاةٍ مَبْنُوتِينَ... }
260، 177	28	{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَيَّامِ الَّتِي يُحْرَمُونَ فِيهَا أَنْ تَضْحَكَوا أَوْ تَجْزَلُوا أَوْ تَمْسِكُوا بُرُوسَكُمْ أَوْ تُحْسِنُوا زُكُوتَكُمْ أَوْ تَكُونُوا لِالْحَضْرَةِ عَنَابِدًا... }
14	78	{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }
المؤمنون		
295	،115	{ فَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }
129	75	{ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفُنَّا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَجُودًا فِي أَمْوَالِهِمْ لَمْ نَلَمْنَا لَهُمْ فَذُكِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }
،283	1، 60	{ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا تَوْابَدُوا بِهِ مِنْ حِرْمَانِهِمْ إِلَىٰ رِجَالِهِمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ... }
110	9، 84	{ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَلِمَ تَكْفُرُونَ... }
10	88	{ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ جِيرُورٌ... }
،156، 107	2، 91	{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ لَدُنْهِ إِذَا قِيلَ لَهُ اسْتَجِيبْ لِلنَّادِي... }
236	96	{ نَفْعٌ لِّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا نَفَعُكُمْ... }

		النور
232	30	{ قُلْ لِمُؤْمِنِينَ يُغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا رُوحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى . م إِنَّ هَ خَيْرٌ }
295	55	{ وَعَدَ اللَّهُ لِلَّذِينَ مَذَّابُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ حَالِيَةً خُذْفَتْهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ لِلَّذِينَ مِنْ }
		الفرقان
73	17	{ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَجْعَلُونَ مِنْ نُونٍ لِلَّهِ ... }
164	23	{ وَقَدْ مَنَّا لِي مَا عَلَّمُوا مِنْ عَلِيٍّ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثًّا }
339،72	4،63	{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَظِي }
218،187	67	{ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِمُ سَوْفُوا بِأَمْ يَقُولُوا وَيَكَانَ هُنَّ ذَلِكَ قَوْلًا }
		الشعراء
5	105	{ كَتَبَتْ يَوْمَ وَحِ الْمَسْلُومِينَ }
7	182	{ زِدُوا بِالْقَطَّاسِ الْمُدَقِّمِ }
		النمل
99	79	{ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ }
		القصاص
49	7	{ وَأَوْحَيْنَا لِي أُمَّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ }
47،39،34	56	{ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ هَ يَهْدِي مَنْ {.
274	77	{ أَرْتَبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ }
		العنكبوت

146	9,38	{رِقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ إِقْدَادَ جَعْتُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا...}
255 234	45	{ اِنِّي مَا اُوْحِي لِيْكَ مِنْ كِتَابٍ وَاَقِمِ الصَّلَاةَ ... { اِنَّ الصَّلَاةَ نَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ }
241	43	{ وَتِلْكَ اَلْاَمْثَالُ يَرْدُّهَا اِلَيْنَا لِنَأْسِلَ وَمَا ظَلَمْنَا اِلَّا اَلْعُلَمَاءَ }
250	56	{ يَا عِبَادِيَ لَنْ نَبْرُدَّكُمْ اِنْ اَرْضَيْتُمْ وَاَسِعَتْ لِيَّامِي اَعْبُدُونِ }
108	61	{ وَاِذْ نَسَخْنَا مَا نَزَّلْنَا فِي الْاَرْضِ وَسَخَّرْنَا اَلرُّومَ }
267	30	{ فَطَرْتُمْ لَالِهَةً تَتَّخِذُ اَلنَّاسَ اِيَّهَا اَلْاَتَاتِ بِبَيْلٍ اِخْلَافًا اَللّٰهُ .. }
		لقمان
،232،166 332،236	،17 9،17	{ يَا بُنَيَّ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ ... }
		السجدة
292	24	{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ اُمَّةً يَهْتَدُونَ بِاْمُرِنَا مَا صَوَّرُوا }
		الأحزاب
243	21	{ قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اَللّٰهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }
،279	4،23	{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ قَضِيٍّ نَحَبَهُ مِنْهُمْ مِنْ مَنْ يَتَذَكَّرُ وَمَا ... }
281	4،41	{ يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوا اِنكُرُوا هٰذَا نِكْرًا ثَمِيْرًا وَسَبُّهُمُ كُرْهٌ وَاَصِيْلًا هُوَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْكُمْ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يَخْرِجُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ ... }
		فاطر
106	3	{ هُوَ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اَللّٰهِ يُرْزَقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَاَلْاَرْضِ }

78	15	{ يَا هَا النَّاسُ تَمُّ قُرْأَ لِي لَاءِ إِلَاءِ... }
47	-19	{ وَمَا يَبْتَوِي الْأَعْي وَالصَّيِر... }
75	28	{ وَمِنَ النَّاسِ وَالنَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ خَتْلِفَ لَوَاذُهُ... }
		يس
47	1-60	{ لَمَّ عَمَّ دَ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا عِبُوا الشَّيْطَانَ }
		الصفات
38	23	{ ذَاهُوهُمْ لِي صِرَاطِ الْجَحِيمِ .. }
158	96	{ إِلَاءَهُ ظَقَكُمْ وَمَا مَعْلُون }
262	102،	{ فَلَمَّا غَ مَعَهُ السَّعْيِ آلَ يَا . نِي إِيَّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْبُكَ فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ... }
		ص
147	26	{ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ يَفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ فِي هَوَى }
220	2،71	{ لِي خَالِقَ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَفَخَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي قَعُوه . هَ سَلْجِبِينَ }
		الزمر
137	17	{ الرَّانِينَ بَتَابُ وَ لَطَّاعَاتِ أَنْ يَجُ تَوْهًا أَنْابُ وَ لِي إِلَاءِهِ . مَ الْبُشْرَى بِشَرِّ عِبَادِهِ .. }
73	46	{ قُلْ هُمْ مَّ يَاطُرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَامَ الْغَيْبِ .. }
233،73	53	{ قُلْ يَا عِبَادِي لَنْبِينَ أَسْوَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ... }
		غافر
73	31	{ مِثْلُ نَابِ ذُومِ وَحِ وَعَادِ وَثَمُودَ الرَّانِينَ... }
145	7،36	{ قِيلَ فَوَعِنَ يَا هَلْمُنَ ابْنِي صَوْحًا عَطِي أُلْبُغِ الْأَسْبَابِ أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ... }

266	64	{الَّهِ لَذَنِي جَلِي لَكُمْ الْأَرْضَ رَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ لَطَائِيَاتٍ ..}
		فصلت
9،3	6	{ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ .. }
،35	17	{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ أَنْسَابَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى ... }
18	19	{ وَهَمٌّ بِحُشْرِ آعَاءِ لِلَّهِ لِي النَّارِ }
19	25	{ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ }
19،18، 7،3 101 277،267	30	{ إِنَّ لِلنَّاسِ أَلْوَاءَ رَبَّنَا لِلَّهِ ثُمَّ لَمَّا تَقَالُوتُوا تَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ }
22،21،20	31	{ نَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .. }
22	32	{ زُلًّا مِنْ غَدْرِ رَحِيمٍ }
279 ، 236	5،33	{ وَمَنْ أَحْسَنُ وَلَا مِمَّنْ نَعَا لِي لِلَّهِ وَعَلَى سَلَامٍ وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }
		الشورى
111	11	{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }
254	5،13	{ بَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ . وَحَا وَالذَّيْنِ أَوْ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ... }
،7، 23، 116، 141 147	15	{ ذَلِكَ نَادَعُوا وَاسْتَقَمَّ كَمَا أُمِرَتْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ . }
301	23	{ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى }
332	43	{ وَلَمَنْ صَوَّغُوا وَغَرَّ إِنَّ نَاكَ لَمَنْ عَوْمِ الْأُمُورِ }
	51	{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ كَلِمَةً لِلَّهِ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مَنْ وَرَاءَ }
39،35 ، 34	52	{ وَإِنَّكَ تَهْتِكُ لِي صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ... }

		الزخرف
113	4،12	{ وَجَلَى لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا رَكِبْتُمْ مِنْ... }
146	3،51	أَلْ يَأْتِيهِمْ فِي الْيَوْمِ الْمَلِكُ مِصْرًا وَهَذِهِ أَرْضُ جَدِّ مَنْ تَحْتِي فَلَا تَبْصُرُونَ.....
57	64	إِنَّ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ أَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
72	68	{ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا تَتَم حُزْنُونَ
59	81	قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ.....
		الجاثية
146	23	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ هَاهُ هَاهَا رِضْلَانِ لَآءِ اللَّهِ عَلَى عِمِّ وَحْتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَلَى.....
		الأحقاف
،277،101،18	4،13	إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا رِئْيسًا لِلَّهِ لَمَّا تَدَقَّقُوا فِيهَا خَوْفًا وَلَا هُمْ يُجْزَوْنَ.....
		محمد
232	12	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَكْفُرُونَ كَمَا أَكَلُ الْأَنْعَامِ وَالنَّارُ مَذْمُومَةٌ
48	7،16	مِنْهُمْ مَنْ يَدْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا.....
		الحجرات
5	11	لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ.....
224	15	{ إِنَّمَا الْعِمْدُ مِنَ الَّذِينَ آوَى إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ مِ آوَى وَجَاهَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ.....
		ق
130	27	أَلْ يَرِيذُهُ رَبُّنَا مَا لَغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
		الذاريات
114	21	وَفِي أَنْفُسِكُمْ فَلَا تَبْصُرُونَ

251،79،78	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
		النجم
132	17	{ مَا إِعْجَابُ الْبَصْرِ وَمَا طَعْنِي
134	52	وَقَوْمٌ رُوحٌ مِنْ قَبْلِي هُمْ يَدْعُونَ وَأَنْتُمْ أَظْلَمٌ وَأَطْعَى...
		الرحمن
133	8	{ أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ
		الحشر
241	21	{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِيحْكُمُوا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَمَثَلٌ لِمَنِ كُنْتُمْ خَائِفِينَ
		الجمعة
300	2	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ لِيُذَكِّرَهُمْ بِالْيَوْمِ الْعَظِيمِ
		التغابن
266	3	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ..
14،12	16	اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَطَعْتُمْ
		الطلاق
53 263	3،2 3	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }
		التحريم
		الملك
106	1	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ذَكِيرٌ
64	2	لَئِنْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لَيُؤْتِكُمْ...
		القلم
326،192	4	وَإِنَّكَ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

134	31	أَلُوَا يَا وَيْلَانَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ
		الهاقة
132،119	5	.أَمَّا ثَمُودُ أَهْلُ كُوَاعٍ الطَّاغِيَةِ
131،122،120	11	إِنَّا مِمَّا طَغَى الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
		الجن
156	3	{وَأَنَّهُ عَلَى جُدِّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا..
، 278،7	16	{وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقَةٍ لَّأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا
3	(19)	وَأَنَّهُ مِمَّا آمَ عِدُّ لَأَنَّهُ يَبْعُوهُ كَالْوَالِدِينَ....
		القيامة
212	5،14	لَبِ الْأَنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ لَقِيَ مَعَانِيرَ
99	17	إِنَّ عَطِينًا جَمَعَهُ وَقُرَّانَهُ
		الإنسان
158	30	{ وَمَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ لِلَّهِ }
		النبأ
145	3، 21	إِنَّ هِيَ تَمَّ كَانَتْ مُرْصَدًا لَطَّاغِينَ مَالًا بُدِّينَ هـ
		أَحْقَابًا لَا يُوْقُونَ هـ ا وَيَا....
		النازعات
131	17	أَذْهَبَ لِي فِعْرًا إِنَّهُ طَغَى
131	37	.أَمَّا مَنْ طَغَى
145	37، 1	.أَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ
		الْمُلُوءَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ....
		الغاشية
99	6،25	إِنَّ إِلَيْنَا يَأْتِيهِمْ م ، ثُمَّ إِنَّ عَطِينًا حِصْلِيهِمْ
		الفجر
99،97	14	إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَدِ

59	29	أَنْظِرِي فِي عِبَادِي
		البلد
290،212	0 ، 4	قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيْسَبُ أَنْ يَنْ يُقِرَّ أَحَدٌ
		الشمس
271،212 ،48 290،273	10،7	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) بِمَهَامَا فُجِّرَهَا وَتَقَوَّاهَا..
213	8	{ بِمَهَامَا فُجِّرَهَا وَتَقَوَّاهَا
197	9	{ دَأْفَلِحَ مِنْ زَكَاةَا }
197	10	{ قَدْ خَابَ مِنْ سَأَاهَا }
122، 117	11	{ سَأَاهَا كَلَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا
		التين
267	6-4	قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ سَلْفِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ مَعْدُونٌ
		العلق
122	7،6	إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ
		البينة
67،5	5	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا مَخْلُوعِينَ... وذلك دين القيمة..
		الإخلاص
103 156	2،1 4،1	قل هو الله أحد الله الصمد { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ *... لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

الصفحة	الحديث
345	أتذكر إذا تلقينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا وأنت وابن أبي عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك
229	اتقوا الله حيثما كنتم ، وأتبعوا السيئة الحسنة تمحها ، وخالفوا الناس بخلق حسن "
169	اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم
215	أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن...

174	أَجْبُ صِيَامِ لِي اللهُ تَعَالَى مِ نَامِ دَاوُدَ ، وَأَجْبُ صَلَاةِ لِي هِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثَلَاثَةَ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ،
104	أَحَدٌ أَحَدٌ
182	أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ أَقْوَلٍ : وَاللَّهِ لِأَصْوَمِ النَّهَارِ ، وَلَا أَقْوَلِ الدَّلِيلِ مَا عَثْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((أَنْتَ الْإِنِّي تَقُولُ لَكَ ؟))
175	إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة
175	إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء ، وغلقت أبواب جهنم ولسلت الشياطين))
276	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: ياويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار
181	إِذَا زَمَعَهُ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فليَقْدَحْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ زَاعِمٌ لِأَنِّي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فِي سَبِّ نَفْسِهِ
349	أرأيتم لو أن نهران بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيئاً قالوا
204	أربع إذ كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة
5	استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فإن لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأبيدوا حضراءهم
89	الإسلام، قال هو أوسع مما بين السماء والأرض
359	أَعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِعَاعَ حُرِّ كُنْهِنِ فِي نِي الْقَعَةِ إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ عَمْرًا مِنْ بَيْتِهِ
76	أفلا أكون عبدا شكورا
347	أفصح إن صدق
237	أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنساءكم خلقا

246	ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب
173	أَمَا أُخْبِرُ أَنَّكَ يَوْمَ الدَّهْرِ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ.....
173	أَمَا أُخْبِرُ أَنَّكَ يَوْمَ النَّهَارِ تُنُومُ لِلَّيْلِ.....
327	أليس تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن
187	أليس قد رزقك الله مالا؟ قال: بلى، قال: من أي أنواع المال؟ قال: من كل أنواع المال، من الإبل والحيل والغنم، والرقيق، فقال: إن الله إذا أنعم...
344	أما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار
332	أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت: " كان خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن"
351	أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
272	رَأَى الْحَمَلَ لَيْلِيٍّ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مَشَتْ بِهَاتِ لَآيَ طَلْحَمَنَّ كَثِيرٍ مِّنَ النَّاسِ فَمِنْ أَتَقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لَيْدِيهِ وَعَظَمَهُ وَمِنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ.....
180	إِنَّ الدِّينَ يَسْرُ ، وَلَنْ يَشَادَّ عَلَيْهِ ، فَسَدُّوا وَقَارِدُوا وَأَبْشُوا ، وَأَسْتَعِينُوا بِالْغُلُوبَةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَى
302	إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
197	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والحبيث والطيب

163	إِنَّ اللَّهَ كَذَّبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ سَنَةَ فَلَمْ يَعْملْهَا بِهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا ..
268	نَّ لِلَّهِ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ بَلْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ . وَأَشَارَ صَاحِبُهُ إِلَى صَدْرِهِ .
204	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْكِرَامَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيُكْرَهُ سَفَاسِفَهَا
234	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُدْرِكُ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ
186	إِنَّ بَنِي آدَمَ خَلَقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى ، أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعِ الْفَيْءِ ، وَالسَّرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعِ الْفَيْءِ ...
226	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بِلَادِكُمْ هَذَا "
310	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَاهُ يُلُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ لَعَبٌ مَعَ لُعْلُمَانٍ خَدَهُ فَوَضَعَهُ فَوَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ نَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ...
355	أَنَّ رَسُولَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَكَّفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَضَانَ مَعْتَكِفٌ عَامًّا حَتَّى ذَاكَ كَانَ لَيْلَةَ إِحْلَى وَعِشْرِينَ وَهِيَ لِلْأَيْلَةِ ...
174	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرِهِمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرِهِمْ ...
199	إِنَّ فِيكَ لَخَلْقَيْنِ يُجْبَهُمَا اللَّهُ : الْحَلِمَ وَالْأَنَانَ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَهْمَا خَلْقَانِ تَخَلَقْتَ بِهِمَا أَمْ جَبَلْنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : " بَلْ جَبَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا " ..
348	إِنَّ لِمُضَوِّ شَيْطَانًا قَالُ لَهُ لَوْهَانٌ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ
208	إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَخِيَارَهُمْ خِيَارَهُمْ لِنِسَائِهِمْ
288	إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا وَخِيَارَهُمْ خِيَارَهُمْ لِنِسَائِهِمْ
204	إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا "

69	أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه
155	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي دُنْيَاهَا وَالْآخِرَةِ نَبِيَّ مَاءِ حَوْثٍ لَمَلَّتْ أُمَّهَاتُهُمْ شَقِيَّ وَدِينَهُمْ وَاحِدًا
238	أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه
331	إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به،
344	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً
352	أَنْتُمْ أَلَيْنَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أُصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأُرْقُدُ، وَأَتَوُجُّ النَّسَاءَ، فَخِن رَغَبٍ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي
105	نَبِّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلًا تَبَابُ، فَلَيْدَ كُنَّ أَوْلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ» وفي رواية " فَلَيْدَ كُنَّ أَوْلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ "
4، 164	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا بيبيها...
201	إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرر الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه
3، 189	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
259	إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله
385	إِنَّهُ لَمَّا اسْتَيْقَظَ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ نَزَوَاتٍ مِّنَ سُورَةِ () آلِ عِمْرَانَ { نَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ... إِلَى آخِرِهَا....
349	: كُمْ أُمَّةً نَسَّ فَلَئِن خَفَّ
153	الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره

	وشره
207	الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان
3,207	البر حسن الخلق
252	بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن
3,262	سَلَامٌ عَلَىٰ خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، إِقَامَ مَلَاةٍ ، بِتَمَاءِ كَاتَةِ الْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ،
4	بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أحر إلا قائما
175	بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب ذأ هو برجل قائم فسأل عنه ، فقالوا أبو و إسرائيل نذر أني قوم في الشمس يلاقعد ، ولايستظل ، :كَلَّمُ ،
228	بَيْنَمَا كَلْبٌ طَيْفٌ بِرِيَّةٍ كَايِدٌ قَتَلَهُ الْعَطَشُ ذَرَاتُهُ فَوَيْبٌ بِمَعَايِرِ مَا نَبِي سَوَائِلِ فَتَرَعَتْ هَوَقَهَا فَسَقَتْهُ فَعَفُو أَبِيهِ
333	تَلَمَعُ الْعَيْنُ وَحَزِنَ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا . وَضَيْبٌ نَدَا إِنَّا بَلَدٌ مَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحُونُونَ
170	تعبد الله لا شريك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة فريضة ، وتصوم رمضان " النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " من سؤ أن نظر إلى رجل من أهل ندة ، . نظر إلى هذا
280	تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»
9,286	تقوى الله وحسن الخلق
204،	
60	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في

	الكفر بعد أن أنقذه.....
213	جئت تسأل عن البر ؟ قلت نعم....
340	جَبَّ ، مَنْ نِيَاكُمْ : النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ يَجْعَلُ نُبْرَةً عَنِّي فِي صَلَاةٍ
178	الحجاج والعمار وفد الله عز و جل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غف لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفَعوا شفَعوا
178	حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة
181	، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَيَذَا فَرَفَلِيْقِدُ)
238	خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحسن الناس خلقاً
343	خرج علينا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمامه بنت العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها
301	خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء
84	خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال: " هذا سبيل الله، خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: " هذه سبل على كل سبيل
203	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
203	الدين حسن الخلق "
144	رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في النوم فقلت له : روي عنك أنك قلت شيبتي هود وأخواتها فقال (نعم) فقلت وبأي آية فقال بقوله { فَأَسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ . }
49	الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة

247	قل آمنت بالله ثم استقم
101	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بِعَدَاكَ، فِي حَلِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرِكَ قَالَ نَزَلَ أَمْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمَ
199	قيل يا رسول الله : من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم فقالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله....
358	كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ اسْتَغْنِكَ لِدُنْيِي ، وَأَسْأَلُكَ بِحِمَّتِكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَا تُزِغْ قَلْبِي عَدَا إِذْ هَلَيْتَنِي...
359	كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ الشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ بَنَاتِكَ يَمَا....
358	كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهُ عَشْرًا ، حَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا ، وَقَالَ سُبْحَانَ ه : حَمْدِهِ عَشْرًا ، سُبْحَانَ لَمَلِكِ الْقُلُوسِ عَشْرًا ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ
331	كان أشد الناس نواضعاً ، وأبعدهم عن الكبر
335	كَانَ نَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَا لَقِي الرَّجُلَ فَنَكَلَّهُ ، لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى كُونَ هُوَ الْآتِي : يَصْرِفُ
329	كَانَ نَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشَجَعَ النَّاسِ ، وَلَقِّنَزِعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً.....
227	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاسِ لِحَيْرٍ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ إِذْ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لِقَائِهِ فِي.....
339	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَكْفُفًا تَكْفُفًا كَأَنَّمَا يَخْطُ مِنْ بَابِ
330	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخْيَدًا مَاءً مِنَ الطَّرَائِفِ فِي خَلْعِهَا وَكَانَ ذَاهِبًا شَيْئًا.....
353	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفْطِرُ سَائِمًا لَبِيضًا فِي سَفَرٍ وَلَا حَضْرًا.
353	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمٌ مِنْ يَوْمِ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
356	كان صلى الله عليه وسلم لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم

	يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه
352	كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْمٌ حَتَّى يُقَالَ لَا فُطْرَ يَ فُطْرٍ حَتَّى يُقَالَ لَا يَوْمٌ وَهِيَ اسْتِكْمَالُ يَمَامٍ شَهْرٍ غَيْرِ رَهْضَانَ
354	كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَذَّكَهُ الْعَشْرُ الْأَوَّخِرُ مِنْ رَهْضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرَكَهُ مَقَّةً فَقَضَاهُ فِي شَوَّالٍ
331	كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر فلبي ثوبه.....
340	كان يسابق أهله " وَكَانَ يَمَازِحُ وَيُقُولُ فِي مَزَاحِهِ الْحَقُّ وَيُورِي وَلَا يَقُولُ فِي تَبَتُّهِ إِلَّا الْحَقَّ
123	كانوا يهلون لمناة الطاغية
171	كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي به ، صيامٌ جَدَّةٌ ، فإذا كان يومٌ صَوْمِ أَحْلِكُمْ فلا بُرُوثَ
65	كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"
329	كُنَّا فِي حَلِيثِ عَبَّاسٍ ذَا مَمِي نَأْسٍ وَقَالَ الْآخِرُ : ذَا أَحْمَرَ نَأْسٍ ، وَلَقِي يَوْمٌ الْقَوْمَ تَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
171	كُنْتُ أَصْلَبِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَدَّوَاتٍ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَحُطْبَتُهُ قَصْدًا .
172	لا أفضل من لك
227	لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق "
348	لَا تُسْرِفْ فِي الْمَاءِ فَقَالَ وَهَلْ فِي الْمَاءِ مِنْ إِسْرَافٍ ؟ قَالَ نَعَمْ ، إِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ
70	لا شيء له، ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغى به وجهه
174	لَا صَامَ مَنْ صَامَ أَبَدًا

337	يَلْدَخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَيْرٍ مِنْ بَرٍّ يَلْدَخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ شَرٍّ مِنْ بَرٍّ.....
317	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت
184	نِيحْيَابُ وَبُكْر - رضي الله عنه - ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا حَظَلَةَ ؟ قُلْتُ : نَافِقٌ حَظَلَةَ ! قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ ؟! قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَذْكُرُنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.....
227	لم تراعوا ، لم تراعوا
301	لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم
1،274	اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكاها
187	اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا
201	اللهم اغفر ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم واجبرني.....
234	اللهم أهدي لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سوء الأخلاق لا يصرف سيئها إلا أنت
332	اللهم جنبني منكرات الأخلاق
331	اللهم حسن خلقي وخلقني
340	اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي يَمَامُكَ نَبَا تَلْحَنِي يَمَامُكَ وَلَا مَلِكُ
201،	ليس الشديد بالصرعة ؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
330	ما بال أقوام قالوا كذا
67	ما بالأقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج لنساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني
328	مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَرِّينِ لِأَخَذَائِي سَهْمًا مَا لَمْ يَكُنْ ثَمًّا.....

339	مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا يُرْتَأِ أَحْسَرُ
178	ما رئي الشيطان في يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة
226	ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً قط فقال " لا
349	ما صليت مع أحد أوجز صلاة ولا أكمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم
326	ما كان أحسن خلقاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله إلا قال : " لبيك "
333	مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسُودُ سِدِّكُمْ هَذَا وَلَكِنْ كَلِمَاتُكُمْ بِكَلَامٍ بَيْنَ فَضْلِ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ
167	ما من امرئ سلم تحضره صلاة كتوبة يهتدي بحسن وضوءها...
269	ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"
348	مثل الصلوات المكتوبات كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات
241	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ،
241	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ أُضُوُّهُ تَلَمَّاعِي لَهُ سَاءَ الرَّجُلُ الْجَسَدُ بِالسَّهْرِ الْجُمُحِيِّ
242	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال
318	جِبًّا بِأَخِي وَشَرِيكِي
5، 67	مره فليتكلم، وليستظل، وليتقعد، وليتم صومه
226	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه
15	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ يَتُّهُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا تُبَى لِي النَّاسِ مَا بِي أَنْ تُؤْتَى بِهِ

163	من أذَلَّ ليولياً استحلَّ محاربتي وما تقبَّ إليَّ عبدي بمثلِ أداءِ الفرائضِ ومِلا زَالِ العُديِّ تقبُّ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أحبُّه....
337	مَنْ جَرَّبَهُ آلاءَ مَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ تَقِيَمَةُ
177	من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"
173	من خشى منكم الباءة فليصم فإن الصوم له وجاء"
218	من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحببه
68	من قاتل لتكون كلمة الله أعلی فهو في سبيل الله " وفي رواية: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
175	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))
154	من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي
337	مَنْ بَسَّ ثَوْبَ شَهْرَةِ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ تَقِيَمَةُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ثُمَّ تَلَهَّبَ بِهِ النَّارَ وَهَذَا لَذَنَّهُ قَصْدُهُ حَتَّى يَأْتِيَ أَلَّ وَالْفَخْرُ نَعَاقِبُهُ.....
165	من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته
343	من لم يرحم لا يرحم
179	عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا)) وَكَانَ أَحَبُّ لِدِينٍ إِلَيْهِ مَا دَامَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ
238	مَهْلًا مَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ الرَّفِيقُ إِيَّاكَ وَالْعُفُفُ ، أَوْ الْفُحْشُ قَالَتْ أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالِ أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتِ رَدَّتْ عَلَيْهِمْ سِتْرٌ حَبَابٌ لِي فِيهِمْ ، وَلَيْسَتْ حَبَابٌ لَهُمْ يَا ..
198	الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقها والأرواح جنود مجندة
354	نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ ، فَصَامَهُ ، وَأَمْرٌ صِيَامَهُ
12	هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً

45	هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال : لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة،
9، 24 ،169	هلك المتنطعون
169	هم الأخسرون ورب الكعبة" فقلت :ومن هم؟ قال : "الأكثرين أموالا إلا من قال هكذا.....
89	هو جبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم
157	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
184	، إِنَّ . وَلِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا))
341	وَكَانَ إِذَا اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ سَلْفًا قَطِيئًا مَاهُ وَدَعَا لَهُ فَقَالَ : يَا لَكَ اللَّهُ لَكَ فِي هَذَا كَمَا وَمَالِكَ إِنَّمَا جَاءَ السَّلْفَ لِحُدِّ وَالْأَدَاءِ
341	أَا نَزَّرَ أَعْيُرَتَهُ بِأُمَّهِ نَكَ أُمُّوَيْكَ تَاهَلِ يِيَّةُ خَوَانِكُمْ خَوْلِكُمْ جَطُّهُمْ لِلَّهِ...
4	يا رسول الله لو قومت لنا فقال "مو الما قوم"
190	يا رسول الله أوصني قال : " لا تغضب "
143 146	يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم
68	يا رسول الله، إني أقف أريد وجهه الله، وأحب أن يرى موطني
353	يَا عَبْدُ ، أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ صَوْمُ النَّهَارِ وَتَقَوْمُ اللَّيْلِ فَقُلْتَ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا لَيْلًا تَقُولُ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَيَلِيَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
25	يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى س ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر"
264	يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟" فقلت: بلى . قال: " احفظ الله يحفظ ، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة
345	يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك " فما زالت تلك طعمتي بعد

80	يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبد ولا يشركوا به شيئاً
21	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون
324	يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق

فهرست الأبيات الشعرية:

الصفحة	البيت الشعري
87	أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم
314	إن ابن آمنة النبي محمداً ... عندي بمثل منازل الأولاد لما تعلق لازمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزواد
115	تأمل سطور الكائنات فإنها ... في الملك الأعلى إليك رسائل وقد خط فيها لو تأملتها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل
205	حجة لاجي إليه اللثام ... كل حلم أتى بغير اقتدار
86	رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
306	عَمَّا جَانِبُ البَطْحَاءِ من ابن هاشم ** وجاور لَحْمًا خَارِجًا في الغَمَاغِمِ دَعَتْهُ المنايا دعوة فَأَجَابَهَا ** وما تَرَكْتُ في الناس مثل ابن هاشم عشية راحوا يحملون سريره ** تَعَاوَرَهُ أصحابه في التزاحم

	فإن تك غالته المنايا ربهَا ** فقد كان طاءً كثير التراحم
303	عمرو الذي هتَمَّ الثريدَ لقومه ** يوم بمكة مُسِنَّةٍ عِجَافٍ سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما ** سَفَرُ الشتاء ورحلة الأضياف
315	فارفض من عيني دمع ذارف ... مثل الجمان مفرق الأفراد راعت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الأحداد
102	فَضَمَّ نَوَاصِي الأحياء منهم .. فقد رَجَعُوا كَحَيِّ وَاِحِلِينَا
231	نمبلغ العلم فيه أذنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
4	فهم صرفوكم حين جرتم عن الهدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيم
98	فهن المنايا أي واد سَلَكَتُهُ ه عليها طريقي ، أو عليّ طريقها
17	كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شرك نعله
98	مضوا سلفا ، قصد السبيل عليهم بصرف المنايا بالرجال تَشَقَّلَبْ
323	نحن الكرام فلا حي يقارننا ... نحن الملوك ونحن الأكرمون أبا وقد أرى محدثاً في حلفنا ظهراً ... كما ترى في حجاب الملك محتجبا
322	والله لا نأتي الذي قد أرتم ... ونحن جميع أو نخضب بالدم ونحن ولاة البيت لا تنكرونه ... فكيف على علم البرية نلزم
5	وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

1- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، (بيروت: المكتبة الثقافية، د. ط، 1973م).

2- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة - بيروت.

3- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق ط 1

1399هـ / 1979 م.

4-الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى :

256هـ)، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة : الثالثة ، 1409 - 1989.

5-أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم جار الله، ، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت:

دار الكتب العلميّة، ط1، 1419هـ، 1998م).

6- الاستقامة في مائة حديث نبوي، الدكتور محمد زكي محمد خضر، الناشر: دار المأمون للنشر

والتوزيع .

7- الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، الشيخ العلامة: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين. تنسيق ونشر سلمان بن عبد القادر وزيد.

8- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق عز الدين علي السيد، ط2: 1413هـ 1992.

9- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1412، تحقيق: علي محمد البجاوي.

10 - أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، ط1: 1414هـ 1993م.

11- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض.

12- الأمثال في الحديث النبوي، أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق: د. عبد العلي عبدا حميد حامد، الدار السلفية - بومباي الهند، الطبعة الثانية، 1987.

13- الأمثال للرامهرمزي، القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (360 هجرية) طبعة المطبعة السلفية بومباي الهند، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد الأعظمي الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية جامعة بامبو كاتو نيجيريا..

14 - الإنسان في القرآن الكريم، الصباغ، محمد بن لطف، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1413هـ، 1992م).

15-- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - الباحث: د. صيدلي / جمال محمد الزكي، المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة، بحث حول قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" مؤسسة د/ أحمد شوقي إبراهيم العلمية.

- 16- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، جلال الدين (بيروت: دار إحياء العلوم، ط4، 1998م).
- 17- الإيمان لابن منده، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده [310 - 395]، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406.
- 18- بدائع الفوائد، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1: 1415هـ 1994م
- 19- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: طبعة جديدة محققة / الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- 20 - البستان معجم لغوي مطول، البستاني، عبدالله، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1992م).
- 21- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط، 1984م).
- 22- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - ط1: 1428هـ/2007 -
- 23- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 24- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، المحقق: السيد هاشم الندوي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية.
- 25- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، الطبعة الأولى، 1992، تحقيق: د. فتحي أنور الداوبولي.

26- التبيان في تفسير غريب القرآن، المصري، شهاب الدين (ت815هـ)، تحقيق: فتحي أنور الدابولي (القاهرة: دار الصحابة للتراث، ط1، 1992م).

27- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الأولى، 1420هـ/2000.

28- التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن صد75 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط1 1977

29- تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، الماوردي ، تحقيق رضوان السيد ، دار العلوم العربية للنشر ط1 1987 م .

30- التعريفات ، العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت لبنان، ط1985.

31- تفسير ابن أبي حاتم،- الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق : أسعد محمد الطيب.

32- تفسير البيضاوي، - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر - بيروت.

33- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي (المتوفى : 1418هـ) .

34- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

35- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700- 774 هـ [تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م .

36- التفسير الكبير، للإمام العلامة تقي الدين بن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة عضو اللجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر، دار الكتب العلمية .

37- تفسير اللباب لابن عادل . ،أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة 880 هـ ،دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت.

38- (تفسير الماوردي) النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -

39- (تفسير الماوردي) النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

40- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : 463هـ)، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري ،مؤسسة القرطبة.

41- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهر الهروي ،، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 2004م 1425هـ .

42- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 - 310)، - تحقيق : مكتب التحقيق بدار هجر. دار هجر. الطبعة : الأولى.

43- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م.

44- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

45- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هـ) ، دار الشعب - القاهرة، الأولى ، 1407 - 1987.

46- جامع صحيح الأذكار للألباني ،أبي الحسن محمد بن حسن الشيخ.

47- الجامع الصحيح سنن الترمذي ،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،دار إحياء التراث العربي - بيروت ،أحمد محمد شاكر وآخرون.

48- الجامع لأحكام القرآن،- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)، تحقيق : سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ،الطبعة : 1423 هـ/ 2003 م.

49- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عبدالرحمن (ت875هـ)، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، د. ط. ت.

50- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ، عبد العزيز مصطفى كامل ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط1: 1415 هـ 1995 م.

51- الخصائص العامة في الإسلام ، د/ يوسف القضاوي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط3 1415 هـ / 1985 م.

52- الدر المنثور في التفسير بالماثور ،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت : (911 هـ)، تحقيق : مركز هجر للبحوث ،دار هجر - مصر ، [1424 هـ . 2003 م].

53- ديوان جرير، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (110 . 28 هـ).

54- الرحيق المختوم ،صفي الرحمن المباركفوري.

55- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - تفسير الألوسي - شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، 1415 هـ

56- الروض الأنف في شرح غريب السير ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581.

57- زاد المسير في علم التفسير. جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : 597هـ).

58- زاد المعاد في هُدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ).

59- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي . بيروت.

60- سنن ابن ماجة ،ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،(المتوفى : 273هـ) ، كتب حواشيه : محمود خليل مكتبة أبي المعاطي.

61- سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ،مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 - 1994 ،تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

62- سنن الدارقطني ،لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني [306 - 385].

63-سنن الدارمي ،عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ،دار الكتاب العربي - بيروت ،الطبعة الأولى ، 1407 ،تحقيق : فواز أحمد زمري ، خالد السبع العلمي.

64-- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، زيدان، عبد الكريم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1413هـ، 1993م).

65- السيرة النبوية لابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد المحقق : طه عبد الرؤوف سعد، الناشر : دار الجيل - بيروت ،الطبعة : الأولى ، 1411

66- السيرة النبوية ،محمد بن اسحاق.

67- شرح كتاب الحج من عمدة الفقه، للدكتور محمد سعد اليوبي حفظه الله .

68- شرح مشكل الآثار، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

مؤسسة الرسالة.

79- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي [436هـ - 516هـ]، المحقق: شعيب الأرنؤوط

محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.

70- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (89/1)، المكتبة التوفيقية بدون

(ت، ط).

71- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي

، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1414 - 1993، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

72- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن عَبد،

التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير (المتوفى: 739هـ)، مؤسسة الرسالة.

73- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب

الإسلامي - بيروت، 1390 - 1970 تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي

74- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة: 1408هـ، 1988م.

75- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن،

الطبعة: الأولى.

76- الصحاح، تاج اللغة وصحاح اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان. ط 1: 1420-1999.

- 77- الصحاح، تاج اللغة وصحاح اللغة ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الرابعة كانون الثاني يناير 1990.
- 78- الطبقات الكبرى ،محمد بن سعد أبو عبد الله البصري 230 هـ ،تحقيق: إحسان عباس ،دار صادر - بيروت ، الطبعة : 1 - 1968 م.
- 79-الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ،الدكتور عبدالرحمن عمر اسبينداري.
- 80- عقيدة المسلم، محمد الغزالي ، دار نهضة مصر الطبعة : الأولى.
- 81- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت ، 1379 ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- 82- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ،محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : 1250هـ).
- 83- الفروق اللغوية ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى نحو395هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، الناشر:دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.
- 84- في رحاب القرآن، بيوض،إبراهيم بن عمر ، نشر جمعية التراث القرارة غرداية ، الجزائر ط:1423هـ 2002م.
- 85- في ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم . (رحمه الله) ،دار الشروق . القاهرة
- 86- الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . لبنان بدون تاريخ.
- 87 - الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير 701 هـ - 747 هـ.

88- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت -

لبنان

89- القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، العلامة محمد بن صالح العثيمين ،

المملكة العربية السعودية الطبعة : الثانية، محرم 1424هـ

90- القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، محمد فتحي عثمان ، الدار السعودية ط 1/1402

1403 هـ .

91- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي

السلام بن أبي القاسم الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء ، تحقيق محمود بن التلاميذ

الشنقيطي، دار المعارف بيروت، لبنان

92- القرآن منهاج حياة، غازي صبحي آق بيق، تنسيق : علي بن نايف الشحود.

93- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي ، ، دار العلم للجميع

بيروت ، لبنان.

94- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو

القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 . 538 هـ)، - دار الكتاب العربي . بيروت، ط: 1407 هـ.

95- كتاب غريب القرآن، السجستاني، أبو بكر محمد (ت 330هـ) ، تحقيق: محمد أديب عبد

الواحد جمران (د. م: دار قتيبة، ط1، 1416هـ، 1996م).

96- كتاب العين،- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي

(العراق: دار الرشيد، د. ط، 1981م).

97- كتاب سيبويه ،أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه . سنة الوفاة 180 هـ ،عبد

السلام محمد هارون ،دار الجليل . بيروت.

- 98- كتاب جمهرة اللغة، ابن دريد، محمّد بن الحسين (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م).
- 99- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ،دار صادر ، بيروت ، ط1.
- 100- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوود، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط3 : 1423هـ، 2002م.
- 101- مدونة الفقه المالكي وأدلته، الدكتور الصادق عبد الرحمن ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى: 1423هـ، 2002م.
- 102- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود، المتوفى سنة 204 هـ ، ، تحقيق : الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1419 هـ - 1999.
- 103- مسند أبي عوانة ، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني . سنة الوفاة 316هـ ، دار المعرفة ، بيروت.
- 104- مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى ، 1404 - 1984.
- 105- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى : 292 هـ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، (بدأت 1988م ، وانتهت 2009م).
- 106- المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية ، 1406 - 1986.

- 107- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.
- 108- المغازي للواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى : 207هـ) ،المحقق : مارسدن جونس ،بيروت-عالم الكتب
- 109- المَعْمُ الصَّغِيرُ لِطَبْرَانِيٍّ ،سليمان بن أحمد الطبراني ،المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان الطبعة الأولى ، 1405هـ . 1985م ،تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير
- 110-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإيّاك نستعين، - ابن قيم الجوزية، تحقيق، محمد حامد الفقهي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأخيرة، 1407هـ، 1988م
- 111- موسوعة أخلاق القرآن، الدكتور أحمد الشرباصي ، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى 1971.
- 112- مجموع الفتاوى ،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)، المحقق : أنور الباز - عامر الجزائر ،دار الوفاء ،الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 .
- 113- مسند الشهاب القضاعي ،أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري (المتوفى : 454هـ).
- 114- مسند الحميدي ،أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي
- 115- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : : دار الجيل ،بيروت الطبعة : 1411هـ - 1919م
- 116- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807 ،بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر دار الفكر، بيروت، طبعة 1412 هـ، الموافق 1992 ميلادي.

117- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ،محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : 1421هـ) ،جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان ،دار الوطن - دار الثريا ،الطبعة : الأخيرة - 1413 هـ.

118- مسند الإمام أحمد بن حنبل ،أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ،مؤسسة قرطبة - القاهرة.

119- محاسن التأويل ،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى 1332هـ) ،تحقيق محمد باسل عيون السود، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.

120- المحرر الوجيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : 542هـ) .

121- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المعروف بابن سيده ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،- الطبعة الأولى: 1421هـ، 2000م .
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المعروف بابن سيده ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط1: 1377هـ 1958م.

122- المعجم الوسيط . موافق للمطبوع ،إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية ،دار النشر : دار الدعوة

123- مفاتيح الغيب ،الإمام العالم العلامة والخبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ،دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000 م ،الطبعة : الأولى.

124- مشكل الآثار؛ أو جفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي الأزبي.

125- مصنف عبد الرزاق ،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ،المكتب الإسلامي - بيروت ،الطبعة الثانية ، 1403 ،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ،تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

126- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (159هـ - 235هـ) ،
الطبعة : الأولى ، 1427

127- المعجم الأوسط ،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ،دار الحرمين - القاهرة ، 1415

128- المعجم الكبير ،سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني
(المتوفى : 360هـ).

129- معرفة السنن والآثار ،أحمد بن الحسين البيهقي ،شهرته : البيهقي ،المحقق : عبد المعطي
أمين قلعجي . دار النشر :جامعة الدراسات الإسلامية + دار والوعي + دار قتيبة ،الطبعة : الأولى :
1412هـ ، 1991م

130- المستدرك على الصحيحين ،محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ،دار
الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة الأولى ، 1411 - 1990 ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

131- معجم الصحابة ،أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ،المتوفى : 317 هـ ،المحقق : محمد
الأمين بن محمد الحكني ،مكتبة دار البيان - الكويت .

132- مسند أبي داود الطيالسي ،سليمان بن داود بن الجارود ،المتوفى سنة 204 هـ ،تحقيق :
الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ،بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار
هجر ،هجر للطباعة والنشر ،الطبعة : الأولى ،سنة الطبع : 1419 هـ - 1999 م .

133- منهج الحياة الإسلامية ، أبو الأعلى المودودي ، ترجمة د/ أحمد عبد الرحمن ، دار التوزيع للطباعة
والنشر ، ط 1 1427هـ / 2006م

134- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي اسحق الشاطبي (6/2) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة
بدون (ت)

- 135- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، 1392.
- 136- مع الرسول في رمضان . عطية محمد سالم (تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز).
- 137- مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.
- 138- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، يوسف حامد العالم ، دار الحديث بالقاهرة، الدار السودانية بالخرطوم.
- 139 - مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى :1420هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- 140- مختار الصحاح ، - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، - إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان-مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح بيروت1986.
- 141- مجالس التذكير من كلام العليم الخبير، ابن باديس:عبد الحميد، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1: 1402هـ، 1982م
- 142- معاني القرآن الكريم، النحاس، أبو جعفر، تحقيق: محمد علي الصابوني (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ).
- 143- المفردات في غريب القرآن،- الأصفهاني، أبو القاسم، تحقيق: محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت)،
- 144- مجمل اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ، 1986م).

145 - معالم التنزيل ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : 510هـ)،
تحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار
طبية للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م.

146- النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، محمد عبد الله عفيفي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض
ط 1 / 1408 هـ / 1988 م .

147- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،
دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، ط 1 / 1415 هـ 1995 م .

148- الوسطية في القرآن الكريم، الدكتور علي محمد الصلابي ، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

فهرست المواضيع

.....مقدمة

أ..

الفصل الأول : مفاهيم

1.....أساسية

المبحث الأول : تعريف الاستقامة وحقيقتها

2.....

المطلب الأول : مفهوم الاستقامة

3.....

المطلب الثاني : حقيقة الاستقامة

12.....

المبحث الثاني : فضل الاستقامة ودرجاتها

17.....

المطلب الأول : فضل الاستقامة

18.....

المطلب الثاني : درجات الاستقامة.

23 الفصل الثاني أسس الاستقامة ومجالاتها

31.....

المبحث الأول: أسس الاستقامة

32.....

المطلب الأول: الهداية

33.....

المطلب الثاني

57.....:العبادة

المطلب الثالث: اتباع الصراط المستقيم

84.....

المطلب الرابع :

101.....

المطلب الخامس: اجتناب

116.....الطاغوت

الاستقامة

:مجالات

الثاني

المبحث

148.....

الاستقامة

:الأول

المطلب

151.....الشرائع

في

الاستقامة

:

الثاني

المطلب

178.....الأخلاق

في

الاستقامة

:

الثالث

المطلب

232.....العقائد

244.....الفصل الثالث:أبعاد الاستقامة وآثارها على الفرد والمجتمع

246.....المبحث الأول : أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد

248.....المطلب الأول :إصلاح العقائد

266.....المطلب الثاني:إصلاح نفسي وعقلي

277.....المطلب الثالث: إصلاح تربوي وروحي

284.....المبحث الثاني : أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع

285.....المطلب الأول :إصلاح خلقي اجتماعي

294.....المطلب الثاني: إصلاح الأمة.

الفصل الرابع : الرسول صلى الله عليه وسلم خير أنموذج

298.....في الاستقامة.

المبحث الأول: سيرته صلى الله عليه وسلم

299.....

المطلب الأول: نسبه و مولده صلى الله عليه

301.....وسلم

المطلب الثاني: طفولته صلى الله عليه

310.....وسلم

المطلب الثالث: شبابه صلى الله عليه

316.....وسلم

المبحث الثاني : مجالات

325.....استقامته

المطلب الأول: استقامته صلى الله عليه وسلم في

326.....أخلاقه

336.....المطلب الثاني : استقامته صلى الله عليه وسلم في معاملاته

347.....المطلب الثالث: استقامته صلى الله عليه وسلم في عباداته.....

361.....خاتمة.....

369..... فهرست الآيات

388..... فهرست الأحاديث

402..... فهرست الأشعار.....

404..... فهرست المراجع.....

420..... فهرست المواضيع.....

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

تناول البحث موضوع الاستقامة: أسسها وأبعادها -دراسة في التفسير الموضوعي- وذلك في إطار التفسير الموضوعي المعتمد على الاستقراء والتحليل والتركيب، بغرض الوصول إلى رؤية قرآنية حول موضوع أسس الاستقامة وأبعادها.

ينقسم البحث إلى أربعة فصول، جاء الفصل الأول بعنوان: " مفاهيم أساسية" تناول المبحث الأول منه تعريف الاستقامة وحقيقتها، أما المبحث الثاني فتناول فضل الاستقامة ودرجاتها . وقد تقرر من خلال البحث أن الاستقامة هي المسار الصحيح للإنسان في حياته، حيث أنه يرضي ربه ويسعد مجتمعه. وأعضاء مجتمع الاستقامة هم أهل الله وخلفاؤه في الأرض، تحوّلهم العناية الربانية في الدنيا والآخرة، وتحفهم ملائكة الرحمة بالبشائر والاستغفار، والصبر على تكاليف الاستقامة أمر عسير، ولذلك يستحق الصابرون عند الله هذا الإنعام.

وجاء الفصل الثاني خاصا بأسس الاستقامة ومجالاتها، حيث قسم إلى مبحثين: المبحث الأول منه كان خاصا بأسس الاستقامة، فتناول الأسس التالية: الهداية، العبادة، اتباع الصراط المستقيم، التوحيد، اجتناب الطاغوت.

أما المبحث الثاني، فدار الحديث فيه عن مجالات الاستقامة، وتناول: الاستقامة في الشرائع، الاستقامة في الأخلاق، الاستقامة في العقائد.

وجاء الفصل الثالث لبحث في أبعاد وآثار الاستقامة، فكان مقسما إلى مبحثين: المبحث الأول: أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال الأفراد، حيث بين هذا المبحث الأبعاد التي حققتها

الاستقامة من أجل إصلاح أحوال الأفراد، فشمّل إصلاح العقائد، وإصلاح نفسي وعقلي، وإصلاح تربوي وروحي.

أما المبحث الثاني فكان بعنوان: أبعاد ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع، فقد اتضح من خلال البحث أن المقصد العام الذي ترمي الاستقامة إلى تحقيقه هو حفظ النظام واستدامة صلاح الأمة، بإصلاح أخلاقها وتقوية الروابط بين أفرادها.

وكان الفصل الرابع عبارة عن أنموذج للاستقامة فعنون ب: "الرسول صلى الله عليه وسلم خير أنموذج في الاستقامة" وقد قسم إلى مبحثين، تناول المبحث الأول منه سيرته صلى الله عليه وسلم: مولده ونسبه، طفولته، وشبابه. وتناول المبحث الثاني بعض مجالات استقامته: كمجال الأخلاق، ومجال المعاملات، ومجال العبادات.

فقد كان صلى الله عليه وسلم مستقيماً في كل الأمور، فقد سلك نهج الاعتدال والوسطية فلم ينحرف انحراف الغالين، ولم يقصر تقصير المفرطين، فكان خير أنموذج في الاستقامة.

In the name of Allah the Merciful

Summary

The research topic of integrity: Study founded and dimensions in the subjective interpretation-and in the framework of subjective interpretation based on induction, analysis, synthesis, for the purpose of access to the Quranic vision on the .theme of the foundations of integrity and dimensions

Search is divided into four chapters, the first chapter was titled: "Key Concepts" eat him first section definition of integrity and truth, and the second topic addressed the preferred uprightness and degrees. It was decided through research that honesty is the right path for a person in his life, as it pleases the Lord and happy society. And members of the community of integrity are the people of God and his successors in the earth, the Lord's Thothm care in the world and the Hereafter, and Thvhm Balepeshair angels of mercy and seek forgiveness, and patience on the integrity costs is difficult, but it's worth .Alsaberon God this grace

The second chapter special foundations of integrity and fields, where divided into two sections: The first section of it was a special fundamentals of integrity, handled the following basis: guidance, worship, follow the straight path, standardization, .avoiding Juggernaut

The second section, which toured to talk about the areas of integrity, eat: integrity in the laws, probity in ethics, integrity in .the creeds

The third chapter looks at the dimensions and implications of integrity, was divided into two sections: Section I: dimensions to reform the conditions of individuals, in terms of this section dimensions achieved by integrity in order to fix the conditions of individuals, covered a reform of beliefs, and the reform of psychological and psychiatric, rehabilitation of educational and .spiritual

The second topic was titled: dimensions to reform the conditions of the community, it became clear through research that the public destination which is designed to achieve honesty is the maintenance of order and the sustainability of the nation Salah, reforming morals and strengthening ties .among its members

The fourth chapter is a model of rectitude Fnon b: "Prophet Muhammad, peace be upon him the best model in the integrity" has been divided into two sections, the first section of it eating his peace be upon him: his birth and lineage, his childhood and his youth. The second topic addressed some areas of integrity: ethics as a field, and the field of transactions, .and worships

It was God's peace be upon him straight in all things, the moderation approach wire did not deviate deviation Algalin,

and did not shorten shorten excessive, it was the best model in
.integrity